

سلسلة مصريات
تاريخ - فن - حضارة
١١

كريستيانو داليو

الطب عند الفراعنة

(أمراض. وصفات طبية. خرافات ومعتقدات)

ترجمة
إبتسام محمد عبد المجيد

مراجعة علمية
د. نبيل عبيد

مراجعة أثرية
د. علي رضوان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

الطب عند الفراعنة

(أمراض. وصفات طبية. خرافات ومعتقدات)

حظى الطبيب المصرى بشهرة واسعة فى العالم القديم، وكان أطباء الإغريق من تلاميذ المدرسة الطبية المصرية، كما أن بلاد الحيثيين وبلاد الفرس كانت تحرص على استجلاب الدواء وأحيانًا الطبيب المصرى فى الحالات التى يصعب علاجها.

والكتاب يقدم إطارًا إجماليًا للطب المصرى القديم فى ضوء أحدث الدراسات والاكتشافات. كما أبرز الكتاب على وجه الخصوص السمات السائدة حاليًا والتى ظهرت فى أوجه عديدة فى الطب المصرى القديم، وانعكاساتها على علوم الطب اللاحقة وعلاقتها الوثيقة بالطب الغربى الحديث.

كريستيانو داليو

طبيب وُلد فى تورينو، اهتم منذ سنوات عديدة بعلم المصريات، له العديد من المؤلفات والمؤتمرات العلمية التى تتعلق على وجه الخصوص بالطب المصرى القديم.

ISBN# 9789774484810



الهيئة المصرية العامة للكتاب

الطب عند الفراعنة

- **الكتاب:** الطب عند الفراعنة

(أمراض ـ وصفات طبية ـ خرافات ومعتقدات)

LA MEDICINA DEI FARAONI

Malattie, ricette e superstizioni dalla farmacopea egizia

- **الكاتب:**كريستيانو داليو

Cristiano Daglio

- الكتاب الأصلى صادر باللغة الإيطالية
- الطبعة الأولى باللغة العربية ٢٠١٣
- الغلاف: تصميم جرافيك: د. مدحت متولى
- اللوحة إلى اليمين: سشات إلهة الكتابة ودور الوثائق عند قدماء المصريين.
- طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

كورنيش النيل، رملة بولاق، القاهرة. ت:٢٥٧٧٥٠٠٠/٢٥٧٧٥٢٢٨

فاكس: ٢٥٧٥٤٢١٣ (٠٠٢٠٢) ص.ب:٢٣٥ ـ الرقم البريدى: ١١٧٩٤ رمسيس

WWW.egyptianbook.org.eg

E-mail:info@egyptianbook.org.eg

- داليو ، كريستيانو .

الطب عند الفراعنة: (أمراض ـ وصفات طبية ـ خرافات ومعتقدات) من منظومة علم الأدوية فى مصر القديمة / كريستيانو داليو ؛ ترجمة: إبتسام محمد عبد المجيد؛ مراجعة علمية: نبيل عبيد، مراجعة أثرية: على رضوان

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.

٢٤٠ ص؛ ٢٤ سم.

تدمك ٠ ٤٨١ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ـ الطب القديم

(أ)عبد المجيد ، إبتسام محمد (مترجم)

(ب) عبيد ، نبيل (مراجع)

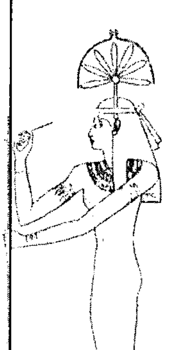
(ج) رضوان ، أثرية على (مراجع)

(د) العنوان :

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٣١٦ / ٢٠١٣

I.S.B.N-978-977-448-481 -0

ديوى ٩ , ٦١٠



كريستيانو داليو

الطب عند الفراعنة

(أمراض ـ وصفات طبية ـ خرافات ومعتقدات)

من منظومة علم الأدوية فى مصر القديمة

ترجمة

إبتسام محمد عبد المجيد

مراجعة علمية

د. نبيـــل عبيـــد

مراجعة أثرية

د. علـى رضـوان

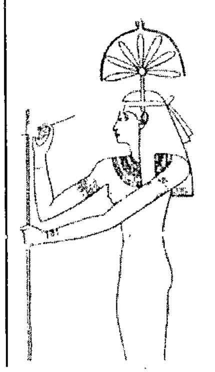


الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٣

مصريات

تاريخ ـ فن ـ حضارة

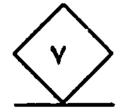


الفهرس

عن الداء والدواء
والمريض والطبيب
في مصر القديمة

بقلم: أ.د. على رضوان

كانت مصر القديمة بالنسبة لأهل المعرفة والعلم فى بلاد الإغريق هى مهد الحضارة وأرض العلوم (الفلك ـ الهندسة ـ العلوم الرياضية (الرياضيات) ـ الفلسفات ـ الجغرافيا ـ العلوم الطبيعية ...إلخ)، وعلى وجه الخصوص فى مجالات تشخيص الداء ووصف الدواء (علم الطب)، والذى عادة ما يكون من النباتات والأعشاب الطبية. وكان أعظم شعراء الإغريق "هوميروس" قد أشاد فى رائعته "الأوديسَّة" (القرن الثامن قبل الميلاد) بمقدرة المصريين القدماء، أكثر من الآخرين، فى معالجة كل نوع من المرض. من بعد ذلك يزور المؤرخ الإغريقى الأشهر "هيرودوت" مصر فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ويسجل إعجابًا شديدًا بتنوع التخصصات الطبية فى مصر آنذاك: "فهناك العديد من الأطباء فى كل مكان، بعضهم تخصص فى طب العيون،



وآخـرون يقومـون بعـلاج أوجـاع الـرأس، وغيـرهم للأسـنان أو للأمراض الباطنية، هذا إلى جانب من يتعاملون مع العلل الخفية (بمعنـى الغامضة وغير الشائعة... إلـخ)". ونعـرف الآن أن مـا حدّث بـه هيرودوت من تنـوع وتشعب التخصصات الطبيـة فـى مصر القديمـة كـان صـائبًا إلـى حد بعيد، ذلك أن ألقاب الأطبـاء منذ الدولـة القديمـة (من حوالى ٢٦٤٠ إلى حوالى ٢١٥٥ ق.م.) وعلى مدى العصور من بعد ذلك تثبت صدق هذا القول. وكان العالم الألمانى H. Junker قد نشر دراسة عن لوحة لطبيب البلاط الملكى "إرى"، الذى عاش فى نهاية الأسرة الخامسة، ومنها نعرف العديد من هذه التخصصات (*ZÄS 63 (1928), 53ff.*). ونورد الآن قائمـة بـأهم وأشـهر ألقـاب الأطبـاء ومجـالات تخصصـهم التـى سجلتها النصوص المصرية منذ بداية الدولـة القديمـة وإلـى نهايـة دولة الفراعنة:

١-"طبيب" *swnw*

٢- "طبيب الأسنان" *swnw ibḥ* أو *ibḥy*

٣- "طبيب العيون" *swnw irty*

٤- "طبيب الأمراض الباطنية للقصر الملكى" *swnw ẖt pr-ʿ3*

٥- "كبير الأطباء" *wr swnw(w)*

٦- "كبير أطباء الأسنان" *wr ibḥy(w)*

٧- "مدير (=المشرف العام) الأطباء" *imy- r3 swnww*

٨- "مفتش الأطباء" *sḥd swnww*

٩- "كبير أطباء مصر العليا ومصر السفلى" *wr -swnw(w) šmʿ mḥw*



١٠- "الطبيب الأول (=المتميز) فى بيت بتاح"

hry swnw m pr-Ptḥ (وبيت بتاح هو معبده الكبير فى منف).

١١- "طبيب القصر الملكى" *swnw pr-ʿ3*

١٢- "طبيب الملك" *swnw nsw*

١٣- "قائد (فريق) أطباء القصر الملكى" *ḫrp swnw pr-ʿ3*

١٤- "قائد (فريق) أطباء العيون لدى القصر الملكى"

ḫrp swnw irty pr-ʿ3

١٥- "مديرة الطبيبات" *imt-r3 swnwwt*

واللقب الأخير يشير إلى السيدة "بسشت" التي عاشت فى أواخر الأسرة الرابعة ودفنت فى جبانة الجيزة، والتى تشير بلقبها إلى وظيفة رفيعة كانت قد مُنحت لها لعلمها وخبرتها. وبالفعل لدينا أيضًا لقب *swnwt*، والذى يعنى - بإضافة تاء التأنيث - "طبيبة".

أما لقب *Sḫmt wʿb* ويعنى حرفيًا "الكاهن المطهر للربة "سخمت""، وكذلك لقب *ḫrp. Srkt*، والذى يعنى حرفيا "قائد الربة "سلكت" (معبودة تأخذ هيئة العقرب)"، فكل منهما كان لصاحبه دور ووظيفة فى عالم الدواء والشفاء، خصوصًا لأن "سخمت" كانت ربة الداء والدواء، وكذلك "سلكت"، التى كانت الأمل فى الشفاء من لدغات العقارب والثعابين. ويشارك أيضا "كبير كهان الربة القطة 'باستت' " فى أمور الطب والعلاج. ونعرف أن الإدارة المصرية كانت ترسل "الكاهن" قائد الربة "سلكت" (أو سرقت") لكى يصاحب بعثات المناجم والمحاجر، وذلك تحسبًا لإصابة العمال فى هذه الأماكن البعيدة عن العمران بلدغات الزواحف

السامة، وحتى يكون التدخل السريع بالعلاج من قِبل هذا الكاهن الطبيب، والذى كان عليه أداء العلاج الموضعى بالأدوات الطبية والعقاقير، هذا بالإضافة إلى مقدرته فى تحقيق الشفاء السريع، وذلك عندما يقوم بأداء بعض الرُّقَى والتعاويذ السحرية التى تساعد فى تحقيق الشفاء حسب تقديرهم وخبرتهم. وتحدثنا بردية بروكلين الطبية أن الوسائل العملية فى علاج لدغات الثعابين تكون بسرعة فتح منطقة الإصابة (ربما لإخراج السم)، ثم إعطاء المصاب جرعة معينة تحدث له حالة من القىء، وأخيرًا وضع نوع من الأملاح فى مكان الإصابة.

لقد كان الطبيب المصرى - إلى جانب خبرته العملية فى القضاء على الداء بإعطاء الدواء - عليمًا بأمور السحر وكذلك الحالة النفسية للمريض الذى يراد له الشفاء التام. فكان يستعين على تحقيق ذلك بمساعدة الرقى والتمائم لطرد الأرواح الضارة من جسد المريض وبيته، وذلك بالطبع من بعد أن يكون قد أعطاه الأدوية والعقاقير المناسبة. إلا أن واقع الأمر يشير إلى أن ذلك الجانب السحرى كان عاملاً مساعدًا فى العلاج، وليس هو العلاج الفعلى، وبما يتضح لنا مما وصل إلينا من مصادر وبرديات التخصص الطبى العملى، والذى كان يعتمد على تحقيق الشفاء بإعطاء جرعة الدواء أو بإجراء الجراحة فى بعض الأحيان. ففى بردية Ebers، أشهر وثائق الطب المصرى القديم، نجد التأكيد قاطعًا على أن "الدواء يكون نافذ المفعول عندما يصاحب بالرقية، كما وأن الرقية تكون مؤثرة إذا ما صاحبها تناول الدواء". وفى ١٧ حالة تشير هذه البردية إلى ما تسميه: "التعويذة المصاحبة لشرب الدواء". وحتى فى نزلات البرد التى كانت مرضًا شائعًا آنذاك، فإن العلاج يكون بإعطاء المريض شرابًا من نبيذ البلح مع وضع

مسحوق نباتى فى فتحتَى الأنف (ما يمكن أن يقارن اليوم بالنشوق!)، ويعقب ذلك تلاوة تعويذة أو رقية طرد البرد من جسده. وتأتى الإشارة فى أكثر من بردية طبية إلى أن العدوى إنما تدخل جسم الإنسان بفعل كائن شيطانى الطابع. وهناك بردية المتحف البريطانى (*BM* 10059) التى تكاد أن تخلو من وسائل العلاج التقليدية بالعقاقير وتأتى بدلاً من ذلك بوسائل أخرى سحرية مثل الرقى والتمائم، وذلك لطرد شيطان المرض من جسد المريض. ويتوسل الذى يرجو الصحة والسلامة والعافية آملاً أن يحقق له معبوده ما يصبو إليه، فنراه يناجى هذ المعبود (الحامى والحارس) ويقول له: "ولسوف تحمينى وتجعلنى سالمًا، ولسوف تحرسنى وتجعلنى صحيحًا، ولسوف تحمينى من كل روح شريرة لذكر ومن كل روح شريرة لأنثى ... ومن (شر) كل ميت ... ومن كل وباء". ولعل مجموعة التعاويذ التى جمعت فيما يعرف باسم: "*mkt-ḥʿw*" أن تكون ذات صلة بهذا الموضوع، ذلك أن العنوان هنا يعنى "حماية (أعضاء) الجسد". وكانت الدولة الوسطى - ومصر الوسطى على وجه الخصوص - قد عرفت نوعًا من السكاكين السحرية (magical knives) من ناب فرس النهر عليها أشكال لهيئات ذات طبيعة حامية واقية من كل أنواع الشرور والأذى، وكانت تُستعمل للحفاظ على سلامة الأم الوالدة وطفلها الرضيع. أما لوحات حورس السحرية، بكل ما تمثله من معانٍ وأهمية بالنسبة لوسائل الشفاء من لدغات العقارب والثعابين بصفة خاصة، فتعد خير دليل على قاعدة السحر فى خدمة العلاج. ذلك أن الاعتقاد كان لديهم راسخًا فى أن الماء الطاهر الذى يسكب على المناظر والنصوص السحرية التى نفذت ودوِّنت على هذه اللوحات يكون بعد تجميعه شافيًا، وذلك بالطرق التالية:

١- أن يشرب.
٢- أن يسكب على موضع اللدغة.
٣- أن يسكب على منطقة القلب للشخص المصاب.

ولعل اللوحة التى اكتشفها الدكتور سليم حسن فى عام ١٩٣٦ إلى الشرق من معبد "أبى الهول" بالجيزة، والتى تعود إلى نهاية الأسرة الثامنة عشرة، أن تكون واحدة من البدايات الأولى لمثل هذه اللوحات السحرية، وذلك لاعتقاد المصريين القدماء فى قدرة الربة "إيزيس" (عظيمة السحر)، والتى يظهر معها هنا كل من ابنها "حورس" ورب النجدة والإنقاذ، المعبود "شد" ("الإله الأعظم، سيد السماء، الطبيب الماهر [بمعنى البارع والحاذق فى أمور العلاج والشفاء]، المحبوب من [أهل] مصر")، وأن يكون هذا الثالوث (إيزيس ـ حورس ـ شد) هو النجاة والنجدة عند كل نازلة ومرض وبلاء.

وعمومًا، فإن من أراد أن يكون طبيبًا فى مصر القديمة كان عليه أن يلتحق ببيت الحياة (*pr-ˁnḫ*)، والذى هو عبارة عن دار أهل العلم والمعرفة، وعادة ما كان من ملحقات المعابد الكبرى فى الأرض المصرية. وتحدثنا بردية Ebers فى مقدمتها عن مدينتى سايس وهليوبوليس باعتبار أن كل واحدة منهما كانت قلعة من قلاع الدراسات الطبية فى مصر القديمة. وكان العالم الألماني H. Grapow قد اقترح وجود وحدات علاجية ملحقة ببيوت الحياة فى المعابد المصرية التى فيها تزدهر العلوم الطبية، وذلك لتكون بمثابة المستشفى التعليمى فى عصرنا الحالي. والطريف أن مصحة للعلاج كانت موجودة بمعبد الربة حتحور فى دندرة.

ويستمر التطوير والتجديد فى أمور الطب والعلاج في مصر القديمة، وكما هو ثابت من برديات العصور المتأخرة، إلى حوالى



القرن الثالث الميلادى. وتأتى برديات ووثائق مصر القبطية لتدلنا على أن الطبيب القبطى (كلمة "قبطى" تعنى حرفيًا "مصرى") كان قد توارث عن أجداده كل المهارات والخبرة فى أمور التشخيص والعلاج وفى شتى المجالات (أمراض العيون - الأمراض الجلدية (الجُذام) - الأسنان - النقرس - أمراض النساء - الأمراض الباطنية ... إلخ).

وبالرغم من أن ما وصلنا من البرديات الطبية من العصور الفرعونية يعتبر، قياسًا بما كان لديهم فى مكتبات بيوت الحياة، بمثابة النَّزر القليل، إلا أن العلماء استطاعوا أن يتوصلوا إلى العديد من المعلومات الطبية الدقيقة والرفيعة المستوى، والتى نود أن ننوه بالبعض منها على الوجه التالى:

١- تقدم بردية Edwin Smith المختصة بأمور الجراحة من وسائل التدخل الجراحى السليم ما يعالج إصابات العمود الفقرى.

٢- وتسجل نفس البردية فيما ألحق بها من إضافات بعض المعلومات المختصرة والمفيدة عن أمراض النساء ودهانات وعطور التجميل، مع وصفة طبية لإزالة تجاعيد الوجه بعنوان " الوصفة الطبية فى تحويل الشيخ إلى شبابه".

٣- فى بردية Ebers توجد بعض الوصفات التى تساعد فى عدم تفاقم حالات الصلع عند الرجال. وفى الفقرة ٢٥٠ تشير هذه البردية إلى الصداع النصفى، والذى يرد ذكره على أنه (*gs-tp*) (بمعنى " نصف الرأس")، وتصف كيفية علاجه. وفى موضع آخر تحدثنا هذه البردية عن كيفية تقليل صراخ الطفل الرضيع، مع وصفات مفيدة للأم الوالدة. ثم تتحول للحديث عن كيفية تقوية فحولة الرجل عندما يتقدم به العمر، إلا أن ذلك يكون بوسائل سحرية. وأخيرًا فإننا نسمع عن وصفات دوائية مجربة



للتخلص من آلام الأسنان، وكيفية التعامل مع التالف أو القابل للسقوط منها.

٤- تتناول قطع من البردى الطبى عثر عليها فى معبد الرامسيوم بطيبة الغربية بعض الموضوعات المتعلقة بطب العيون وأمراض النساء وأمراض الأطفال، هذا بالإضافة إلى بعض المسائل المرتبطة بانتظام الأوعية الدموية.

٥- الطريف أن بردية Chester Beatty VI (المتحف البريطانى) تركز على أمراض المستقيم.

٦- تختص بردية اللاهون (Pap. Kahun VI) بأمراض النساء.

٧- أما بردية اللاهون الأخرى (Pap. Kahun LV)، فهى بردية متخصصة فى الطب البيطرى (أساليب علاج عيون الطيور والكلاب والماشية ... إلخ).

٨- فى أكثر من بردية طبية نجد الإشارات الواضحة إلى تخصص مهم، ألا وهو طب الأطفال.

٩- تنصح بعض البرديات بمضغ بعض حبات من التوابل طيبة الرائحة المضاف إليها قليل من عسل النحل، وذلك للعمل على إحداث تطهير وتعطير للفم.

وتثبت الدراسات المعملية الدقيقة التى أُجريت على مومياوات المصريين وجود العديد من الأمراض، مثل: (البلهارسيا - ديدان الإسكارس - الدودة الشريطية ... إلخ)، هذا مع التحقق من وجود بعض الأمراض والتى لعلها لم تكن شائعة، مثل الملاريا والسل والجُدرى وحصى المرارة. كما أثبتت فحوص المومياوات أن الطبيب المصرى كان يلجأ أحيانًا لاستخدام الجبيرة، وذلك لتثبيت العضو المكسور وإعادته إلى وضعه الطبيعى. كذلك فإن أسلوب خياطة الجروح الكبيرة أو النافذة كان متبعًا. هذا وكانت العمليات

الجراحية فِى منطقة الجمجمة (التربنة) من أهم وأدق ما يمكن تسجيله لأطباء مصر القديمة.

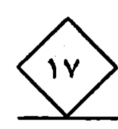
وأخيرًا نود الإشارة إلى الشهرة الواسعة التى حظى بها الطبيب المصرى فى العالم القديم، وكيف أن أطباء الإغريق كانوا من تلاميذ المدرسة الطبية المصرية، كما أن بلاد الحيثيين وبلاد الفرس كانت تحرص على استجلاب الدواء وأحيانًا الطبيب المصرى فى الحالات التى يصعب علاجها. بل توجد الآن دراسة عن الطب المصرى القديم وتأثيراته على تاريخ الطب فى العالم الغربى:

J. Stephan, *Die altägyptische Medizin und ihre Spuren in der abendländischen Medizingeschichte*, Berlin (2011).

تقديم

إننى أدين بالفضل للدكتور "كريستيانو داليو" الذى دعانى لتدبيج تقديم موجز من وجهة النظر الطبية لهذا الكتاب الشائق. إنه بالفعل عمل شائق ليس فقط لمحتواه ولكن لعدة أسباب أخرى، أهمها على الإطلاق أسلوب كتابته، واسترشاده بكثير من النصوص؛ وكذلك بسبب تلك اللمحات التى تلقى الضوء فى كل صفحة من صفحات الكتاب على جوانب فريدة ومتعددة لعلم الحضارة المصرية. نلاحظ منذ البداية وعند أولى الصفحات التى تتحدث عن المصادر، البعد العلمى لهذه المنظومة التى تهتم بالحياة اليومية بنفس اهتمامها بالجوانب التاريخية والفنية العظيمة والأساطير القديمة. رويدًا رويدًا وعند الإبحار فى القراءة ينتابك عزيزى القارئ الإحساس بأنك تسبح عبر مسيرة تتسم بالإثارة والغموض، فى عالمٍ لا متناهٍ من العظمة والنُّبل.

ولا يفوتنى أن أذكر أن الفضل يعود فى ذلك للمؤلف الذى يبهرنا بثقافته الواسعة، وهى نتاج معرفته الوطيدة بالمصادر



الهيروغليفية وولعه الشديد بالقراءة والاطلاع فى شتى المجالات. ولطبيب اليوم أقول إن الكتاب يحتوى على كثير من المفاجآت.

منذ عدة سنوات قمت مع زميلى "كارلو كارينا" بإعداد طبعة جديدة من "نصائح أبوقراط"، والتى تُعد دليلاً واضحًا على تطور الثقافة الإغريقية القديمة. وقد تأكدت وقتها أن الطبيب أبوقراط لم يستوعب المتغيرات التى تقهر قوانين الطبيعة، ولكن الدراسة والملاحظة والتعقل جعلته يتوقع أن الحالات المرضية المصرية قد تحدث لأسباب منطقية. ولقد دفعه الفضول وكذلك ذكاؤه المعهود إلى العمل على مساعدة المريض. أما فيما يتعلق بالطبيب الكاهن الذى كان يتمتع بكاريزما خاصة، فهو شديد الصلة ببعض النصائح الغريبة وبعض الثوابت الغامضة، فكان ينتحى جانبًا ويترك الأمر للطبيب المعالج بوصفه صديق المريض ورفيقه فى رحلة مرضه. عند قراءة "نصائح أبوقراط"، يُلاحظ القارئ أنها تمثل مرحلة الانتقال من الخرافة إلى المعرفة، ومن الظلام إلى النور، ومن اللا معقول إلى المعقول. كما أنها تشتمل أيضًا على مزج غريب بين فن السحر وروح العلم، بين الآراء الهرطقية والنصائح العملية؛ ولكن التوحُّد الإنسانى يظهر ما بين السطور ليكون مصدرًا للإحساس العميق الذى ينتاب من يشرع فى قراءة نص يعود إلى أكثر من ألفىْ عام، فما أدراك عزيزى القارئ بمصر الفرعونية التى تسبق هذا التاريخ بألف عام!

أعترف بأننى قد عايشت نفس الإحساس وأيقنت أن مصر كما ذكر "هوميروس"، وهو ما استعان به المؤلف، "أرض الأطباء الذين تجاوزوا بمهاراتهم جميع الأجناس البشرية الأخرى". لم تختلف العلاقة بين الطبيب والمريض عما كانت عليه عند



أبوقراط: فعند قراءة بعض الأحداث نجد مادة مثيرة للضحك. على سبيل المثال: حالات العقم والحمل (وهنا أيضًا تبدو غرابة المقارنة مع نصائح أبوقراط)، أو مثل الحالات التى ينصح فيها الطبيب باستخدام تركيبة غريبة نباتية أو حيوانية، أو بالأخص تناول الفئران المعدة بأساليب طهى متنوعة!

ولكن، بمقارنة نص ينتمى للفلسفة الإغريقية وورقة بردى تتداولها الأجيال، يبدو جليًا فى ورقة البردى الرسالة الفلسفية والأبدية للطب بمعناه الحقيقى، ألا وهى: عند فحص المريض يجب أن تتنبه إلى أن الأمر خطير، فلتستعد إلى أيام وأيام من العلاج حيث يتعين عليك الاعتناء به وعدم تركه مطلقًا!

ولكن بشىء من التأمل اكتسبته من خبراتى فى مجال محدد من الطب الإكلينيكى وجدت ما يُطلق عليه علم الغدد الصمَّاء. كما أن جزءًا كبيرًا جدًا من سحر مصر القديمة ينبع اليوم من عنصر الغموض، وكذلك من الصعوبة التى تواجه من أعد نفسه ثقافيًا لفهم هذا المجتمع وهذه الأساطير التى تدور حوله. وقد حرص مؤلف هذا الكتاب على أن يحتل مكانًا فى هذا العالم الغامض.

يُعد "أخناتون" من الأمثلة الواضحة على هذا الغموض الغريب. أطلق عليه "داليو"، "حالة أخناتون". بدراسة الأيقونات التى عُثر عليها للملك الفرعون، أستطيع القول إنه لم يكن يعانى من أمراض الغدد الصمَّاء أو أية حالات تضخُّم فى الغدد أو أعراض متلازمة كلينفلتر Klinefelter أو قصور أقفاد Ipogonadatropo Ipogonadismo . كما أن الافتراض المُسبق بوجود ورم فى الغدة النخامية لم يتطابق - على ما يبدو أيضًا - مع



أساليب المعرفة الحديثة عن هذا النوع من الأورام. ماذا يمكن افتراضه إذًا؟ هل عدم وجود عضو تناسلي ذَكَريّ للملك الفرعون؛ بالإضافة إلى التصورات المتعددة للتولُّد اللا تزاوجي (التولد الذي يتم بدون الأعضاء التناسلية) يمكن أن يفسر عدم انتماء أخناتون للجنس الذكري وانتماءه للجنس الأنثوي؟ هل قِصَر فترة الديانة وعدم استمرار فن العمارنة الذي اتسم بالواقعية الهزلية يمكن أن يعبر عن اعتلاء النخبة الحاكمة من النساء العرش؟

مُجمل القول، أنه لا يمكن التغاضي عن حقيقة مهمة، وهي أن علم الطب يستطيع أن يساهم ـ ربما بطريقة استفزازية ـ في إعادة اكتشاف أسرار التاريخ. عند هذا الحد أتوقف لأؤكد أن كل كتاب ـ حتى وإن كان بسيطًا ـ يمنح القارئ معارف جديدة أو بالأحرى أحاسيس جديدة، ولكن القليل من الكتب ـ وهذا الكتاب واحد منها ـ التي تمنحنا الشيئين معًا: (المعرفة والإحساس). إنني أثق تمامًا في أن نجاح هذا العمل سيكون مدويًا وسيكون التوفيق حليفًا له.

ألبرتو أنجيلي

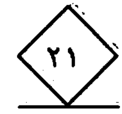
مدير المركز الطبي العام

جامعة الدراسات ـ تورينو

مقدمــة

عند تناول موضوع الطب كعلم لا بد أن يكون طبًا تجريبيًا. هذه المنظومة المنهجية التى عرفها قدماء المصريين، تحققت مؤخرًا فى أوروبا بالتزامن مع التقدم الكبير الذى أحرزته القدرات الإنتاجية التى اقترنت بالعلوم الطبيعية وتكنولوچيا المعدات. وما بين الحقبتين ظهر الإغريق الذين سرعان ما أفسدوا التراث المعرفى ببعض المذاهب التى حولوها إلى نظريات، وأطلقوا على "الطب الإغريقى" لفظ "الفلسفة الطبية". على أية حال، لا بد أن نذكر فى هذا الصدد أن قدماء المصريين استخدموا ثلاثة أنواع من العلاجات، هى: السحر، والطب، والدين.

استخدم المصريون القدماء العلاج بالسحر فى حقبة ما قبل التاريخ، شأنهم فى ذلك شأن جميع الشعوب البدائية. فقد أدركوا أن العالم ما هو إلا مجموعة أشياء سرعان ما تتفاعل معًا. ومع ذلك كانوا يكتفون بالتعبير بالحركات أو وصف العلاج فى حضور المريض: وللحصول على العلاج الحقيقى أو وضع حدٍّ لآلام



المريض، كان يتعين ممارسة طقوس السحر عليه حتى يُضمن إذعانه التام واستسلامه لتلك الأساليب. ومثل كل الدول المتحضرة، احتفظت مصر بهذه الطقوس عبر تاريخها الطويل وحتى يومنا هذا.

أما العلاج الطبى فقد ظهر فى الحقبة التاريخية فى أعقاب اكتشاف الزراعة. وكان من الطبيعى إدراك أن محصول الحقل يعتمد بالأساس على قيمة الأرض وجودة البذور، كما يعتمد على نظام العمل وطريقة التشغيل وهكذا .. وبالتالى أدرك الجميع أهمية فحص المريض ثم علاجه عن طريق المواد والأساليب التى تؤدى إلى أفضل النتائج. هذه الإجراءات وما استتبعها من إجراءات أخرى جسدت صياغة العالم الجديد .. عالم الفيزياء، أو بالأحرى العالم الذى يتكون من عناصر مستقلة يمكن من خلالها الحصول على علاقات سببية (أسباب ونتائج). وأخيرًا، يأتى العلاج الدينى الذى نتج عن رؤية لذلك العالم الفيزيائى، وهى رؤية تكاملت مع فكرة الإله الواحد المهيمن الذى يعيد صياغة العالم وتوحيده. ومن ثَمَّ، كانت مناجاة الله ودعوته كافية لوضع حَدٍّ لآلام المريض.

مارست مصر هذه العلاجات عن طريق العديد من الأشخاص، مثل "حيكاو" أى "السَّحَرة"، و"سونو" أى الأطباء، و"حيم - نيتر" أى "خدم الإله"، أو "الكهنة" .. من بين كل هؤلاء برع الأطباء وتميزوا بالحِرَفيَّة الشديدة. استخدموا بعض طرق السحر إما لعلاج الآلام التى ليس لها أسباب معروفة، أو لاستكمال الوَصْفة العلمية بالنزوع إلى أحد الأساليب الفعالة نفسيًا.

لقد حرصتُ على إيضاح هذه الحقائق لإلقاء الضوء على الحكمة من هذا الكتاب.



"كريستيانو داليو"، الطبيب هو إنسان مولع بالاهتمام بالإنسان "صاحب التاريخ". لقد عكف لعقود طويلة على دراسة العديد من الوثائق الطبية المعقدة التى وصلت إلينا من مصر القديمة، استخلص منها أهم الأخبار وقام بالتعليق عليها بأمانة شديدة فى نقل المعلومة الأساسية. وأخيرًا، قام برصد هذه المعلومات وتصنيفها بنظام بديع فى هذا الكتاب. ومن هنا، ننصح المتخصصين فى تاريخ علم الطب بالاطّلاع على هذا العمل المتكامل والفريد فى دقة معلوماته، فهو يتميز عن العديد من الكتب الأخرى المماثلة التى صدرت مؤخرًا والتى لم يتم إعدادها جيدًا.

إن هذا العمل يستحق كل التقدير وخاصة الفصل الرابع "منظومة علم الأدوية" والفصل الخامس "الأمراض"؛ وذلك لقيام المؤلف بشرح وتوضيح المفردات المصرية القديمة ومقارنتها بمفردات الطب الحديث وقوانين التاريخ البدائية .. ورويدًا رويدًا تستطيع عزيزى القارئ فهم ظواهر الماضى فهمًا أعمق وأشمل.

سيلفيو كورتو



الفصل الأول

المصـــادر

فى محاولة لبناء إطار موضوعى بقدر الإمكان لعلم الطب عند قدماء المصريين، يجب إحداث توازن بين نموذجين من الوثائق التى قد تقودنا بدورها إلى نوعين من المصادر: مصادر مباشرة، ومصادر غير مباشرة. تتكون المصادر المباشرة من عنصرين: العنصر الأثرى (قد يكون مع شديد الأسف غير مكتمل بالقدر الكافى)؛ بالإضافة إلى ما يُطلق عليه البرديات الطبية وبعض الكتابات القصيرة على الشقافات، وهى أوانٍ من الحجر الجيرى وعليها رسومات وبعض الكتابات القصيرة وكانت تُستخدم دائمًا لإجراء بعض التجارب المدرسية. والعنصر الأكثر ثراءً هو عبارة عن بقايا بشرية ومومياوات وهياكل عظمية، وهى أيضًا فى بعض الحالات ـ كما سنرى فيما بعد ـ شديدة القيمة وذلك لتعدد الدلائل التى تزودنا بها. أما المصادر غير المباشرة، فهى من جانب تحتوى على كتابات المؤرخين منذ "هيرودوت"، و"ديودور



الصقلى"، و"سترابون"، مرورًا بـ"العهد القديم" وصولاً إلى "أبوقراط"، و"جالينا". واقع الأمر يؤكد أن جميع المؤلفين الذين تناولوا الطب ومظاهره التى ترتبط بوادى النيل لم يكونوا مصريين. أما على الجانب الآخر، فإن المجموعة المختلفة الألوان من القطع الأثرية المتنوعة (تماثيل - صور - نقوش - لوحات عليها كتابات) والتى ينبغى الحذر الشديد عند استخدامها، قد تكون متأثرة بقوانين العصر الذى وجدت فيه أو بعدم خبرة من أبدعها، ولكنها بالرغم من ذلك، فهى تزودنا بالكثير من المعلومات الدقيقة والمفيدة وكثير من الانطباعات من خلال بعض الصور.

المصادر المباشرة

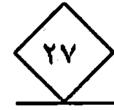
فى القرن الثانى الميلادى، أخبرنا "كليمنت السكندرى" Clement di Alessandria فى أحد مؤلفاته (سترماتا Strimata، الجزء الرابع: ٣٥-٣٧) بوجود كتب طبية فى مصر القديمة، فقد أكد أن من بين اثنين وأربعين كتابًا تتناول المعارف الإنسانية عند قدماء المصريين (حيث لم يكن قد تم التوصل بعد إلى كتابة الموسوعة مع ديدروت - ودى أمبرت وآخرين فى عام ١٧٥١؟)، تحتوى الكتب الستة الأخيرة على موضوعات طبية. فقد تناولت الموضوعات الآتية: بناء الجسم (أى علم التشريح)، والأمراض، والأدوات الطبية، وكذلك أدوات العمليات الجراحية، وأساليب العلاج، وأمراض العيون، وأمراض النساء. كما أنه عند تناول مصادر الحقبة الرومانية (مع الأخذ فى الاعتبار الموقف المحافظ تجاه العادات الخاصة بالمصريين القدماء، وذلك فى حالة الاستشهاد بأحد كتب التشريح)، يجب الانتباه إلى نوعية المعرفة

التى يمكن الحصول عليها متكاملة إما بالاتصال المباشر بمن يقوم بعملية التحنيط، أو بالإجراءات المتبعة فى نحر الحيوانات سواء لتناولها أو لاستخدامها فى طقوس السحر، وعندئذ سنكون أمام الخطوات الأولى لعلم التشريح المُقارن.

قد يرجع وجود كتابين فى الأمراض المتخصصة إلى الانتشار السريع لمرض التراكوما، وهو مرض مُعْدٍ يصيب العين وله مضاعفات خطيرة على الإبصار (وهو واحد من الأمراض المنتشرة فى مصر)، هذا من جانب، أما على الجانب الآخر فقد يعود إلى كثرة أسباب وفيات السيدات التى ترتبط تحديدًا فى كثير من الأحيان بحالات ضيق الحوض وما يستتبعه من ضيق فى عنق الرحم.

أما فيما يتعلق بالبرديات الطبية التى تعود للعصر الفرعونى فهى بالعشرات، وتعود جميعها تقريبًا إلى عصر الدولة الحديثة. ومع ذلك توجد أجزاء فى بعض من هذه البرديات مثل (إيبرس - سميث - برلين - كارلسبرج الثامنة)، تختلف مع هذا التأريخ المتقدم جدًا. وهذا الاختلاف يرجع إلى وجود شرح توضيحى لبعض المصطلحات التى لم تعد تستخدم الآن. كما كان يصعب فهمها على الطبيب المصرى فى تلك الحقبة. وأحيانًا يتم تفسير أصول تلك المصطلحات القديمة بطريقة مبهمة أيضًا.

مما سبق يمكننا أن نستخلص أن جزءًا كبيرًا من مجموعات البرديات الطبية، تم جمعه وترتيبه فى نهاية عصر الدولة القديمة. البعض منها كان له فى الماضى ترجمات ممتازة وخاصة بردية "سميث"، على عكس الكثير منها الذى يفتقد إلى الدقة. وقد ساعدت إسهامات الأطباء الذين هم أيضًا علماء مصريات مثل



"نون"، و"باردينت"، فى تقديم تراجم أكثر وضوحًا لهذه النصوص. ومؤخرًا وفى عام ١٩٩٥، ظهرت فى الأسواق ترجمة للعالم "باردينت" بالفرنسية لجميع البرديات الطبية الفرعونية وبعض النصوص وثيقة الصلة بالطب.

على أية حال، يوجد العديد من مواضع الاختلاف سواء فيما يتعلق بالمصطلحات الفنية لبعض الموضوعات الصعبة (حيث احتوت بعض البرديات فى العصر الفرعونى على شرح توضيحى لخطوات شائكة كانت مثارًا لجدل واسع حتى فى وقتها)، أو فيما يتعلق بمطابقة أسماء الأدوية - كما سنجد فيما بعد - التى كُتب أغلبها بالهيراطيقية.

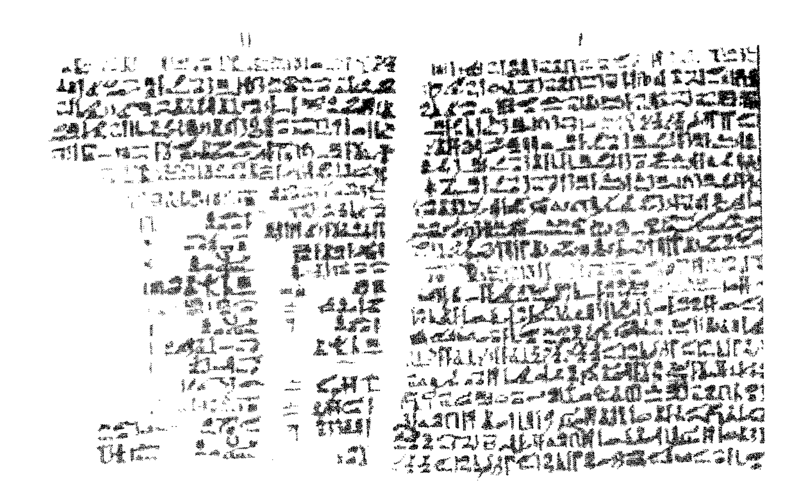
بردية "إيبرس" Ebers

أول ما عُرف من البرديات كانت بردية "إيبرس". وربما يعود ظهورها فى سوق العاديات والآثار القديمة إلى اكتشافها فى إحدى جبَّانات طيبة. حصل عليها "سميث" عام ١٨٦٢م. ثم تنازل عنها لـ"إيبرس" عام ١٨٧٢م. وهو من قام بنشرها بعد ذلك عام ١٨٧٥م. توجد هذه البردية حاليًا فى مكتبة جامعة "ليبزج"، كما ظهرت أول ترجمة لها بالألمانية عام ١٨٩٠م. وفى عام ١٩١٣م، قام "ڤريزنسكى" Wreszinski بكتابتها بالهيروغليفية. ثم قام "أبل" Ebbell بترجمتها إلى الإنجليزية عام ١٩٣٧م؛ ولكن ظلت الترجمة دومًا مجالاً لكثير من المناقشات.

تُعد بردية "إيبرس" أكبر نص طبى؛ إذ تصل إلى ١١٠ صفحات وتضم ٨٧٧ فقرة. تم تأريخها بحقبة حكم الملك "أمنحتب الأول" (عام ١٥٣٠ق.م.، الأسرة الثامنة عشرة)، ولكن، أجزاء



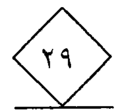
منها تعود إلى حقبة أكثر قِدَمًا. تتناول فى مضمونها الطب دون أى ترتيب أو تصنيف بعينه، فبعض الفقرات على سبيل المثال تحتوى على موضوع معين، مثل الفقرات التى تناولت أمراض المعدة وأمراض العيون، كما توجد بعض الأجزاء شائعة فى البرديات الأخرى. ولكن تبقى كثير من المصطلحات مبهمة؛ وذلك بسبب افتراض أنه تم تناولها من قبل.



صفحتان من بردية "إيبرس" (جامعة ليبزج Lipsia).

بردية "إدوين سميث" Edwin Smith

هذه البردية أيضًا حصل عليها "سميث" من إحدى الأسواق المصرية بالأقصر عام ١٨٦٢م. وربما تعود أصولها هى الأخرى إلى أصول البردية السابقة نفسها (بردية إيبرس)، كما أنها تنتمى أيضًا لنفس الحقبة الزمنية، ولكنها تحتوى على العديد من الشروح التفصيلية للمصطلحات القديمة التى لم تعد تُستخدم بعد. تُعد هذه



البردية - من وجهة نظرنا - واحدة من البرديات العلمية البحتة، وسوف نرى لاحقًا على أى شىء تستند وجهة النظر هذه.

توجد البردية حاليًا فى الأكاديمية الطبية بنيويورك. نشرها "برستيد" عام ١٩٣٠ مع ترجمة رائعة لها وتعليق عليها. عمليًا، تفتقر بردية "سميث" إلى تعاويذ السحر ولكنها فى المقابل تحتوى على ٤٨ حالة من حالات الجروح (الحالة الأخيرة غير مكتملة)، بدءًا من الجمجمة وصولاً إلى الصدر (ولكنها للأسف تفتقر إلى الجزء المتعلق بالحوض والأطراف السفلية). سوف نرى فيما بعد وبالتفصيل المنهجية العملية للطبيب المصرى القديم (وهو ما نراه فى معالجة الأمراض المتعلقة بمرض الكزَّاز). على الجانب الآخر، تحتوى البردية على ثمانى تجارب مثيرة للإعجاب والدهشة، منها "روشتة" أمراض نساء خاصة بمتاعب الدورة الشهرية عند النساء وثلاث "روشتات" (وَصْفات طبية)، خاصة بمستحضرات تجميل الجلد (يُقال لتحويل العجوز إلى شاب)، ومنها أيضًا وصفة طبية لمتاعب الشرج غير المحددة (ربما تكون البواسير).

صفحة من بردية "سميث" الجراحية (الأكاديمية الطبية بنيويورك).

بردية "هيرست" Hearst

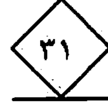
تم العثور عليها بدير البلأّص Ballas عند إجراء عمليات حفر غير شرعية. تنازل عنها "ريزنر" Reisner عام ١٩٠١ أثناء حملة "هيرست" التى قامت بنشرها فى عام ١٩٠٥م. قام "ڤيرزنسكى" Werszinski بترجمتها فى عام ١٩١٢م. وهى تعود إلى الأسرة الثامنة عشرة وتُحفظ حاليًا فى جامعة كاليفورنيا. وتحتوى البردية على ٢٦٠ فقرة فى الطب العام، منها ما يقرب من مائة فقرة تم تناولها بالتوالى فى بردية "إيبرس".

بردية "برلين" Berlin

حصل عليها "پسالاكو" Passalacqua فى منطقة سقارة. وهى محفوظة حاليًا بمتحف برلين الذى قام بشرائها عام ١٨٢٧م (رقم ٣٠٣٨) ربما تعود إلى عصر الأسرة التاسعة عشرة؛ ولكنها تُظهر هى الأخرى أصولاً قديمة (١٦٣ ق.م.) وتحتوى على ٢٠٤ فقرات بعضها يتشابه مع ما ورد فى بردية "إيبرس". وقام "ڤيرزنسكى" بنشرها فى عام ١٩٠٩م.

بردية "لندن" London

لم ترد إلينا أخبار عن أصلها. حصل عليها المتحف البريطانى عام ١٨٦٠م (رقم ١٠٠٩٥). يمكن تأريخها تقريبًا فى فترة حكم الملك "توت عنخ أمون" (الأسرة الثامنة عشرة). هو أيضًا "ڤيرزنسكي" من قام بنشرها عام ١٩١٢م. البردية تفتقر كثيرًا



إلى وحدة الترابط وتحتوى على ٦١ وَصْفة طبية، تعتمد في جزء كبير منها على السحر.

برديتا "كاهون" Kahun

تم العثور على هاتين البرديتين عام ١٨٨٩م على يد "پترى" Petri بالقرب من اللاهون بالفيوم، وتوجدان حاليًا بحالة سيئة فى جامعة لندن.

البردية الأولى، وهى مكتوبة بالهيراطيقية، مقسمة إلى ٣٤ فقرة وتحتوى على موضوعات فى طب أمراض النساء. أما الثانية، وهى مكتوبة بالهيروغليفية، فتتناول الطب البيطرى.

تعود البرديتان إلى فترة حكم الملك "أمنمحات الثالث" (الأسرة الثانية عشرة)، وقام "جريفيز" Griffith بنشرها عام ١٨٩٨م.

برديات "شيستر بيتى" Chester Beatty

عبارة عن مجموعة برديات تشكل جزءًا من تراث ضخم تم العثور عليه بدير المدينة عام ١٩٢٨م. تنتمى هذه المجموعة من البرديات إلى أسرة من الحِرَفيِّين بقرية الجبانات بالأسرة التاسعة عشرة، جدها الأكبر هو "قن حر خبش إف" Qenherkhepeshef. قام السير/ ألفريد شيستر بيتى، بإهدائها إلى المتحف البريطانى، وهى بحالة سيئة. نشرها "جاردنر" Gardiner فى عام ١٩٣٥. من وجهة النظر الطبية، تُعتبر البردية الرابعة أهمها على الإطلاق والتى قام بترجمتها "يونكر" Jonckeere عام ١٩٤٧م. وهى تحتوى على ٤١ فقرة وتعالج بشكل أساسى التهابات الشرج.



بردية "كارلسبرج الثامنة" Carlsberg

لم يُستدل على أصلها. توجد حاليًا في معهد المصريات بجامعة كوبنهاجن. قام "إيفرسن" Iversen بنشرها عام ١٩٣٩م. يمكن تأريخها بالأسرتين التاسعة عشرة والعشرين؛ ولكنها تنتمي هي أيضًا بأسلوبها إلى حقبة ذات أصول عتيقة. وتحتوي على وصفات خاصة بأمراض العيون ومراحل تطور الحمل مثل برديتيْ" برلين"، و"كاهون".

برديات الرمسيوم Ramesseum

عثر عليها "كويبل" Quibell ضمن مجموعة البرديات التي عثر عليها عام ١٨٩٦ بمخازن معبد الرمسيوم. تتناول ثلاثة منها موضوعات طبية (البردية الثالثة والرابعة والخامسة)، ولكنها في حالة سيئة جدًا. قام "جاردنر" بنشرها عام ١٩٥٥م، وقد كُتبت بالهيروغليفية وقام بالتعليق عليها "بارنز" Barns بعد عام من نشرها. قد تعود إلى عصر الأسرة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة. كُتبت في أعمدة رأسية والرابعة منها بالهيروغليفية المائلة مثل بردية "كاهون" البيطرية. تتناول برديات الرمسيوم طب النساء وطب العيون وطب الأطفال ومتاعب المفاصل، ولا ينقصها بطبيعة الحال أساليب السحر.

بردية "بروكلين" Brooklyn

تعود إلى الأسرة الثلاثين أو إلى بداية حقبة البطالمة ولكنها كُتبت باللغة المصرية الوسطى. تُحفظ حاليًا في متحف بروكلين، وقام مؤخرًا "ساونيرون" Sauneron بنشرها عام ١٩٨٩م.



تُعد بردية بروكلين وثيقة طبية لعلاج لدغات الثعابين، وتتكون من مائة فقرة (فُقد منها الثلاث عشرة فقرة الأولى). وعلاج هذه اللدغات يأتى غالبًا من الطبيعة مع قليل من طقوس السحر. وسوف نحصل فيما بعد على المزيد من المعلومات حول هذا الموضوع بشىء من التفصيل.

إلى هذه المجموعة المنتقاة من البرديات كان يتعين إضافة بعض النصوص المتفرقة، مثل بردية "إيرمان" Erman ببرلين (رقم ٣٠٢٧) والتى يمكن تأريخها بالأسرة الثامنة عشرة. قام "إيرمان" بنشرها عام ١٩٠١م مع بعض الوصفات لعلاج أمراض الأطفال. هناك بردية ببرلين (وهى رقم ١٠٤٥٦) والتى قام بنشرها "وستيندورف" Westendorf عام ١٩٧٥م مع عشرات الموضوعات التى تتناول الطب العام. هذا بالإضافة إلى بعض الوصفات بالبردية رقم ٤٨٦٤ بمتحف اللوفر والتى قام بنشرها "پوزنير" Posener عام ١٩٧٦م، وبعض الشقافات مُذيَّلة بتعليق طبى.

بعيدًا عن الحقبة الفرعونية التى نحن بصدد معالجتها، كان يتعين علينا كذلك الإشارة إلى بعض البرديات الطبية المكتوبة بالديموطيقية التى امتزجت ـ إذا جاز لنا التعبير ـ بالطب القبطى؛ حيث تأثرت لحد كبير بالطب الإغريقى، فقد اتسم الكثير منها بغلبة السحر عليها مثل بردية "لندن"، و"ليدن" التى تعود إلى القرن الثالث الميلادى، والتى قام "جريفيز" و"تمسون" Griffith e Thompson بنشرها عام ١٩٠٤م. أما الأجزاء المحفوظة منها فى هولندا فقد تم الحصول عليها فى عام ١٨٢٨م، والأخرى المحفوظة فى المتحف البريطانى تم الحصول عليها عام ١٨٥٧م. وتحتوى هذه البردية على شرح تفصيلى باللغة اليونانية.



بالإضافة إلى ما سبق، هناك أيضًا "وصفتان" لعلاج أمراض النساء والتوليد وأخرى لعلاج التهابات الأذن. أما بردية "فيينا" Vienna أو ما يُطلق عليها "فيندوب" Vindob رقم ٦٢٥٧ (كروكوديلوپولس Crocodilopolis، القرن الثانى الميلادى) فلا تحتوى على خرافات سحرية؛ ولكنها تقدم العديد من العناصر الجديدة شديدة الأهمية فى الطب الإغريقى. قام "ريموند" Reymond بنشرها عام ١٩٦٧م وتحتوى على مجموعة من الوصفات الطبية للكثير من الأمراض، منها أمراض الجلد، وأمراض الباطنة، والأورام، ومتاعب أمراض النساء والتوليد، وأخيرًا أمراض الأُذن. وفى عام ١٩٩٤م، قام "بريشانى" Brescieni بجهد لإضافة الكثير من التفصيلات لهذه البردية.

تحتوى بردية برلين (رقم ١٣٦٠٢) من منطقة "أبو صير الملق" Abu Sir el Melek (القرن الأول قبل الميلاد - إركسين Erichsen ١٩٥٤م) على موضوعات تتعلق بأمراض النساء والتوليد ووسائل منع الحمل. وتتناول بردية "فيينا" أيضًا فى أحد أجزائها (رقم ١٢٢٨٧) والتى قام بنشرها "ريموند" عام ١٩٤٨م، بعض الأمراض المتعلقة بالإنسان.

هناك أيضًا إحدى البرديات الطبية القبطية التى قام بنشرها "إميل شاسينا" Chassinat عام ١٩٢١م، قد تعود إلى القرنين: التاسع والعاشر الميلاديين، فهى مزيج من الطب المصرى القديم والطب الإغريقى والطب القبطى، وأخيرًا الطب العربى.

تُعتبر البقايا البشرية أحد المصادر المباشرة، فقد وصلت إلينا بأعداد كبيرة على الرغم من مرور سنوات عدة وعلى الرغم أيضًا من عوامل التخريب التى قام بها الإنسان فى المومياوات عبر



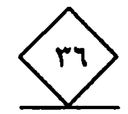
القرون؛ وخاصة عندما شُرع فى استخلاص ما أُطلق عليه "تراب المومياء" لاستخدامه فى أغراض علاجية: "مومياء" هى كلمة عربية تعنى: "القَطِران" أو "القار". وكان الاعتقاد السائد أنه يتم التحنيط بهاتين المادتين. هذه البقايا وُزعت فى مختلف المتاحف والمعاهد العلمية فى العالم.

باستثناء البقايا البشرية الموجودة فى المتحف المصرى، فإن هناك أعدادًا كبيرة فى متحف العلوم الإنسانية بتورينو، وهى عبارة عن (١١٦٨) قطعة من بقايا هيكل عَظْمىّ (٤٧٩ هيكلاً عظميًا مكتملاً، و١٥٩ هيكلاً عظميًا غير مكتمل؛ بالإضافة إلى ٥٣٠ جمجمة، و٢٥ مومياء كاملة و ٨٠ جزءًا من مومياوات. وهى تمثل أكثر من ١٠% من المواد العالمية المتاحة تحت أيدينا، وقام بجمعها "مارو" Marro خلال حملات الحفريات التى قام بها "سكيا باريللى" Schia Parelli و"فارينا" Farina بأسيوط ومنطقة الجبلين Gebelein (فى جنوب أرمنت ـ محافظة الأقصر) ما بين عامَىْ ١٩١١م، و١٩٣٥م.

ليكن تقسيم الآثار المُحنَّطة إلى فئتين:

- الآثار المحنطة طبيعيًا بفعل التجفيف، وذلك بسبب العوامل المناخية الرائعة التى تتميز بها مصر.
- الآثار المحنطة عن طريق عملية صناعية باستخدام عناصر التجفيف مثل النطرون على سبيل المثال، واستخدام أنواع معينة من مادة "الراتنج".

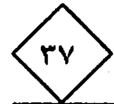
ويجب التأكيد هنا على أن استخدام الوسائل الصناعية فى التحنيط أسفرت عن أضرار جسيمة بلفائف القماش التى يتم حفظ



المومياء بها. وأفضل المومياوات التى يمكن استخدامها فى البحث والدراسة هى التى تم تحنيطها أو تجفيفها بطريقة طبيعية.

يُلاحظ أن عملية التحنيط انتقلت إلينا عن طريق "هيرودوت"، ثم انتقلت إلى حقبة متأخرة نسبيًا بالنسبة لمصر الفرعونية القديمة (القرن الثانى: ٨٦-٨٨). يقول "هيرودوت":

"هناك بعض الأفراد المؤهلين بالفعل لهذه المهمة. هؤلاء عندما يتم حمل الجثة .. يقومون بشرح .. أدق طريقة من طرق التحنيط، ثم يوضحون الطريقة الثانية وهى أقل سعرًا، ثم الطريقة الثالثة وهى كذلك قليلة التكلفة، فهم يقومون بعملية التحنيط بأسلوب يتسم بالدقة والإتقان على النحو التالى: فقبل كل شىء يقومون باستخراج المخ عن طريق فتحتَى الأنف، وباستخدام قطعة من الحديد المعقوف يتم استخراج بعض الأجزاء والبعض الآخر يتم استخراجه بالعقاقير. وعندئذ باستخدام أخد الأحجار الإثيوبية المدببة- وبعد إحداث فتحة طولية بجنبه - يتم استخراج الأمعاء ثم غسلها وتطهيرها بنبيذ البلح، ثم إعادة غسلها مرة أخرى بمسحوق المواد العطرية. ثم يتم ملء تجويف البطن بقطع من المُرِّ النقى والقرفة وبعض العطور الأخرى باستثناء البَخُور، ثم يُخاط هذا الجزء ثانية. ثم بعد ذلك، يُعالج الجسم كله بتغطيته بـ"النطرون" لمدة سبعين يومًا.. بعد مرور السبعين يومًا هذه يتم غسل الجسد ثم يُلف بأكمله بلفائف من الكتَّان يتم لصقها بالصمغ .. ومَنْ يرغب فى عملية تحنيط متوسطة التكلفة كان عليه أن يتغاضى عن المصروفات الباهظة الثمن، فيتم إعداد المُتوفَّى بالطريقة السابقة ثم يتم ملء محقنة بزيت شجر الأرْز وتُحقن بها البطن دون فتحها واستخراج الأمعاء منها؛ ولكن يتم حقن الزيت عن طريق المؤخرة، وبدون استخراج المحقنة تتم معالجة الجسد بملح



النطرون لعدة أيام محددة وفى اليوم الأخير يتم استخراج زيت شجرة الأرز من البطن؛ هذا الزيت كان قادرًا على أن يخرج معه الأمعاء والأحشاء المتحللة. أما النطرون فكان يقوم بعملية تآكل لحم الجسد بحيث لا يتبقى منه فى النهاية سوى الجلد والعظام .. أما الطريقة الثالثة من طرق التحنيط وهى أرخص الأنواع وكانت تُستخدم للفقراء، فهى كالتالى: بعد تنظيف البطن عن طريق استخدام مُلين تتم معالجة جسد المتوفى بالنطرون لمدة سبعين يومًا، ثم يُزال عنه بعد ذلك.

كما حدثنا "ديودور الصقلى" أيضًا عن عملية التحنيط عند قدماء المصريين ولكننا ما زلنا فى حقبة متأخرة أيضًا (القرن الأول ق.م.)، فهو يصف عملية التحنيط بشيء من التفاصيل التى تجاهلها "هيرودوت" حيث يتم استخراج الأحشاء عن طريق حفر فى الحوض (غالبًا ما يكون على الجانب الأيسر)، ثم يتم وضعها فى أربعة أوانٍ يتم غلقها بأغطية أخذت ـ فى عصر الدولة القديمة والدولة الوسطى ـ شكلاً مثاليًا لرأس المُتوفى، ثم بعد ذلك فى عصر الدولة المتأخرة أخذت هذه الأغطية أشكال رؤوس "إيمست" Amest (وهو رأس آدمى)، و"حابى" Hapi (رأس قرد)، و"دواموت إف" Duamutif (رأس كلب)، و"قبح سنواف" Qebehsenuf (رأس صقر)، ويُقال إنهم أولاد حورس Horo وحراس الموتى. كانت هذه الأوانى تحتوى بالترتيب على الكبد والرئتين والمعدة والأمعاء، كل عضو يكون تحت حماية إحدى الإلهات: "إيزيس"، و"نفتيس"، و"نيت"، و"سرقت". واشتُق لفظ "كانوبى" أى الوعاء الفخَّارى من تصوُّر لإله مصرى ـ إغريقى ينتمى لحقبة البطالمة والرومان ـ وهو الإله "كانوبو" Canopo



الذى تمت عبادته فى أحد أحياء الإسكندرية ويحمل نفس الاسم، وقد صُوِّر على هيئة إناء عليه غطاء برأس آدمى.

فى هذا السياق نذكر عملية تحجير أجساد الموتى التى أخبرنا بها "چيرولامو سيجاتو" Girolamo Segato التى لم يعد لها أثر حاليًا، ولكن من المحتمل أنه درسها بمصر خلال الأعوام من ١٨٢٠م إلى ١٨٢٣م، بعد أن اشترك فى بعثة إسماعيل باشا فى "السينار" Senar عام ١٨٢٠م. هذه الطريقة من طرق التحنيط أثارت خيال الكثيرين فى شتى المجالات ومن المحتمل أنها كانت الفكرة الأساسية لأحداث إحدى القصص المصورة بالإيطالية (تيكس Tex)، ومنها استُوحى أيضًا فيلم "تيكس وسيد الهاوية" عام ١٩٨٥م. ولكن كانت عملية التحجير هنا عملاً "حيًا".

وبالعودة إلى موضوعنا، نجد أنه وفقًا لتلك المعطيات تمكن العلماء - وسوف يتمكنون دومًا - من إجراء الأبحاث فى مجال علم الإنسان وفى مجال علم الأمراض. وهذا المصطلح الأخير (علم دراسة الأمراض وأسبابها) قد ابتدعه "روفر" Ruffer عام ١٩١٣م. ولكن قبل إجراء أى أبحاث فى هذا الصدد يجب أولاً تقييم مخاطر ما بعد الموت: "Post Mortem"، تلك المخاطر التى تلحق بجسد المتوفى من جراء استخدام العوامل الاصطناعية فى عملية التحنيط (قد يحدث ذلك من جرَّاء الاستخدام المفرط لمادة الرَّاتنج وبعض العناصر الكيميائية الأخرى)، أو عند استخدام الجراثيم أو الحشرات للوصول إلى ما يشبه علم دراسة الأمراض (على سبيل المثال سقوط الرحم). وسوف نرى على وجه الخصوص كثيرًا من التطبيقات عند تناول العديد من علوم دراسة الأمراض. على أية حال، عند معالجة كل موضوع على حدة يجب استخدام أكبر قدر من المعلومات واستهلاك أقل المواد. فلقد تم استخدام تقنيات



(الاتحاد) التفاعل مع الماء وتلوين الأنسجة منذ القرن الثامن عشر، ثم خلال القرن الماضى وصولاً إلى عصرنا الحديث.

لقد سلط العالم رابين ماسا Rabin Massa الأضواء على العديد من الخلايا التى تم تلوينها بطرق متخصصة وتمت ملاحظتها تحت الميكروسكوب البصرى، ومنها: خلايا أنسجة جَفْن العين (تلوين جالجانو Galgano)، وخلايا النسيج العضلى (لون أحمر حديدى)، ونسيج كثير الشحوم (أسود سودانى)، وغضروف الأُذُن، والأوعية (تلوين مالورى Mallory). كما تم أيضًا، ملاحظة خلايا الشعر تحت الميكروسكوب البصرى والميكروسكوب الإلكترونى.

قام كلٌ من "چاكوميتى وكياريللى" Giacometti e Chiarelli بعمل دراسة حول الجلد، كما تم إجراء أبحاث حول المكونات الحَمْضية الأمينية للبروتينات لتقييم درجة احتفاظها بالمكون الكيميائى حتى عام ١٩٣٧م. وعند تحليل فصائل الدم تم تطبيق بعض النتائج الخاصة بجهاز المناعة، وذلك عندما توصل بويد Boyd إلى هذه التقسيمة لفصائل الدم (٤٠% فصيلة A ، و٢٢% O، وB ، و١٧% AB). وهى لا تختلف كثيرًا عن التوزيعة الحالية للشعب المصرى. كما قام "كياريللى" بتأكيد هذه النتائج فى عام ١٩٧٩م. وثمة تطبيقات أخرى ما زالت تُجرَى فى مجال الأمراض المُعدية والأمراض الناتجة عن الطفيليات. على سبيل المثال، فى عام ١٩٩٨م، قام كوريا Correa بإجراء اختبار مناعى واكتشف وجود عدوى بكتريا شمسية (Helicobacter Pylori) فى اثنتين من المومياوات التى تنتمى لأحد الشعوب الأمريكية الفقيرة. لذا، اقترحنا إجراء اختبار آخر للتأكد من هذه النتائج وبنفس الطريقة على مومياوات مصرية.

ثمة معين آخر في مجال دراسة علم الأمراض جاء إلينا عن طريق استخدام أشعة رونتجن Roentgen. سوف نرى العديد من الأمثلة على استخدام هذه التكنولوچيا والتي قامت مؤخرًا بدورها الفعال بجانب الوسائل الأخرى، مثل الأشعة المقطعية المحورية بالكمبيوتر Tomgrafia Assiale Computerizzata (ت ا ك TAC) والتي استُخدمت حتى نهاية السبعينيات، أو أشعة X وكذلك الأشعة بالصبغة التي استخدمت على مومياء الملك رمسيس الثاني وأخيرًا، المنظار الداخلي Endoscopia الذي استُخدم هو الآخر في كثير من المجالات.

منذ سنوات قليلة تم تطوير أحد النظم العلمية وهو علم الآثار الجزيئي. كما لوحظ أن عيّنات الحَمْض النووي DNA القديمة يمكنها البقاء حتى وقتنا هذا، وإن كانت قد فسدت بعض أجزاء منها مثل حالة الحشرات الموجودة في نبات العنبر. كما أمكن استخلاص الـ DNA من عظام قديمة. في عام ١٩٨٥م، قام پابو Pāābo باستخلاص بعض عينات من الحمض النووي DNA من أنسجة مومياوات متحف كان يُطلق عليه متحف برلين الشرقية: تم الحصول عليها عن طريق استنساخ جزيئي؛ حيث تم صهر أجزاء من أنسجة إحدى المومياوات تعود إلى (٢٤٣٠+١٢٠) عامًا تتراوح من ١٠٠ - ٢٠٠ زوج، وتم تكاثرها في بطاريات. نجح هذا العالم في عزل بكتريا مستنسخة تحتوي على سلالتين من Alu (وهي سلالة منتشرة بكثرة في الجنس البشري). وفي العام السابق، توصل العالم هيجوشي Higuchi ومجموعته العلمية لاستنساخ سلالات من الحمض النووي DNA في أحد الحيوانات: هو حيوان يشبه الحمار الوحشي كثيرًا، كان موجودًا حتى نهايات القرن الماضي.

فى عام ١٩٨٥م، اكتشف "مولله" Mullis تفاعل سلسلة من المركبات الكيميائية (پ.س.آر PCR)(*) يساعد على التوسع فى دراسة الحمض النووى عن طريق بعض المُركّبات الأوّلية المتاحة. وبذلك ازدادت إمكانات البحث فى هذا المجال بشكل هائل. فقد اتضح أن تفاعل (PCR) يمكنه إعادة بناء حمض DNA الذى لم يُمس من قبل، باستخدام العديد من الجزيئات القديمة والتى فسدت فى أجزاء منها. على أية حال، فإن المشكلة الأكثر صعوبة التى نواجهها عند استخدام هذه التكنولوچيا تتمثل فى تلوث الحمض النووى الحالى، بما يهدد بفشل كثير من الأبحاث العلمية.

كما تساعد تحاليل الحمض النووى على دراسة أصول الشعوب القديمة، وتقييم مدى العلاقة فيما بينهم والحقبة التى ينتمون إليها والسلالة التى ينحدرون منها. عند تحليل الآثار المصرية القديمة يمكننا دراسة أصول الشعوب التى تنتمى إلى وادى النيل، وفى بعض الحالات تبدو ثمة علاقة نَسَب أو قرابة بين الأسَر المختلفة وبين أعضاء أسرة الإله الفرعون. كما أنها تفتح المجال بالتالى أمام الدراسات الچينية للخلايا الوراثية التى تحدد بدورها نسبة الهيموجلوبين فى الدم، مما يساعد على دراسة انتشار أمراض (Talassemie) "أنيميا البحر المتوسط" وأمراض الهيموجلوبين (Emoglobinopatie).

كما أن هناك نقاشًا حادًا يدور حول إمكانية إبقاء الجراثيم حية فى الأنسجة الجافة أو التى تم حفظها: كما هو الحال فى ڤيروس الجُدَرِىّ الذى قد يهدد فكرة استئصال المرض.

(*) تفاعل البلمرة المتسلسل. (المراجع).

المصادر غير المباشرة

هى مصادر مكتوبة تحتوى على بعض الفقرات من العهد القديم، وبصفة خاصة الجزء الأول منه. وتتكون أيضًا من أعمال بعض الكتاب القدامى، والتى تُعد شاهدًا على حقبة بعيدة عن الحضارة الفرعونية ولكنها وطيدة الصلة والتأثر بالحضارة الإغريقية. ونشير هنا إلى هيرودوت من هاليكارناسوس(*) Alicarnasso (القرن الخامس قبل الميلاد) الذى يتناول باستفاضة مصر؛ وخاصة فى الكتاب الثانى من سلسلة "التاريخ" حيث يعقد مقارنات ذات قيمة علمية وطبية. كذلك "ديودور الصقلى" (القرن الأول قبل الميلاد)، فى سلسلة "المكتبة التاريخية"؛ وخاصة فى الجزء الأول والذى خصصه كلية للحديث عن مصر مع إشارات واضحة للطب. وتجدر الإشارة هنا أيضًا إلى إكاتيو دى أبديرا Ecateo di Abdera (القرن الرابع قبل الميلاد)، فى أحد أعماله التى لم نستطع الحصول عليها وهو سلسلة "القدماء المصريون" (ثلاثة كتب)، والذى يؤكد أن جميع ثقافات الشعوب المتحضرة نهلت من مصر ومن حضارتها العظيمة. فقد اعتمد هذا العمل على مصادر كهنوتية عند قدماء المصريين.

أما عالم الجغرافيا "سترابون" (القرن الأول قبل الميلاد)، فقد تناول مصر فى كتابه الأخير بعنوان: "الجغرافيا"، ولكن هذا المؤلِّف ـ على عكس الكاتبين السابقين ـ لم يتناول الكثير عن أخبار الطب. أما "كليمنت"، فقد تحدثنا عنه سابقًا.

(*) هاليكارناسوس التى ولد بها هيرودوت هى بلدة تقع على الشاطئ الغربى لآسيا الصغرى.

يمكن الحصول على الكثير من المعلومات عن الطب عند قدماء المصريين من خلال أعمال أبوقراط (القرنان الرابع والخامس قبل الميلاد).

فى العصر البطلمى، كانت مكتبة الإسكندرية (حيث يمكن الحصول بالتأكيد على أعمال أبوقراط) ملتقى الثقافات والوريث الشرعى لعلوم الحياة. هذا الدور الذى لعبته الإسكندرية كبوتقة للعديد من الثقافات التى تأثرت بالحضارة المصرية القديمة، ساهم كثيرًا وبأسلوب علمى متخصص فى دراسة علوم الطب.

أما "سيرابيون" Serapione (القرن الثالث قبل الميلاد)، مؤسّس المدرسة التجريبية، فقد استطاع عن طريق بردية "إيبرس" وبردية "برلين" أن ينقل إلى كلٍّ من "بيدانيو" Discardie Pedanio (القرن الأول قبل الميلاد)، صاحب سلسلة "المواد الطبية" والتى تتكون من خمسة كتب، و"جالينوس" Galeno (القرن الثانى قبل الميلاد)، صاحب كتاب "فنون الطب" - أسرار علاج بعض الأمراض الحادة؛ وكذلك الأمراض المزمنة.

كما نجد فى كتاب "تاريخ الطبيعة" لـ"بليميو" Plimio (القرن الأول قبل الميلاد) آثارًا واضحة لعلوم الطب عند قدماء المصريين.

مع قدوم الإغريق إلى مصر حدث تبادل ما بين علوم الطب بين البلدين، وساعد على ذلك وجود مستعمرة "نوكراتيس" الإغريقية فى الدلتا والتى تأسست خلال حكم الأسرة السادسة والعشرين. نلاحظ فى هذا المقام حالة الطبيب الإغريقى ديموسيد Democede والذى أشار إليه "هيرودوت" (فى الجزء الثالث ،

ص ١٢٩)، فقد استطاع التوصل إلى علاج لحالات الالتواء المصحوب بتمزق الأنسجة، كما تمكن من النجاة من حكم الإعدام الذى أصدره الحاكم على الأطباء المصريين دون ذنب اقترفوه.

فى هذا الملتقى الثقافى - حيث كانت الإسكندرية آنذاك تحت الحكم البطلمى، بينما كان الكاهن المصرى "مانيتون" مكلفًا من قِبَل الحاكم البطلمى "فيلادلفيوس الثانى" بكتابة تاريخ بلاده - ازدهرت مدرسة كبيرة من مدارس الطب فى مصر حيث درس بها "جالينوس" فيما بعد. كما ازدهرت ولمعت فيها أسماء عدة، مثل "إيروفيلو" (القرن الثالث قبل الميلاد)، و"كالشيدونيا" Calcedonia و"إيراسيستراتو" Erasistrato. كان "إيروفيلو" أول من قام بقياس النبض (لدينا معلومات مؤكدة بهذا الصدد، حتى وإن كان المصريون القدماء قد نجحوا فى ذلك من قبل)، وهو من أكد أيضًا أن الشرايين تحتوى على الدماء. وبالتعاون مع "إيراسيستراتو" أجرى العديد من الأبحاث التشريحية وخاصة على الجمجمة، بعضها كانت تجارب حية تم إجراؤها على المحكوم عليهم بالإعدام، كما ذكر "شيلسو" Celso (القرن الأول الميلادى) فى كتابه "الطب". نستطيع القول إنه لولا إسهامات واستشهادات بعض الكُتَّاب اللاحقين مثل "جالينوس"، لم يكن للبشرية أن تتعرف على العمل الذى أنجزه "إيروفيلو".

نختتم الجزء الخاص بمعالجة المصادر بالإشارة إلى المصادر التى حصلنا عليها من الفن التشكيلى. فهناك التماثيل ذات الأبعاد المختلفة والتى تصور أشكالاً مادية لا تخضع للمعايير السائدة (فى هذا الصدد لا بد أن نتذكر دائمًا أن هذا التجسيد كان تجسيدًا خياليًا تعبيرًا عن الجسد)، مثل العديد من

تماثيل الأقزام أو الهيئة الغامضة للملك أخناتون. كذلك النقوش الموجودة على المصاطب فى عصر الدولة القديمة والخاصة بـ"پتاح حتب"، و"ميحو"، و"عنخ ماحور" بسقارة، مع وجود بعض الصور يظهر بها مرض الفتاق وبعض مناظر للختان. هناك أيضًا اللوحات الجدارية على مقبرة "إبوچى" Ipy بدير المدينة (قد تعود إلى عصر الأسرة التاسعة عشرة)، والتى يظهر بها آثار بعض الحوادث إما على العمل نفسه أو على بعض الشقافات، أو على اللوحات مثل لوحات "ريمو" Remo أو "نفر عبو".

إن تقييم مثل هذه الأعمال من وجهة النظر الطبية والتحليلية يجب أن يتم دائمًا بحذر شديد؛ حتى يمكننا تلافى عيوب كثيرة نشأت ربما عن اختلاف الأساليب الفنية أو المعتقدات، أو ربما أيضًا لعدم خبرة الفنان نفسه.

سوف تجد عزيزى القارئ كل هذه المصادر من خلال رحلتنا فى هذا الكتاب عبر الطب عند الفراعنة.

الفصل الثانى

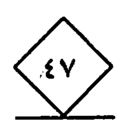
علم التشريح

وعلم دراسة أسباب المرض وأعراضه

أولاً: علم التشريح

حتى وإن كان العمل الذى قام به "مانيتون"، يشير إلى بعض الكتب فى علم التشريح؛ وكذلك ما قام به "كليمنت" الذى أشار إلى كتاب عن تكوين جسم الإنسان - إلا أن الحقيقة المؤكدة أن المعارف المتعلقة بعلم التشريح لدى قدماء المصريين لم تكن متعمقة، وقد يرجع ذلك لقلة المعلومات عن الأمراض المتعلقة بالأعضاء البشرية نفسها، وكذلك عدم ممارسة عملية التشريح على الجثث كنوع من التبجيل والاحترام لها.

كان يتعين على من يقوم بعملية التحنيط أن يعلم جيدًا مكان الأعضاء، التى انتزع بعضًا منها - كما أوضحنا سالفًا - وتم



وضعها فى أوانٍ فَخَّارية. بينما تم انتزاع المخ عن طريق الأنف، أما عظام جدران التجويف الأفقى فكان يتم استخراجها بواسطة خُطّاف مخصص لهذا الغرض. بعض من هذه المعارف انتقل بلا شك إلى الأطباء، ولكن الوحيد الذى مارس عملية التشريح كان - كما قلنا من قبل - "إيروفيلو" فى الإسكندرية فى العصر البطلمى. ولكن يظل علم التشريح بهذا الأسلوب المتفرد حكرًا على العصر الفرعونى.

احتوت برديات (إيبرس - برلين - سميث وكذلك الحواشى)، على بعض الفقرات عن علم التشريح، وقد تكون الملهم لكتاب "كليمنت". كان هناك العديد من المفردات التى تدل على أجزاء مختلفة من جسم الإنسان.

على أية حال، ليس هناك شك فى أن كثرة الإصابات الناتجة عن العمَليات العسكرية وكذلك إصابات العمل، أفرزت لدى الطبيب المصرى نوعًا معينًا من المعرفة التشريحية. فكان للقلب اسمان: Ib و Haty يمكن التبديل نسبيًا فيما بينهما (كما سنرى تفصيليًا فيما بعد). وأُطلق على المعدة اسم: "r-ib" أى "فم القلب". وهناك أيضًا كلماتِ أخرى تدل على بعض الأعضاء، مثل: Miset (الكبد)، وSema (الرئتان)، وSheptyt (المثانة)، وKab (المعدة)، وNeneshem (الطِّحال)، وLemet (الرّحِم)، وGeget (ربما تكون الكُليتين).

نجد فى بردية "سميث" (الحالة رقم ٦)، الحاشية (أ) أول وصف دقيق للمخ، وهو العضو الأكثر صعوبة من حيث القدرة على رؤيته، فقد تمت الإشارة إليه بـ ais n djment (أى: باطن الجمجمة): "إذا قمت بفحص أحد الأشخاص به جرح مفتوح فى



رأسه يصل حتى عظام الجمجمة .. بينما الجمجمة مفتوحة والمخ يبدو أمامك، يتعين عليك تحسُّس هذا الجرح، سوف تجد أن القطع الموجود فى الجمجمة يشبه التموجات التى تظهر على النحاس المنصهر فى بوتقة، وسوف تستشعر ما يشبه الذبذبات أو النبضات تحت أصابعك مثل الجزء الرخو على قمة رأس طفل حديث الولادة وهو ما يُعرف بالغشاء الأمامى قبل اكتمال نموه (تلافيف المخ). كما لوحظ أيضًا (الحالة رقم ٦ ـ الحاشية أ) وكما أوضح لنا "نون" Nunn أن المخ مُغطّى بغشاء متليّف (net met) هو ما يُعرف بالأم الجافية dura matre، وكان محاطًا بسائل. "فيما يتعلق بالقطع الموجود فى رأس الجريح والذى يُظهر المخ، فإن هذا القطع يكون كبيرًا بالقدر الذى يسمح برؤية الغشاء الذى يحيط بالمخ داخل الجمجمة. كما تبدو أيضًا فتحة داخل القوى الغيبية الكامنة فى أغوار هذا الرأس".

الفقرتان رقم ٨٥٤، ٨٥٦ من بردية "إيبرس" والفقرة رقم ١٦٣ من بردية "برلين" تصف توزيع "متيو" metu أى (الأوعية أو الأوردة) فى جسم الإنسان: بهذا المصطلح يمكننا التعرف على الأوعية الدموية والليمفاوية أو بعض القنوات ذات الطبيعة المختلفة، مثل الحالب على سبيل المثال، أو الأنسجة العضلية والعصبية. عند مرور الدم تمت دراسة الهواء والمخاط والبول والسائل المنوى وطبيعة ذلك الدم الذى ينقل الأرواح الشريرة ونشاطها المخرب، حيث وجد أن الشرايين تحتوى على هواء (على الرغم من ظهورها فارغة فى جثمان المُتوفَّى). كان هذا هو الاعتقاد العام السائد فى ذلك الوقت وقبل ظهور دراسات "جالينوس"، الذى أوضح الدور الحقيقى للشرايين. يرى "برستيد"، أن الأوردة الموجودة أسفل الترقوة وعددها (٢) (بردية سميث رقم



gl. A R34) أحدهما يوجد جهة الشمال والآخر جهة اليمين، وهما يتصلان بالرئتين ويشبهان إلى حد كبير الشعبتين الهوائيتين والتى تقسمهما القصبة الهوائية.

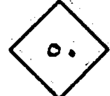
لا يوجد اتفاق حول العدد الإجمالى لهذه الأوعية أو الأوردة فى جميع النصوص سالفة الذكر، فهى كالآتى:

- ١٢ (إيبرس B. 856).
- ٢٢ (برلين B. 163).
- ٤٦ (إيبرس D. 854) وليس ٥٢ كما ذكر "نون".

جميع هذه الأوعية تتصل بالقلب حيث تتوزع عند الأنف وتتجمع مرة أخرى عند الشرج (إيبرس H.856). هذا التأكيد يبدو غريبًا إلى حد ما، فهو لم يراعِ الواقع التشريحى ولكنه ربما يكون تفسيرًا مرتبطًا بالمواد الضارة (الفضلات)، التى تفرزها الأمعاء كما سنرى بعد قليل.

اتجاهات تشريحية عديدة أمكننا الحصول عليها من النصوص، على سبيل المثال:

- الأوردة المتصلة مباشرة بالعين وعددها (٢) ربما تكوّن ما يُعرف بالعصب البصرى.
- الأوعية المتصلة بالأعضاء العلوية المرتبطة بالنبض وعددها (٦) قد تتطابق مع شرايين الذراع (الزند والكعبرة).
- الأوعية الموجودة فى منطقة الحوض وعددها (٢)، وهما يحملان البول (إيبرس N. 854) وربما يرتبطان بالحالب.
- الأوعية الموجودة فى الخُصْيَة وعددها (٢)، وهما يحتويان على السائل المنوى (إيبرس I.854) قد يكون المقصود بهما



الحويصلات المنوية. وبهذه الطريقة يمكن ـ كما يرى خيرى Khery ـ معرفة وظيفة الخصية.

- أما فيما يتعلق بالأوعية المتصلة بالكبد وعددها (٤) (إيبرس I. 854) ، فربما تكون كالتالى : الوريد الأجوف السفلى والوريد البابى والشريان الكبدى وقناة الصفراء.

نلاحظ أيضًا أن التأكيد على أن نَفَس الحياة وهو ما يُعرف بالشهيق يدخل من الشمال، ونَفَس الموت أى الزفير يخرج من اليمين . ينطبق مع معتقد الوجود الأزلى أو الحياة الأبدية.

ثانيًا: علم دراسة أسباب المرض وأعراضه

إذا اعتبرنا أن القلب هو العضو المركزى جسديًا وروحانيًا لجميع أجهزة الجسم، فيكون العقل بذلك قد انتُزعت عنه مهمته الأساسية. وهو ما كان سائدًا من قبل باستثناء "إيروفيلو"، فهو الوحيد الذى اعترف بدور العقل كمحرك للعضلات والأحاسيس ومنبع الذكاء. كما أدرك أن القلب ينبض عن طريق الأوعية. وبذلك تكون قد تركزت مهمة الجهاز الدورى والجهاز التنفسى لتقترب من الحقيقة كما ورد فى إحدى الحواشى فى بردية (إيبرس A. 855): "فيما يتعلق بالنَّفَس الذى يدخل إلى الأنف، فهو يدخل إلى القلب وإلى الرئتين وهما من يتوليان بعد ذلك مهمة توزيعه على جميع أجزاء الجسم". من الضرورى هنا التأكيد على أن الأوعية (الأوردة) التى تحمل الهواء أيضًا تصل مرة أخرى إلى المؤخرة (برلين 163 . H ، إيبرس 856 . H). أما فيما يتعلق بأعراض الأمراض وأسبابها، فإن السبب ـ على سبيل المثال فى حالات (الحوادث) ـ كان معروفًا وكان العلاج يعتمد كلية على



مكونات السحر. أما فى حالات الأمراض الداخلية أو حالات الأمراض التى تسببها أعضاء يجهلها المعالج، فكان يتم البحث عنها وربطها بأحداث بعينها أو إرجاعها إلى تأثير القوى الخارقة كالأرواح الشريرة والشياطين والتى تجعل مهمة العلاج الطبى أكثر صعوبة، باستثناء بعض الحالات التى بذل فيها الأطباء المصريون جهدًا للتوصل إلى علاجات مستخلصة من مواد الطبيعة حتى وإن كانت بعض الحالات الأخرى يتم علاجها عن طريق السحر، ليس كعلاج بديل بل كعلاج مساعد يتم استخدامه بجانب العلاج الطبى. سوف يتم تناول هذا الموضوع بالتفصيل فى الفصل المخصص لصورة الطبيب ودوره فى مجال الصحة فى تلك الحقبة الزمنية.

حول علم دراسة الأمراض الناجمة عن الجروح ـ كما سنرى فيما بعد ـ أخبرتنا بردية "سميث" بمجموعة ممتازة من الأمثلة التوضيحية، منها على سبيل المثال الحالة رقم (٥) المتعلقة بجرح ناتج عن كسر مضاعف فى الجمجمة، أو الحالة رقم (٤١) المتعلقة بتمزق فى الجمجمة الناتج عن سلاح حاد (مثل البلطة). تشير حاشيتان تتعلقان بالحالتين (٥) و(٤١) إلى أحد الكتب عن الجروح ولكنه لم يصل إلينا بعد.

تستطيع الأوعية أن تحمل مواد سامة من الأمعاء إلى جسم الإنسان عن طريق شبكاتها المتعددة (إيبرس G. 855): "تحتوى أوعية القلب على فضلات". عند هذا الحد نود أن نوضح ثلاثة مصطلحات ورد ذكرها فى هذه البرديات، فهى ذات دلالة واضحة خاصة عند تحديد أسباب الأمراض. أول هذه المصطلحات وأكثرها أهمية هو " Wekhedu " الأُخيدو ولم يتم مطلقًا شرح معنى الكلمة ربما لوضوح معناها فهى تُشتق من الفعل Ukhed

بمعنى (يعانى). كانت الأرواح الشريرة تصيب العديد من أعضاء الجسد وكان يوجد لها علاجات عديدة إما لطردها أو للوقاية منها، فهى تنتشر سريعًا عن طريق الأوعية فى جميع أجزاء الجسم وصولاً إلى الشرج (كما رأينا آنفًا).

كما أُشيع أيضًا فكر آخر مفاده أن الأمعاء وهى جزء من الجسد تبدأ عنده عملية التحلل (هذا هو سبب تسمية الأمعاء باطن الحوض ـ أندراوس ١٩٨٤). هذه الظاهرة أوحت للمصريين القدماء بالدفاع عن النظرية الخاصة بأعراض المرض وأسبابه. إن العمل الذى يقوم به "Wekhedu" والذى كان يستلزم إبعاد أسباب الألم عن جسم الإنسان بشتى الطرق، ما هو إلا أسلوب آخر من الأساليب المختلفة لمعرفة أسباب المرض وأعراضه ربما يفسر الاستخدام المفرط للمُلَيِّن من قِبَل قدماء المصريين. وهو ما استشهد بها كلّ من "هيرودوت" و"ديودور الصقلى" عندما تحدثا عن أمراض الجهاز الهضمى، وكذلك ندرة العلاجات المتعلقة بأمراض الإسهال التى اعتبراها وسيلة طبيعية لتخلص الجسم من Wekhedu أى مادة الألم(*).

على أية حال، انتقلت هذه الفكرة إلى المدرسة الإغريقية "Cnido" "كنيدو"، وهى المدرسة التى سبقت مدرسة "أبوقراط" والتى ترى أن فكرة المرض هى مرادف لتعبير "الانبعاث المَرَضىَ للفضلات" التى تكمن تحديدًا فى الأمعاء، والتى تنقل بدورها الأمراض لجميع أجزاء الجسم (Steuer e Saunders).

(*) كلمة Ukhedu أو فعل Ukhed كلاهما يرجع إلى المصرية القديمة (Wḫd) و (wḫdw) ويما يقابل فى العربية "وخز" بمعنى "يتألم" و"ألم". Wekhedu تستخدم فى بعض الأحيان فى البرديات الطبية، وهو فعل يعنى (جروندرس وستاور وأندراوس وساندز) to suffer: يعانى أو يتألم.



إذًا، كيف يمكننا ترجمة هذه الكلمة؟ لقد تم اقتراح العديد من الترجمات، مثل فكرة العدوى الجرثومية لستاور (Steuer). وفي رأيي الشخصي، أن أفضل الترجمات هي: "جوهر الألم"(Grundriss) (جروندرس) أو "فكرة العدوى" (غليونجي، ١٩٨٧).

أما المصطلح الثاني الذي يستحق عناء البحث، فهو Setet الذي يتعلق بالعناصر الحية التي تسبب المرض وتحدث الآلام داخل جسم المريض وخاصة البطن (إيبرس ٢٩٤-٣٠٢) على سبيل المثال، فإذا ماتت داخل الجسم فهي تسبب ديدانًا (إيبرس ٢٩٦). في هذه الحالة أيضًا تنقصنا بعض الحواشي التفسيرية التي تجعل الأمر أكثر وضوحًا. في واقع الأمر، فإن الكلمة تمت ترجمتها بأشكال عدة، منها "الألم النافذ كالرمح" (Dawson, 1934)، "مخاط" (Grundriss) ، "فليجما" "flegma" (نفس معنى الكلمة الإغريقية، أبل وبول غليونجي، ١٩٦١). والآن، نختتم هذه الملاحظات الوجيزة بهذا المرض الغامض (عاع aaa) والذي تضاربت حوله أيضًا الترجمات العديدة، فقد ترجم "أبل" هذه الكلمة على أنها "البول الدموي"، أي وجود الدم أو الخلايا الدموية في البول. وبأكثر تخصصية ترجمها "يونكر" (البول الدموي الطفيلي). سوف نرجئ مناقشة هذه المشكلة عند تناولنا لهذه الطفيليات. أما "جروندرس" فقد ترجم هذا المصطلح على أنه "مادة سامة" أو "سائل سام"، وهي مادة ذات أصول خارقة كما هو واضح في إحدى الوصفات التي نذكر منها على سبيل المثال: "لكي تبعد السائل aaa الوافد من أحد الآلهة أو أحد الموتى والذي يوجد داخل جسم الإنسان" (برلين ٥٨، إيبرس ٢٢٥). فهو إذًا قادر على أن

يسبب لجسم الإنسان العديد من الأمراض ويساعد على تكوين الديدان (إيبرس ٦٢).

يؤكد الزميل الفرنسى "باردينت" أن بعض الفقرات فى بردية "سميث": "تشير إلى النظريات التى ترى أن كل خلل ناتج عن آفة معينة، فهو ثمرة اضطرابات أنفاس الحياة التى تدخل إلى جسم الإنسان ونتاج فعل العناصر الضارة التى تستغل الحالة العامة للجريح فتغزوه".

الفصل الثالث

الأطبـــاء والصحـــة

يُعتبر "هيرودوت" (القرن الخامس قبل الميلاد)، هو أول من ألقى الضوء على اهتمام المصريين القدماء بالطب، فقد امتدح الأطباء المصريين فى كتابه: "إنه ثرىّ بالأطباء" (الجزء الثانى، ص٨٤). كما تناول الكاهن المصرى "مانيتون" (القرن الثالث قبل الميلاد) الحديث عن الطب المصرى؛ حيث كتب عن الملك "أثوتيس" (الأسرة الأولى) ابن وخليفة الملك "مينا" ما يلى: "لقد مارس الطب وألّف كتبًا عن علم التشريح". أما "فيركوتر"، فيرى أن "أثوتيس" قد اتحد مع "عحا"[*] (حوالى ٣١٢٥ ـ ٣٠٩٥ ق.م.) وهو ثانى حكام الأسرة الأولى. يوجد فيما يتعلق بأُخيدو Ukhedu والتى ورد ذكرها فى بردية "إيبرس" (عام٨٥٦ ق.م.) وكذلك

---

[*] الملك "عحا" هو أول ملوك الأسرة الأولى، وهو الملك الذى يعرفه الناس قديمًا وحاليًا باسم الشهرة "مينا".



"برلين" (١٦٣ ق.م.) إشارات إلى بعض المؤلَّفات التى وجدت تحت أقدام "أنوبيس" بمدينة ليتوپوليس؛ وكذلك بعض ملوك "أوزوفايس" Usuphais و"سيندچ" Senedj: أول هذه المؤلفات أى "أوزوفايس دوس" Usaphaidos لـ"مانيتون" هو "دن" (٣٠٣٠ـ ٢٩٨٥ ق.م.)، أما الثانى فينتمى إلى الأسرة الثانية (حوالى عام ٢٨٦٠ ق.م.). لذلك يمكننا القول إن أهم الكتب الطبية تم تجميعها فى نهاية حكم الأسرة الثانية.

ذكرت بردية "بروكلين" أن نص الوقاية من لدغات الثعابين (42C)، قد تم العثور عليه فى عصر الملك "نفر كا رع" حاكم مصر العليا ومصر السفلى (الوجه القبلى والوجه البحرى). ويرى پسيدو كاليستن Pseudo-Callisten ١٩٧٠م، أن آخر الملوك الفراعنة "نختنبو الثانى" كان قد ألَّف عملاً عن الطب.

"إيمحتب"، والذى يعنى اسمه (الذى يأتى فى سلام) كان مستشارًا ومعماريًا بارعًا للملك "زوسر" (الأسرة الثالثة، حوالى ٢٦٨٠ ـ ٢٦٦٠ ق.م.) هو مهندس التحفة المعمارية الرائعة الملقبة باسمه "هرم زوسر المدرج" .. كان أميرًا ملكيًا وكاهنًا لمدينة هليوپوليس. وُجد اسمه مكتوبًا على قاعدة تمثال للملك "زوسر" عُثر عليها فى سقارة. وهو ما يؤكد ما قاله بحزم "مانيتون": "إن زوسر رأى "إيمحتب" أثناء فترة حكمه للبلاد، وبسبب براعته الفائقة فى الطب ذاع صيت الإله "سكلابيوس" بين المصريين .. هو أيضًا مخترع فن البناء بالحجارة المقطوعة. وقد اهتم اهتمامًا شديدًا بالكتابة". تؤكد "لوحة المجاعة" (ربما تعود إلى عصر بطلميوس الخامس أبيفانيس" والتى تشير إلى الكاهن الجنازى لعبادة "إيمحتب"، أن مقبرته كانت موجودة بمنطقة سقارة ولكن لم يتم العثور عليها حتى الآن. سرعان ما تمت عبادة

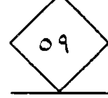
"إيمحتب" - ابن الإله پتاح - وقد اتحد بعد ذلك مع "سكلابيوس" إله الطب الإغريقى فى العصر البطلمى، والذى بنى له "پطلميوس الثامن يورجتيس الثانى" قدس الأقداس بالمعبد الكبير لحتشبسوت بالدير البحرى، وقد أصبح فيما بعد مكانًا يحج إليه المرضى. كما بنى له أيضًا "پطلميوس الثانى فيلادلفوس" معبدًا آخر فى إدفو.



"إيمحتب" يحمل بين يديه لفائف البردى - تمثال من البرونز يعود للعصر المتأخر - مُتْحَف ميدل هافسمست Medelhavasmmseet.

ظهر "إيمحتب" - فى العديد من التماثيل البرونزية من العصر المتأخر - جالسًا ويحمل بين يديه لفائف البردى. تشير أيضًا بعض الكتابات على أحد التماثيل من الأسرة الثلاثين إلى "إيمحتب" بوصفه "الذى يلبى نداء من يستنجد به لإبعاد المرض عنه وإبراء الجسد من المرض".

ثمة شخصية أخرى كانت موضعًا لكثير من الأساطير: إنه "أمنحتب بن حابو" الكاتب الملكى تحت حكم أمنحتب الثالث .. لا يوجد دليل على أنه كان طبيبًا ولكن تمت عبادته وربما أصبح محورًا لعبادة الأسرة السادسة والعشرين، كما توضح إحدى الكتابات على قاعدة تمثال أبدعتها إحدى بنات الملك



"بسمتيك الأول" والتى أشار إليها "نون" على النحو التالى: "أيها الأمير أمنحتب ـ ابن الإله بتاح ـ .. تعالَ أيها الطبيب البارع .. انظر، إننى أعانى من عينى .. فلتتدخل حتى أُشفى سريعًا. لقد قمت بعمل هذا التمثال لأجلك أنت". كان له معبد كإلهٍ شافٍ بالدير البحرى وهو الذى يمتهن مهنة المعالج.

كما يمكن مشاهدة "أمنحتب"، و"إيمحتب" كإلهين على أحد النتوءات المعمارية بمعبد بتاح بالكرنك (ليس قبل الأسرة السادسة والعشرين).



"أمنحتب" بن حابو (الأسرة الثامنة عشرة ـ المتحف المصرى بالقاهرة).

حظى الأطباء المصريون بشهرة واسعة فى الخارج. فى واحدة من المراسلات الكثيرة بين الملك رمسيس الثانى وبين بلاط الحيثيين نلاحظ كيف أن الفرعون أرسل إلى "حاتوسيل"، وهو ملك حيثى، طبيبًا بارعًا يُدعى "باريماكو" لعلاج أحد أتباعه هو الملك "كورونتا": "سوف يُعِدُّ باريماكو فى الحال الأعشاب اللازمة لكورونتا .. إنها مجموعة منتقاة من الأعشاب المعالجة ..". كان من المعتاد فى تلك الحقبة أن يتجول الأطباء المصريون فى مختلف قصور

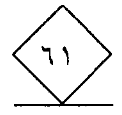


الشرق القريب (مثل أوجانيت Uganit على سبيل المثال). تُعتبر لوحات المحفوظات الملكية للعمارنة و"بوغاز كوى" شاهدًا آخر على تلك الحقائق، كما يتضح على سبيل المثال فى الخطاب الذى أرسله أمير ميتان شامدى ـ أدى "Shamde-Adde" إلى أمنحتب الثالث، وقد كتب فيه: "أرسل لى طبيبًا من القصر .. لا يوجد لدينا هنا أطباء.. انظر إننى أسترد صحتى ببطء شديد".



لوحة جدارية من مقبرة "نب أمون" (رقم ١٧ ـ ذراع أبى النجا)، كاتب وطبيب الملك بينما يتلقى العطايا من أحد الأمراء السوريين الذى حضر إليه لتلقى العلاج.

ثمة مَعِين آخر أتت به إلينا الفنون التشكيلية، كما توضح الرسومات على المقبرة رقم (١٧) بـ"ذراع أبى النجا" (طيبة) وهى مقبرة خاصة بالطبيب "نب أمون" تعود إلى عصر الملك أمنحتب الثانى؛ حيث يظهر أحد الأمراء السوريين وهو يحمل العطايا إلى صاحب المقبرة، ويُحتمل أن تكون هذه العطايا مقابل ما يقدمه له من عمل مهنى وطبى متخصص.



أما لوحة "بنترش" "Bentresh أميرة "باختان" Bakhtan والأخت الصغرى لزوجة رمسيس الثانى (هى أيضًا من الأعمال التى تعود إلى العصر المتأخر من الحكم البطلمى أو الفارسى) فهى تشير إلى طلب باستدعاء أطباء؛ حيث يطلب والد الفتاة من الفرعون إرسال طبيب لعلاجها حيث أُصيبت بمرض غامض، ويبدو أن هذا الطبيب لم يوفق فى مهمته ولذلك أوصى فى الوقت ذاته بالعلاج الإلهى، وهو عبارة عن تمثال للإله "خنسو" تم إرساله للمريضة. وقد نجح هذا التمثال فيما فشل فيه الطبيب!

كما حظى الأطباء المصريون كذلك بشهرة واسعة عند الإغريق: "تلك الأرض.. حيث تفوق الأطباء بمهارة على جميع أقرانهم الآخرين". (هوميروس، الأوديسا، الفصل الرابع من ٢٢٩-٢٣٢). كما ذكر "هيرودوت" أن "شيرو" Ciro طلب من الفرعون "أمازيس" Amasi (الأسرة السادسة والعشرون) أمهر طبيب عيون فى مصر لعلاجه من مرض التهاب العيون.

المصطلح المصرى القديم لكلمة الطبيب هو "سونو" Sunu، وربما تُنطق "سينو" Sinu مثلما تنطق باللغة القبطية. بينما تُكتب فى الغالب على النحو التالى: سهم (إشارة ثلاثية الحروف تقابل sun) ثم إناء صغير (إشارة ثنائية الحروف تقابل nu)، كما يمكن أن تُكتب بسهم واحد (الزخارف الخشبية لحسى رع Hesyre) أو بإشارة تتكون من جعبة يخرج منها سهمان (مثل التوابيت الخشبية Gue و Seni بالمتحف البريطانى). وكثيرًا ما تناولت البرديات الطبية كلمة "سونو" (إيبرس I و ١٨٨/ شيستر بيتى، الفصل الرابع ـ ٨ / ليدن I ، ٣٧١ / برلين ١٦٣ a). وإليك عزيزى القارئ أحد الأمثلة: "ها أنا ذا مَنْ سيحمى المريض من أعدائه.

سيكون "تحوت" Thot هو مرشده، فهو من ينطق الكلمات ويؤلف الوصفات الطبية حيث يمنح القدرة للسحرة وهم من يعلمون بواطن الأشياء كما يمنحها للأطباء، فهم أتباعه حتى يُبْرئوا المرضى من أسقامهم، فهم من أراد لهم الله الحياة" (إيبرس ١).

كما توجد العديد من الكتابات التى تدل على استخدام هذا اللفظ، كما سنرى فيما بعد عندما نقترب أكثر من بعض الأطباء الذين وصلت إلينا أسماؤهم. وسوف نكتفى فى هذا المقام بذكر إحدى الكتابات التى وردت إلينا من مقبرة "واش ـ بتاح" Ueshptoh بسقارة (أول معمارى وأول قاضٍ ووزير للملك نفر كا رع من الأسرة الخامسة)، والتى تروى لنا إلى أى حد أدرك الفرعون أن Ueshptoh لم ينتبه بعد لكلمات الإطراء التى يلقيها عليه حيث أصابته وعكة صحية .. قام على الفور بنقله إلى القصر وأمر جلالته بإحضار الأطفال والرفاق والكهنة المرتلين ورؤساء الأطباء .. كما أمر جلالته بإحضار الأطباء الذين قالوا لفخامته: "لقد سقط بالفعل مغشيًا عليه". على أية حال، فقد مات "واش - بتاح" Ueshptoh، ربما يعود سبب الوفاة إلى اكتُس ictus أو بسبب نزف دموى فى المخ.

من وجهة النظر المهنية، فقد تم تقسيم الأطباء إلى مراتب ومناصب مختلفة (فالأمر يتعلق هنا بموظفى حكومة). بالإضافة إلى "سونو" أى الطبيب فلدينا العديد من النماذج الأخرى، مثل "ور سونو" (رئيس الأطباء، الطبيب الأول، الطبيب القائد)، "خرب سونو" (مراقب الأطباء)، "حرى سونو" (أول الأطباء)، "إيمى ـ ر ـ سونو" (ناظر الأطباء)، "سحدى سونو" (مفتش الأطباء). والبعض مثل "بورا" كانوا ينجزون عملهم كأطباء للقرية التى تتصل



بالمقابر، والبعض الآخر ارتبط بالتقسيمات الجغرافية (رئيس أطباء الشمال ورئيس أطباء الجنوب). كما كانت هناك مجموعة أخرى من الأطباء ترتبط بالبلاط الملكى: بدءًا من طبيب البلاط (سونو الـ aa) وصولاً إلى طبيب الملك (سونو n نيسو) وطبيب الملكة (أور سونو n الخاص بـ"حيمت سونو"، رئيس أطباء بيت الملكة)؛ بالإضافة إلى العديد من الألقاب الأخرى مثل هذا اللقب الذى يثير الفضول "ناظر ضفَّتَىْ مركَب أطباء البلاط".

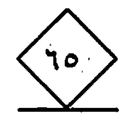
هناك العديد من الأطباء الذين مارسوا عدة تخصصات كما يشهد بذلك "هيرودوت" نفسه (الثانى - ٨٤)؛ حيث قال: "هناك أطباء للعيون وأطباء للرأس وأطباء للأسنان وأطباء لأمراض الباطنة وأطباء للأمراض الغامضة". اتضح هذا الأمر أيضًا فى محتويات البرديات الطبية التى وصلت إلينا وهو ما يتعلق بالأطباء المتخصصين. كذلك هناك الطبيب المتخصص فى منطقة الحوض (سونو خيت) أى إخصائى الجهاز الهضمى، وطبيب العيون (سونو إيرتى) أى إخصائى العيون، وطبيب الأسنان (ibeh) وحارس المؤخرة pehuyt neru أى إخصائى أمراض الشرج Proctologo.

لم يُعرف على وجه التحديد ما إذا كانت هناك تفرقة بين الطبيب والجراح، حتى وإن افترض "أبل" فى عام ١٩٣٧م أن "سونو" هو بالتأكيد الطبيب بينما وعب "Uab" كاهن سخمت فهو الجراح. هذا الافتراض جاء على أساس ما ورد ذكره فى بردية إيبرس (٨٥٤ a) حيث ذُكر "سونو" أمام كاهن سخمت Iab (كما سنرى فيما بعد)، بينما فى بردية سميث (الحالة رقم ١) ذُكر العكس.

كذلك فإن كثيرًا من الأطباء ـ كما سنرى لاحقًا ـ كانوا متعددى التخصصات، فيرى "كليمنت السكندرى" (وهو كاتب من القرن الثانى قبل الميلاد) أن من بين الكتب التى أهداها "تحوت" إلى البشرية هناك ستة كتب عن علم الطب، والكتاب الخامس منها يتعلق بموضوعات عن طب العيون والسادس خاص بطب النساء والتوليد.

لقد توارث الأبناء مهنة الطب عن الآباء، وبالرجوع إلى ما ورد تحديدًا فى قَسَم أبوقراط نجد ما يؤكد هذه الحقيقة: "سوف أجعل أولادى شركاء لى فى كتابة الوصفات الطبية وفى الدروس الشفوية وفى تعلم المهنة .. إنهم أولادى وليس أحدًا آخر". وقد اتضح ذلك أيضًا فى العديد من الوثائق ذات النقوش (كما سنرى فيما بعد لوحة Iuny). وفى إحدى فقرات بردية "إيبرس" ٢٠٦: "يجب أن تعد له العلاج الذى سيظل سرًا حتى على مساعد الطبيب باستثناء ابنتك". وهو ما يؤكده أيضًا "ديودور الصقلى" (الأول - ٧٤): "فى واقع الأمر إنه الشعب الوحيد الذى يُحرِّم على المهنىّ أن يكرس نفسه لمهنة ما أو ينتمى إلى فئة اجتماعية تختلف عما حددته القوانين والأعراف، أو توارثته الآباء .. أما باقى الشعب المصرى فهو يتعلم منذ الصِّغَر فى مدارس الآباء أو مدارس الأهل المهن التى تتعلق بمختلف أنماط الحياة".

تم تأهيل الطبيب كلية فى "دُور الحياة" (Per-ankh) وهى ما يشبه الكُتَّاب حيث يقوم المعلمون بتأليف ونسخ والتعليق أيضًا على اتفاقيات الأدوية. ولا ننسى فى هذا المقام أن الأمر كان يتعلق فى الغالب بنصوص قديمة جدًا تحتوى على مجموعة من المصطلحات التى يصعب فهمها وتحتاج إلى شروح تفصيلية (الكثير منها نجده تحديدًا فى البرديات الطبية). لذلك، فنحن هنا بصدد مؤسسة خُصصت كلية للحفاظ على ثقافة تقليدية. ونظرًا



لأهميتها سوف نتناولها تباعًا مع عرض مفصل لصور بعض الأطباء. على أية حال، لا يمكن مطلقًا عقد مقارنة بينها وبين جامعاتنا المعاصرة حيث نفتقر إلى وجود دلائل على إقامة نظام تعليمى مشابه لوضعنا الحالى. ولكن "كابارات" (١٩٤٣م) عقد مقارنة بينها وبين المتحف الذى أنشأه البطالمة بالإسكندرية، الذى كان عبارة عن معهد أبحاث ملحق به مكتبته.

العديد من الوثائق الأخرى والكتب تم حفظها فى "بيت الكتاب" أو "بيت البردى"؛ حيث يظهر على جدران هذا البيت محاريب وضعت بها لفائف البردى. كما كان هناك أيضًا مدارس لتعليم الكُتاب لدى المقر المَلكى. كانت مكتبة الإسكندرية - حيث تُعد ملتقى الثقافات - الوريث الشرعى لدُور الحياة: "هذه المهمة للإسكندرية كبوتقة ثقافية تحت تأثير الحضارة المصرية القديمة، توازى حقًا أسلوبًا متخصصًا لعلوم الطب". يبدو أن هذه المؤسسة قد أثرت أيضًا على العرب، فقد أسس الخليفة العباسى "المأمون" بيت الحكمة فى بغداد عام ٨٣٠ م. أو المكتبة الملكية. كما تم أيضًا فى نفس هذه المدينة العراقية إنشاء مختلف المستشفيات، وكان كل مستشفى ملحق به مكتبة. يتحتم علينا هنا الإشارة إلى أن علم الطب العربى لم يهدف فقط إلى التجديد والتحديث، ولكن حرص أيضًا على الحفاظ على موروثات الطب بما فيها الطب المصرى القديم. كما كانت بغداد ملتقى للأطباء من كل حدب وصوب، فمنهم من ينتمى إلى نستران Nestoriani بعد المجمع البابوى بإفسو Efso (٤٣١)، ومنهم من ينتمى إلى مدرسة أثينا التى أغلقها "چوستنيانوس" عام ٥٢٩م. ومنهم منشقون كانوا قد نُقلوا سابقًا إلى Jundishabur "چندشابور" بجنوب غرب إيران، وقد أحضروا معهم المخطوطات الخاصة بهم. هذه المدينة اندمجت بعد ذلك فى الإمبراطورية الإسلامية عام ٦٣٦م.

والآن سوف نقترب أكثر من بعض الأطباء الذين وصلت إلينا أخبارهم أو صورهم. لقد أشارت بردية "برلين" إلى كاتب البردية نفسه "نثر ـ حتب" (١٦٣ a)، على عكس شرح الفقرة الذى اختلف فيه الكثيرون:

"فحين يرى كل من "يونكر"، (١٩٥٨م)، و"ليفيڤر" (١٩٥٦م)، و"ليكا" (١٩٨٨م) أنه اسم كاتب البردية، يرى كل من جراندرس (١٩٥٤م و ss) و"بول غليونجى" (١٩٨٣م)، و"بادرنيت" (١٩٩٥م) أن البردية تشير إلى كاتب الكلمات الدينية وهو قائد الأطباء الممتازين الذين يقومون بتهدئة الإله مؤلف هذا الكتاب".



زخارف خشبية من مقبرة "حسى رع" Hesyra (الأسرة الثالثة ـ المتحف المصرى بالقاهرة)، فى أقصى اليمين يمكن قراءة لقبه "ور ـ إبح ـ سونو"، أى رئيس أطباء الأسنان ورئيس الأطباء.

وإليك عزيزى القارئ بعض نماذج من الأطباء المصريين:

- يُعتبر "حسى رع" Hesyra (الأسرة الثالثة، حكم زوسر)، أقدم الأطباء (رئيس أطباء الأسنان



ورئيس الأطباء) ولدينا الدليل على ذلك. فقد زودتنا مقبرته بسقارة بروائع الزخارف الخشبية (يوجد منها ستة بحالة جيدة بالمتحف المصرى بالقاهرة). ويتساءل الأستاذ "نون" عما إذا كانت هذه الشخصية قد تقلدت مناصب إدارية أم لا؟

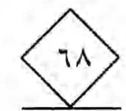
- هناك تمثال بمتحف برلين تم إحضاره من مقبرته بسقارة وهو يمثل "متن" Metjen (الأسرة الرابعة، حكم سنفرو): قرأ لقبه "جرابو" ثم أكده "غليونجى" (١٩٦٥) حيث يطلق عليه "سونو ميريت"، أى طبيب الخدم والفقراء.

- "نى عنخ سخمت" (الأسرة الخامسة، حكم ساحو رع)، تم تصويره على إحدى اللوحات (١٤٨٢) الموجودة حاليًا بحالة جيدة بالمتحف المصرى بالقاهرة. كان رئيسًا للأطباء ورئيسًا لأطباء البلاط الملكى ورئيسًا لأطباء الأسنان بالقصر الملكى.

- صورة أخرى أصغر حجمًا توضح لنا "منكاورع عنخ"، لُقب بـ"صانع الأسنان" دون أى صفات أخرى.



تمثال "نى عنخ رع" (الأسرة السادسة) وهو مصنوع من الحجر الجيرى الملون ويوجد بالمتحف المصرى بالقاهرة.



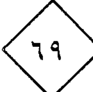
- تمثال آخر صُور فى وضع غريب جالسًا على الأرض (على الطريقة التركية)، حيث ترتفع إحدى قدميه قليلاً عن الأخرى. التمثال يوجد حاليًا بحالة جيدة بالمتحف المصرى بالقاهرة، وهو يمثل ملامح "نى عنخ رع" (الأسرة السادسة): كان طبيبًا للقصر الملكى ومفتش الأطباء بالقصر الملكى؛ وكذلك كاهن "سرقت" الإلهة العقرب و"حقا" إله السحر.

- كما صُوِّر "أون نفر" (الأسرة الخامسة)، على أحد النقوش البارزة بمقبرة "يتاح حتب الثانى" بسقارة ولُقب بمفتش الأطباء، وكاهن "سخمت"، "أواب".

- أما الطبيبة الوحيدة التى لدينا معلومات عنها من العصر الفرعونى، فهى "پسشت" (Pesheshet) (الأسرة الرابعة والخامسة)، لُقِّبت "إيمى إر سونوت" أى "ناظرة الطبيبات". تم تصوير هذه الطبيبة على إحدى اللوحات بمقبرة "آخت حتب" بالجيزة (وقد يكون أحد أبنائها).

- فى مقبرة "عنخ مع حور" (وزير تيتى، الأسرة السادسة) حيث يوجد العديد من النقوش البارزة المتعلقة بالطب، مثل (الختان - علاجات الأيدى والأقدام - مرض استسقاء الرأس - البدانة - أمراض النساء- التقزُّم) وسط هذا العرض الطبى يبدو لنا طبيب يحمل اسم "عنخ"، إنه طبيب البلاط .. كان صديقًا وربما أيضًا الطبيب المعالج لصاحب المقبرة.

- ها هو "ميرروكا"، وزير وصهر الملك "تيتى" (الأسرة السادسة)، فهو يحمل اللقب الغريب "ناظر ضفّتَىْ مركب أطباء البلاط" .. ما زالت مقبرته بسقارة قبلة لكثير من سياح العالم.



- وأخيرًا، يبدو "خرى حبت" الكاهن المرتل، وهو من يقوم بقراءة التعاويذ السحرية وهو دور يشبه إلى حد كبير دور الشمَّاس فى وقتنا الحالى.



تمثال "أوتى" Iuti (الدولة الحديثة) مصنوع من الحجر الجيرى، متحف فان أودهين، ليدن (Rijks museum van Oudheden, Leyden).

مؤخرًا وفى عام ٢٠٠١م، اكتشف العالم الأثرى "زاهى حواس" المصطبة الخاصة بطبيب البلاط الملكى "قار" والذى عاصر الأسرتين: الخامسة والسادسة. من بين ما عُثر عليه بهذه المصطبة "مائدة القرابين" من الألباستر وهى رائعة الجمال، وقد تم عرضها فى المعرض الذى أُقيم احتفالاً بمئوية المتحف المصرى بالقاهرة. كما تم العثور فى حجرة الدفن على بعض أدوات الجراحة من النحاس وهى عبارة عن مجموعة من المشارط والملاقط الصغيرة (الكُلاَّبات).

- تجدر الإشارة هنا أيضًا إلى اللوحة المزيفة التى تحمل اسم "إيرن أختى" Irenakhty (العصر الأول المتوسط) والتى عُثر عليها بالجيزة، فهى توضح المسئوليات المختلفة

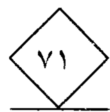
والتخصصات التى امتهنها صاحب اللوحة: فهو الطبيب ومفتش أطباء البلاط الملكى، وهو أيضًا إخصائى العيون وإخصائى الجهاز الهضمى وطبيب المسالك، أى حارس المؤخرة. إنه "خرب" كاهن "سرقت".

- كذلك أيضًا نجد خليفته "خوى" (الأسرة السادسة، حكم تيتى)، فهو الطبيب وعميد أطباء القصر الملكى ورئيس أطباء الأسنان وإخصائى المسالك، إنه "خرب" كاهن "سرقت".

- أما التوابيت الخشبية الرائعة لـ"جوا" Gua و"سينى" Seni (الأسرة الحادية عشرة والأسرة الثانية عشرة) والموجودة حاليًا بالمتحف البريطانى، فهى توضح لنا أن "جوا"، و"سينى" كان كلٌّ منهما رئيسًا للأطباء؛ فقد تم التعبير عنه بكلمة "سونو" بجعبة يخرج منها سهمان.

- أما اسم "رع نى إف سنب" Ranefseneb (الأسرة الثانية عشرة، حكم أمنمحات الثالث)، فقد ذُكر على هذا النحو ur Sunu على إحدى اللوحات التى عُثر عليها بأحد الكهوف بسيناء بمنطقة سرابيط الخادم؛ حيث كان يعمل طبيبًا لشخص ما كان يعيش هناك.

- أما اسم "حرشف نخت" Herryshefnakht (الأسرة الثانية عشرة)، فقد ظهر منقوشًا على جدران كهف من الألباستر فى "حاتنوب" حيث كان رئيس أطباء الملك، وهو أيضًا "وعب" كاهن "سخمت". وناظر السحرة. ثم بعد ذلك ظهر اسم رفيقه "عحا نخت" Ahanakht بشكل أصغر من اسمه، والذى كان أيضًا "وعب" كاهن سخمت ولكنه لم يكن طبيبًا (ربما كان طبيبًا بيطريًا).



- تُعد هذه النقوش فى غاية الأهمية من حيث مراعاة دستور مهنة الطب وأخلاقياتها. ولنقرأ معًا ما يلى:

- *"رئيس أطباء الملك هو من يقرأ الكتب العلمية كواجب يحرص عليه يوميًا .. هو من يسهر على راحة المريض وبمجرد أن يضع يده عليه يكتشف ما أصابه من مرض".*

- *"لقد فتحت منزلى لاستقبال أى شخص يقصده وهو عليل .. فأنا كالحاضنة لأى مريض ما دام لم يُشْفَ بعد".*

- يُعتبر "نب أمون" من الأطباء الذين ينتمون إلى الدولة الحديثة (الأسرة الثامنة عشرة، حكم الملك أمنحتب الثانى)، فهو صاحب المقبرة رقم (١٧) بذراع أبى النجا بطيبة، وكان رئيسًا للأطباء وكاتبًا للملك، وقد أشرنا إليه من قبل.

- تمثال آخر يوجد فى "ليدن" (يعود إلى الأسرتين: الثامنة عشرة والتاسعة عشرة)، يمثل رئيس الأطباء Iuti وهو يمسك بين يديه شيئًا يُرجح أنه أحد أدوات الجراحة.



"پنثو" يتلقى العطايا وهى عبارة عن قلائد من الذهب (مأخوذة من تصميم لديڤيز N. de G. Daives).



- "پنثو" Penthu (الأسرة الثامنة عشرة، حكم الملك أخناتون) وهو اسم رئيس الأطباء والكاهن الأول لأتون بمعبد "أتون"، تم تصويره فى مقبرته بالعمارنة وهو يتلقى العطايا من الفرعون وهى عبارة عن قلائد من الذهب.

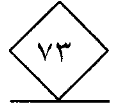
- لوحتان لـ"أيونى" Iuny (الأسرة التاسعة عشرة): الأولى توجد حاليًا بمتحف الأشموليان، والأخرى بمتحف اللوفر .. توضح هاتان اللوحتان على أحد الجوانب رئيس الأطباء "حوى" وابنه خاى Khay والذى كان أيضًا رئيسًا للأطباء، أما على الجانب الآخر فيبدو أيضًا "حوى" مع ابنه كمناست Khaemnaset الذى كان طبيبًا صغيرًا.

نختتم هذا العرض المصور لتلك الشخصيات ببعض من أشهر أطباء العصر المتأخر:

- "پسمتيك سنب" Psammetek Seneb رئيس أطباء أسنان القصر الملكى (الأسرة السادسة والعشرون، حكم أمازيس Amasi) والذى خلَّده تمثالٌ له من البازلت بمتاحف الڤاتيكان.



تمثال من البازلت لرئيس أطباء الأسنان بالبلاط الملكى "پسمتيك سنب" (متاحف الڤاتيكان).





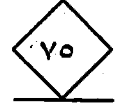
تمثال من البرونز لـ "وچا - حور - رسنى" Udjahorresne (الأسرة السابعة والعشرون) متاحف الفاتيكان – الرأس ليس أصليًا.

- بفثنيث Pefthneith (الأسرة السادسة والعشرون، حكم الملك أمازيس Amasi) هو رئيس الأطباء.. له تمثالان: الأول مكتمل ويوجد حاليًا بمتحف اللوفر، والآخر مبتور ويوجد بالمتحف البريطانى .. عُهد إليه بمهمة إعادة بناء "دار الحياة" بأبيدوس.

- "وچا — حور — رسنى" Udjahorresne (الأسرة الفارسية السابعة والعشرون، حكم الملك قمبيز وداريوس الأول) .. هو رئيس الأطباء وحارس الأختام الملكية والرفيق الأوحد للملك ومدير القصر وقائد المركب الملكية .. شكله الذى وصل إلينا من خلال تمثاله الشهير بدون رأس والمصنوع من البازلت يوجد حاليًا بمتحف الفاتيكان. وترتبط صورته بإعادة بناء "دُور الحياة"، وهى المهمة التى عهد بها إليه "داريوس الأول". وتعطينا الكتابات التى تغطى التمثال معلومات كثيرة عنه: " فخامة الملك داريوس (الخلود الأبدى لعظمته) أمرنى أن أعود إلى مصر بينما كان هو فى إلان Elan .. أمرنى هذا الحاكم القوى

على جميع البلاد الأجنبية والملك الأعظم لمصر أن أعيد بناء أقسام دور الحياة المخصصة للطب بعد انهيارها. لقد اصطحبنى الأجانب من بلد إلى بلد وحملونى إلى مصر وفقًا لرغبة سيد البلدين .. لقد نفذت أوامر عظمته .. اخترت جميع العناصر البشرية اللازمة وهم مجموعة من المتخصصين دون أن يكون بينهم أحد من أبناء الشعب. لقد وضعتهم تحت رعاية مجموعة من الرجال المثقفين، كل فى مهمته المحددة. لقد أمرنى فخامة الملك أن أوفر لهم جميع الإمكانات حتى يتمكنوا من إنجاز كل المهام الموكلة إليهم. لقد وفرت لهم كل ما يحفظ لهم مكانتهم؛ بالإضافة إلى جميع الأدوات التى قرأنا عنها فى الوثائق والتى تطابق ما كان موجودًا حقًا فى الماضى. هذا ما أراد عظمة الملك الذى يدرك أهمية هذا الفن الذى يعيد الحياة إلى جميع المرضى ويخلد اسم جميع الآلهة ومعابدهم وعطاياهم والاحتفالات التى تُقام على شرفهم".

يتضح مما سبق أن طبقة الأطباء على اختلاف تخصصاتها كانت مضطرة لممارسة الطب طبقًا للقواعد والأسس المتبعة من قديم الأزل. ولهذا السبب، كان يتعين على الأطباء الالتزام والتمسك - مع شىء من الريبة - بالنصوص الطبية التى غالبًا ما كانت نصوصًا مقدسة. وقد أكد هذه الحقيقة الكثير من الكُتَّاب القدامى مثل "ديودور الصقلى" (الأول - ٨٢): "لقد حدد الأطباء المصريون أساليب علاج المرضى وفقًا لوصفات طبية مكتوبة ومُعدة مسبقًا وصلت إليهم عن طريق العديد من أشهر وأقدم الأطباء. لم يكن لهم ليتوصلوا إلى إنقاذ المريض إذا اتبعوا وصفات الكتاب المقدس، وعندئذ سوف يعلنون براءتهم من أى لوم



يُوجَّه إليهم. في حين أنهم إذا تصرفوا بطريقة مغايرة عن تلك الوصفات المكتوبة، كانوا يُتهمون ويُحكم عليهم بالإعدام، عندئذ قد يُسمح لقليل منهم بالتوصل إلى أساليب علاج أخرى أفضل من تلك العلاجات التي حرصوا عليها منذ أمد بعيد وأقرها أفضل الأطباء الذين مارسوا هذه المهنة".

لتقييم هذا الموقف بصورة أكثر موضوعية بعيدًا عن الوقوع في مصيدة المفارقات التاريخية، يجب أن نتذكر أن عالمنا المعاصر يشهد تطورًا تكنولوجيًا هائلاً لم يكن لأحد في تلك الأزمنة البعيدة أن يتصوره، فبالمقاييس السائدة في تلك الحقبة لا يمكن على الإطلاق عقد مقارنة دقيقة. لذلك نجد أنفسنا أمام ميلاد البروتوكولات الأولى التي حملت الراية ومهدت لنا الطريق؛ فهي اليوم المرجع والدليل للتشخيص والعلاج.

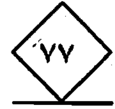
كان الطبيب المصري في العصر الفرعوني يتقاضى أجره (مكافأة) عن طريق كادر حكومي (مثل مختلف أطباء البلاط الملكي)، أو عن طريق العطايا مثل قلائد الذهب التي يمنحها له الحاكم (كما رأينا في حالة الطبيب "پنثو").

لم يكن هناك تمييز واضح بين الطبيب والطبيب البيطري. يرى "غليونجي" (١٩٨٣) أن الدور الذي يقوم به الطبيب البيطري كان تحت مظلة كهنة "سخمت" (ولكن بردية كاهون البيطرية لم تذكر ذلك). على أية حال، وكما ذكرنا من قبل أنه في أحد نقوش "حاتنوب" حمل "أخن أخت"، وهو كاهن "سخمت"، لقبًا إضافيًا وهو "رخ كاو" Rekh Kau، أي: (خبير البهائم) وهو ما يؤكد افتراض "غليونجي".



كانت الديانة المهيمنة على الأطباء والتى تمدهم بالمعرفة هى ديانة "تحوت" إله الكتاب والذى صُوِّر بجسد إنسان ورأس "أبيس" أو رأس قرد .. فلا يوجد إله حقيقى خاص بالطب فى العصر الفرعونى القديم، إلا إذا استثنينا عبادة "إيمحتب" فى الحقبة المتأخرة. كذلك لا تجد كلمة مصرية محددة للصيدلى: حيث كان السائد أن يقوم الأطباء بأنفسهم بإعداد العلاجات التى وصفوها. على أية حال، يرى "نون" أن التعبيرات التى وردت أحيانًا فى البرديات الطبية يمكن أن تُستخدم للإشارة إلى طبقة من يقومون بإعداد الدواء (ما يُعرف حاليًا بالصيادلة): "*عليك أن توافق أن يقوم شخصٌ ما بإعداده له*". كما أن العثور على إحدى الشقافات "أوستراكا" (التى عُثر عليها بدير المدينة وهى الآن بالمتحف البريطانى)، التى تسجل غياب "باحرى باچت" Paherypedjet لعدة أيام عن العمل أثناء الاحتفال بالذكرى الأربعين لتولِّى رمسيس الثانى العرش لقيامه بإعداد الأدوية - تؤكد أن المذكور هو أول صيدلى فى التاريخ.

بعض المناظر على مصاطب "خنتى كا" Khentika و"عنخ مع حور" Ankhmahor (الأسرة السادسة، حكم تيتى) بسقارة تستدعى إلى الذاكرة مناظر "المشتغل بتطبيب الأقدام" أو "المشتغل بتطبيب الأيدى"؛ بالإضافة أيضًا - استنادًا إلى النص المصاحب لهم - إلى بعض العلاجات الأخرى، أو بعض أشكال تمثل علاج الأمراض المختلفة عن طريق القدم. والأغرب من ذلك أن إحدى فقرات الحكايات فى بردية "وستكار" تجعلنا نفكر فى "المساچ" أى التدليك باستخدام العلاج الطبيعى؛ حيث يستدعى الأمير Herdjedef "حر چدف" الساحر "چدى" Djedi: "بينما الخادم يمسك برأسه ويضع عليه البلسم المعطر، فيقوم آخر



بعملية التدليك". على أية حال، فإن وجود ما يُطلق عليه إخصائى العلاج الطبيعى أو المدلك لم يتم إثباته بعد ولكن هو عمل شبيه بذلك.

أما مساعدو الطبيب فلم يُستدل لهم على أى أثر سوى كلمة ut وهى تعنى: الذى يضمد، وكانت تُستخدم غالبًا للمُحنطين، ولكن قد تعنى من جانب آخر: وجود الممرض الذى يضمّد.

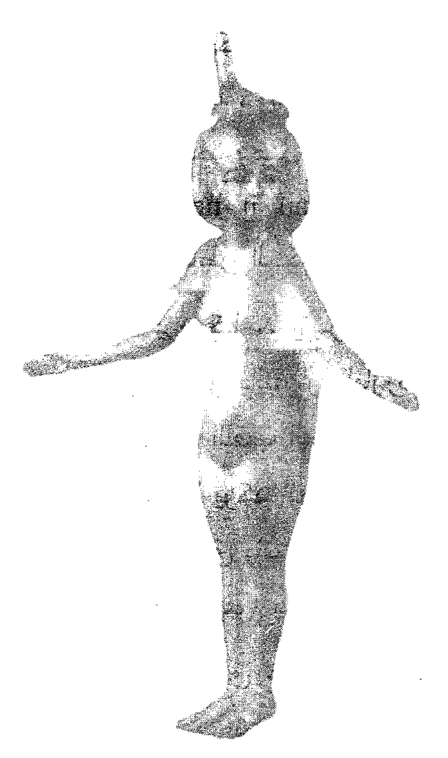
وفقًا لبردية "سميث" - الحالة رقم ٩: "الذى يضمد هو من يكون تحت أمر المحنط". أما "برستيد"، فيرى أن الذى يضمد (ut) هو من يعطى الضمادات للطبيب. كما أن إحدى الفقرات التى أشرنا لها آنفًا (بردية إيبرس - ٢٠٦) تشير إلى مساعد الطبيب، وهو مَنْ يُطلق عليه "حر سونو" أى من يكون تحت أمر الطبيب.

بالإضافة إلى الأطباء كان أيضًا كهنة "وعب سخمت" يمارسون الطب، فهم الوسطاء بين الآلهة والمرضى: فقد اتحدوا مع الأطباء فى البرديات (إيبرس - ٨٥٤ a، سميث I) واتحدوا كذلك مع السحرة. بعض الشخصيات كانت أطباء وكهنة "وعب سخمت" أيضًا مثلما حدث فى الأسرة الخامسة؛ حيث كان "ونن نفر" Unennefer كاهن سخمت وكان أيضًا مفتشًا للأطباء. كانت للإلهة "سخمت" (الإلهة القوية) قدرة على الشفاء مثل قدرتها على إرسال الطاعون "*رياح الصحراء العاصفة تحمل الجفاف وتحمل الوباء السنوى*". لذلك أطلق عليها "سيدة الأطباء". صُورت بجسد أنثى ورأس لبؤة. كان مركز عبادتها مدينة "منف" حيث عُبدت كزوجة لـ"بتاح"، وأمّ لـ"نفرتوم". ترجع العديد من التماثيل التى جسدتها بارتفاعات أكثر من مترين إلى عصر أمنحتب الثالث وتم

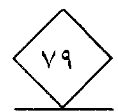
العثور عليها بمعابد الكرنك، ويمكن مشاهدتها الآن فى بعض المتاحف الأوروبية مثل متحف اللوفر ومتحف تورينو.

هناك أيضًا طائفة أخرى للمعالجين وهم كهنة "خرب سرقت" الذين كانوا يمارسون السحر ضد لدغات العقارب ولسعات الثعابين السامة، وكذلك بعض العلاجات الدوائية كما تؤكد بردية بروكلين (رغم أنها لم تذكر كلمة "سونو" أى طبيب): "مجموعة منتقاة من العلاجات تساعد على الشفاء من سموم كل ثعبان وكل حية وكل عقرب وجميع الزواحف والعناكب والتى هى بحوزة الكاهن "خرب سرقت".. كما أنها تساعد على إبعاد العناكب والقضاء عليها" (بروكلين - ٣٩).

على أية حال، فإنه طبقًا لبعض النقوش كان بعضهم إما أطباء "سونو" أو كهنة "خرب سرقت" (مثل "إرى" الذى حمل العديد من التخصصات فى نهاية عصر الدولة القديمة). صُوِّرت هذه الإلهة "*وهى من تجعلك تتنفس*" على شكل امرأة على رأسها عقرب وكانت مُحسنة. تم العثور على تجسيد رائع لها فى مقبرة توت عنخ أمون، وهو عبارة عن تمثال من



تمثال الإلهة "سرقت"، تم العثور عليه فى مقبرة توت عنخ أمون (الأسرة الثامنة عشرة)، التمثال من الخشب المُذهَّب والسلون ويوجد بالمتحف المصرى بالقاهرة.



الخشب المُذهَّب .. هى واحدة من الإلهات التى تقوم بحماية الوعاء الفَخَّارى الذى يحتوى على أحشاء الملك.

أما لوحة رئيس الفريق الطبى "باكى" Baki والتى عُثر عليها بدير المدينة وتوجد حاليًا بالمتحف البريطانى، فهى توضح لنا أحد كهنة "خرب سرقت" الملقب بـ"أمون مس" Amenmose.

جدير بالذكر أن هؤلاء الكهنة الذين ورد ذكرهم فى بردية "بروكلين" لم يقتصر دورهم على دور السَّحَرة فقط؛ ولكنهم مارسوا بعض الأعمال التى تحمل طابَع العلاج الطبيعى.

أما "حكاو" Hekau فكانوا مجموعة من السحرة ترتبط بإله السحر "حكا"، ولكن مع الأسف ليس لدينا فى هذا المقام سوى شخص واحد يحمل عدة ألقاب .. منها Heryshefnakht "حرشف نخت" ur Sunu n nesu (رئيس أطباء الملك)، وكذلك imy-r-hekau (ناظر الحكاو).

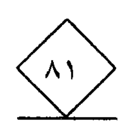
ميرروكا .. وزير الملك "تيتى" وصهره (الأسرة السادسة) والذى يشتهر بالنقوش البارزة على مصطبته بسقارة؛ بالإضافة إلى أنه يحمل اللقب الغريب (ناظر ضفَّتَىْ مركب أطباء البلاط)، كان ـ كما يؤكد "نون" ـ "خرى حبت"، أى كان مرتلاً وهو اللقب الذى التصق بإنشاء ترانيم السحر وطقوس الشعوذة، وهو يقابل الدور الذى يقوم به حاليًا شماس الكنيسة.

كما أُطلق على بعض السحرة Sau (كلمة مشتقة من سا sa، وهى تعنى: تميمة وحماية). فى هذه الحالة أيضًا لدينا بعض الأطباء هم فى ذات الوقت سحرة، كما تشير إلى ذلك كتابات معبد سرابيط الخادم بسيناء.

مما سبق يتضح أن السحر والطب قد امتزجا وارتبطا معًا برباط وثيق فى مصر الفرعونية (حيث كانت ترانيم السحر تُستخدم كعلاج مساعد للعلاج التقليدى). كذلك كان الحال - وإن كان على نطاق أضيق - فى الحضارات الأخرى المعاصرة فى الشرق الأدنى. ونحن نرى - من وجهة نظرنا - أنه من الصعب توثيق علاقة تجمع بين السحر والدين والطب.

يؤكد "داوسون" (١٩٢٩م): "إن الساحر بترانيمه، والطبيب بأدويته، والكاهن بصلواته وطقوسه اجتهدوا على مر القرون لحماية البشرية والإبقاء على الحياة لفترة طويلة .. عملوا على تدعيم سُبُل القدرة على الحياة ومعارضة القوى التى تهدد الوجود". ولكن من المؤكد أن كل هذه الأدوار لم يوضع لها توصيف محدد تمامًا فى مصر مثل العلاقة التى تربط الطبيب المصرى بالمريض (كما سنرى بعد بالتفصيل)، وكذلك العلاقة بين قواعد ودستور مهنة الطب وأخلاقياتها والعلاجات الدوائية المشتقة من الطبيعة .. كل هذه العوامل توضح بعض المظاهر المعاصرة ومدى أهمية هذا الفن الطبى القديم. على الجانب الآخر، ليس هناك شك فى أن التشخيص الغامض لكثير من أمراض الباطنة يجعلنا نعتقد أننا أمام عمل يقوم به أناس فوق الطبيعة: "إله أو إلهة، ميت أو ميتة، عدو أو عدوة" (إيبرس-٢) "يتسللون إلى الجسد فيصيبونه بالمرض".

يوضح "نون" كيف أن الإيحاء النفسى وانتظار العلاج تُعد عوامل ذات تأثير علاجى فعَّال؛ وخاصة فيما يتعلق بتخفيف الآلام (تأثير مخدر). كما يرى أيضًا أن تأثير كثير من العلاجات يجب إعادة ربطه بهذه الظاهرة التى من المحتمل أنها انتشرت بشىء من المبالغة كنتيجة للإيحاء الذى يتولد من طقوس السحر.



ثم يذكر "نون" بعد ذلك الحالة التى تنغمس فيها جذور السحر فى أعماق المنطق، على سبيل المثال تركيز نسبة القلويات فى بعض الأنواع من النباتات التى تتبع إيقاعات Circadiani يفسر لماذا يتم حصاد هذه الخضراوات فى وقت معين من النهار (فى حقبة متأخرة أوصى "جالينوس" بجنى وحصاد أنواع معينة من الأعشاب قبل بزوغ الفجر). فى هذه الحالة، طغى تأثير السحر على فاعلية النبات التى ترتبط هى الأخرى بموعد حصاده.

يرى "ليفيفر" أن الطب قد اشتُقَّ من السحر حيث ظل العلاج معزولاً عن تركيبته السحرية؛ لذلك فقد ضاعت هذه التركيبة. وعلى العكس، يرى كل من "جرابو"، و"سجرست" Sigerist أن السحر والتجريب قد اتحدا منذ البداية. والدليل على انتشار ممارسات السحر ليس فقط هذه التركيبات وطقوس السحر التى ورد ذكرها فى البرديات الطبية، ولكن أيضًا عوامل أخرى وجدت فى هذه المجموعة المختارة من البرديات وأعداد لا حصر لها من التمائم، أو ما يُطلق عليه التماثيل المعالجة أو الوقائية. وعلى ذكر مثل هذه التماثيل نذكر اللوحة الشهيرة مترنيخ Metterniche (الأسرة الثلاثون، موجودة حاليًا بمتحف المتروپوليتان بنيويورك)، تم حفرها على شكل رأس سحرى للوقاية من عضات ولدغات الحيوانات المتوحشة، مع صورة للطفل حورس واقفًا على التماسيح وفوق رأسه الإله المُحسن "بِسْ" ويحمل فى يده ثعابين وأُسودًا وحيوانات متوحشة وعقارب.

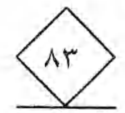
هنالك أيضًا تمثال تسكى وتس Tyskiewicz (الأسرة الثلاثون، يوجد حاليًا بمتحف اللوفر)، يحمل هو الآخر لوحة حورس وهو فوق التماسيح .. كذلك العديد من شواهد القبور التى





تمثال من البازلت يُطلق عليه " تسكى وتس " Tyskiewicz (الأسرة الثلاثون ـ متحف اللوفر)، يحمل لوحة حورس فوق التمساح مع نصوص سحرية محفورة.

نُقش عليها هى الأخرى حورس (أحدها يوجد فى تورينو) وتغطيها الكتابات .. أيضًا التمثال الوقائى لـ Djedhor "چد حور" (فترة حكم فيليپ أرهيدايوس، حوالى ٣٢٠ ق.م.، تم العثور عليه فى تل أتريب) مع نفس شكل حورس وحوض لجمع المياه. هذه المياه المتدفقة تبلل التمثال بالفضيلة ويتم استخدامها لأغراض علاجية. فى العصر المتأخر كانت تتم تَجربة القدرات الإعجازية للمياه فى "المصحات"، وهى عبارة عن سياج مقدس ملحق بالمعابد مثل معبد "حتحور" بدندرة حيث كان يُسمح للمريض أيضًا بالنوم فى محاولة لتلقِّى العلاج الإلهى فى الحلم. ولكنه على ما يبدو كان حصنًا لأحد المعسكرات الرومانية. على أية حال، هناك نص ما زال موجودًا فى إحدى الصوامع .. إنها لوحة "قن حر خبش إف" (دير المدينة ـ الأسرة التاسعة عشرة) والتى تنتمى إلى عائلتها برديات "شيستر بيتى" والتى تمدنا بمعلومات عن هذه الممارسات: " لقد أمضيت الليل فى هذا الفناء الخارجى. شربت



الماء .. لقد قضى جسدى الليل بحثًا عن ملجأ يخلصنى من وجهك". وأخيرًا، هناك "كتاب الأحلام" (الأسرة الثلاثون) الذى يسرد العديد من الأمثلة.

الفصل الرابع

منظومة علم الأدوية

" يجب عليك أن تُعده من أجله". لقد وردت هذه العبارة فى كثير من الوصفات الطبية .. سوف نتعرف فى هذا الفصل بإيجاز على مكونات الأدوية لدى قدماء المصريين والتى تحتوى على العديد من العناصر. ولكنك عزيزى القارئ ستجد المزيد من المعلومات فى الفصل المخصص لدراسة علم الأمراض وأسبابها (تشخيص المرض).

بادئ ذى بدء، لا بد من الاعتراف بأنه من الصعب تحديد التأثير الحقيقى والفعال لكل عنصر من عناصر الوصفة الطبية؛ حيث إنها كانت تتكون فى الغالب من أكثر من دواء (لدرجة أنها وصلت إلى ٣٧ عقَّارًا فى وصفة طبية واحدة)، (وفقًا لما ذكرته بردية إيبرس ٦٦٣)، هذا من جانب .. أما على الجانب الآخر، فإنه من المستحيل مطابقة كثير من هذه العلاجات بالمصطلحات



العلمية الحديثة. فى الوقت ذاته، ربما تقلصت أو ندرت زراعة بعض النباتات بسبب اتساع رقعة الأراضى التى قد تقع خارج حدود مصر فى الوقت الحالى؛ وكذلك الحال أيضًا بالنسبة لبعض أنواع من الحيوانات. وفى نهاية الوصفة الطبية غالبًا ما يتم تحديد تأثيرها الفعال: "*إنها حقًا فعالة لو استُخدمت مليون مرة*". أما المواد التى كانت فى متناول الطبيب فقد تم استخراجها من ثلاثة موارد أساسية من الطبيعة، وهى: الحيوانات، والنباتات، والمعادن. ولكن المعايير التى على أساسها يتم الاختيار ما بين هذه المواد لم نعلمها بعد، وقد تكون معايير أُسِّست بناء على الاستعمال التقليدى أو الاستخدام لمجرد التجربة، ولم يُستدل بعد عما إذا كانت هذه المواد العديدة قد استُخدمت كعنصر نشط أو كعنصر خامل أو كلاهما معًا.

من الواضح أنه كان يتم استخراج العديد من هذه العناصر على أساس خاصية الذوبان فى الماء والكحول (كذلك أيضًا خاصية الذوبان فى بعض القلويات مثل النبيذ والبيرة)، والزيت والدهون والعسل. وفقًا لحالة المريض، فإن بعض المكونات مثل العسل يمكن أن يكون لها تأثير علاجى أكثر فاعلية من المواد المهدئة أو المواد العطرية. أما فيما يتعلق بموضوع تعرض العقاقير قبل تركيبها للندى طوال الليل؛ فالسبب فى ذلك يرجع إلى أن الدواء قبل استخدامه لا بد أن يُحضَّر من المادة الأوَّلية الموجودة به.

كانت طرق تحضير الدواء تتكون من عدة خطوات: الطحن، والطهى، والتصفية، وأخيرًا المزج. وبين الحين والآخر، كان يطل السحر برأسه فى هذا المضمار، وقد يرجع ذلك إلى العلاج الساحر الذى استُخدم لعلاج احتباس البول عند الأطفال عن

طريق غلى ورقة بردى قديمة فى الزيت (إيبرس ٢٦٢) .. وربما استُخدم السحر أيضًا فى علاج حالات الكسر فى الجمجمة كما ورد فى بردية (سميث ـ ٩)، حيث نُصح باستخدام بيض النعامة على اعتبار أن غلاف البيضة يشبه إلى حد كبير الجمجمة.

كانت الزيوت المستخدمة فى ذلك الوقت زيوتًا مستخرجة من النباتات مثل زيت الزيتون، حتى وإن كان قد استخدم من قبل خلال حكم الأسرة الثامنة عشرة والأسرة التاسعة عشرة فى منف، فلم يكن موجودًا وتم استحداثه من قِبل الإغريق. استُخرجت هذه الزيوت من أشجار Baq مورنجا ترِدُس بِيَرما (Moringa pterydos perma) ومن ثمار "الإشد" (Ished) (Balanites aegypiace) وأشجار الحور وشجر الخروع؛ وكذلك بذور الكتَّان (اعتبارًا من العصر البطلمى). أما النبيذ (irep) فكان يحتوى على نسب كحولية متفاوتة تتراوح ما بين ١٠% و ٢٠%، والبيرة (henqet) كانت تحتوى على العديد من الأنواع، منها البيرة العذبة والبيرة الخاصة التى تُقدم كعطايا والبيرة المُعتَّقة، وأحيانًا كانت تُستخدم مُخمرة فهى غنية بالخميرة. وبالصدفة البحتة وعن طريق بعض الفحوصات على العظام، لُوحظ أن سكان النوبة من قديم الأزل كانوا يبتلعون التتراسكلين ويستهلكون الحبوب أو البيرة الملوثة بالستربتوميسين.

غالبًا ما كانت تحدد الوصفات الطبية الجرعات التى يتناولها المريض عن طريق مقياس يُعرف بالمكيال الصغير الذى يوجد منه بعض النماذج فى لندن (متحف Petrie ـ الكلية الجامعية). تُعتبر "الهيكات" l'heqat (٤,٥١) من أشهر المقاييس والتى لم يرد ذكرها فى البرديات الطبية نظرًا لكبر حجمها، وكذلك "الهن" l'henu (وهو ١/١٠ الهيكات l'heqat ـ حوالى ٤٥٠مم)، الـ"رو" ro



(١/٣٢٠ من الهيكات heqat - حوالى ١٤مم): العديد من هذه الـ"رو" ro كانت تُكتب أحيانًا مع ترقيمها برقم يوضع أسفل العلامة الموجودة على الفوهة. على أية حال، كانت مكونات الوصفة الطبية محددة دائمًا، كما تحتوى على وحدات مقسمة بنسب معينة، كأن يكون مثلاً المقام (١) والكسر (٢) أو مضاعفاتها، ونادرًا ما كان يتم التعبير عنها على النحو التالى: ١/٣، ٢/٣، ٣/٤. هذه التقسيمات كانت تُكتب بوضع رقم الكسر أسفل العلامة الموجودة على فوهة المقياس (لمزيد من المعلومات يمكن الاطّلاع على ما كتبه "نون" فى هذا الصدد). كانت تُمثل هذه التقسيمات أيضًا على شكل أجزاء من عين حورس. ولكن يتبقى معرفة إجمالى كمية الدواء المستخدم. عن هذه الجزئية يتساءل "نون" كيف يمكن استخدام مواد معينة تحتوى على جرعات سُمية تدخل فى تركيبها؟ .. ربما تكون أحجام المكاييل المستخدمة تشير إلى جرعات ثابتة ومتعارف عليها بحيث لا يكون هناك طائل من إعادة ذكرها.

كانت طرق استخدام الدواء متعددة، فقد استُخدم اللبوس على سبيل المثال فى علاج أمراض المستقيم والمِهبَل، كما استُخدمت الحقن الشرجية، وكذلك تم تناول الدواء عن طريق الفم. كما لجأ قدماء المصريين أيضًا إلى الاستخدام الظاهرى للدواء، مثل الدهانات وأربطة التضميد والتبخير (تبخير الهواء أو تبخير المهبل).

نعود مرة أخرى إلى ما كنا نتحدث عنه من قبل، لقد أخبرنا "كليمنت" أن أحد الكتب الستة عن الطب وتحديدًا الكتاب الرابع، عالج منظومة علم الأدوية .. مثال بسيط ورد ذكره فى بردية (إيبرس - ٢٥١)؛ حيث نصح الأطباء باستخدامات متعددة لشجر

الخروع ومنها: سائل يشبه الماء يستخرج من جذور شجر الخروع، للاستخدام الخارجي لعلاج آلام الرأس .. أما بذور الخروع الممزوجة بالبيرة فكانت لعلاج حالات الالتهاب المعوى .. وبذور الخروع مفتتة وممزوجة بالزيت العطرى لعلاج حالات الصلع لدى السيدات .. والزيت المستخرج من بذور الخروع لعلاجات أمراض غير محددة تصيب الجلد (وهو يُستخدم حاليًا كدهانات "مراهم مُسكِّنة).

أدوية تُستخرج من المعادن (ذات مركبات معدنية)

من بين هذه المعادن (التى سنتعرف عليها لاحقًا فى الوصفات الطبية التى نتناولها بالتفصيل فى فصل الأمراض)، نجد الألباستر (Shes) والجالينة أو كبريتيد الصوديوم (سلفور الرصاص وليس الأنثيمون كما كان يُعتقد من قبل)، والجرانيت (Mat) والهيماتيت (Dedi): لا يوجد دليل على أن كل هذه المواد والتى أغلبها غير قابل للذوبان لها تأثير علاجى فعال، على العكس، فهى ما زالت محل جدل ونقاش غاضب. نفس الشيء أيضًا بالنسبة للملخيت "الكُحل" (Uadju)، وكان يُستخدم لعلاج أمراض العيون. اتضح أن المكون الأساسى له عبارة عن كربونات مذابة فى النحاس وهو يمنع نمو البكتريا. وكان يُستخدم تحديدًا فى علاج الحروق (إيبرس - ٤٩١)، أو جروح الصدر (سميث - ٤٦). أما أحجار اللازورد ("Khwsbedj" سليكات الألومنيوم والصوديوم وسلفات الصوديوم)، فكانت تستخدم لعلاج العيون، وقد يكون موطنها الأصلى أفغانستان الحالية. كما كانت هناك العديد من الاستخدامات للملح الشائع حاليًا (ملح الطعام)،



(هيمات Hemat ـ كلوريد الصوديوم أو ملح مصر السفلى)، كان يتم الحصول عليه بسهولة من تبخير مياه البحر. هناك أيضًا النطرون (Hesmen) وهو يوجد بوفرة فى مصر، ويتكون من خليط من المتبخرات (مواد مترسبة نتيجة عملية التبخير)، وهو عبارة عن أملاح الصوديوم بكميات تختلف نِسَبُها من مكان لآخر (كلوريد ـ كربونات ـ بيكربونات ـ سلفات). استُخدم النطرون فى عمليات التحنيط نظرًا لما يتمتع به من خصائص التجفيف. وكان يستخدم استخدامًا ظاهريًا وغالبًا تحت رباط (ضمادة)، وله خاصية القضاء على العفن.

أما "l'imeru" فهى مادة غير شائعة كانت تُستخدم فى تضميد المصاب بالكسور أو انفكاك المفاصل؛ وكذلك فى إعداد Cartonnage "لفائف المومياوات" وهو ما يدعونا إلى الاعتقاد أن هذه المادة هى تراب الجبس. وعن احتمال استخدام النِّفْط الخام سوف نتحدث عنه لاحقًا عند تناول مرض المياه البيضاء بالعين.

أدوية مُستخرَجة من النباتات (ذات مُركَّبات نباتية)

أكد "نون" على أهمية الأدوية المستخرجة من النباتات، كما أوضح كيف أن ٢٥% من المكونات الحية للأدوية المستخدمة حاليًا تطابقت لأول مرة مع أنواع من النباتات المهمة. فى أحد المقالات يؤكد "لانست" Lancet أن أكثر من ٩٠% من أنواع النباتات الشائعة يجب دراستها نظرًا لما تتمتع به من خواص علاجية. أما السيدة "جيرمر" Germer فترى أن ٢٠% من النباتات التى ورد ذكرها فى البرديات الطبية يمكن تحديد هويتها، ولكن تظهر مشاكل أخرى عندما لا يتم تحديد أى جزء من النبات

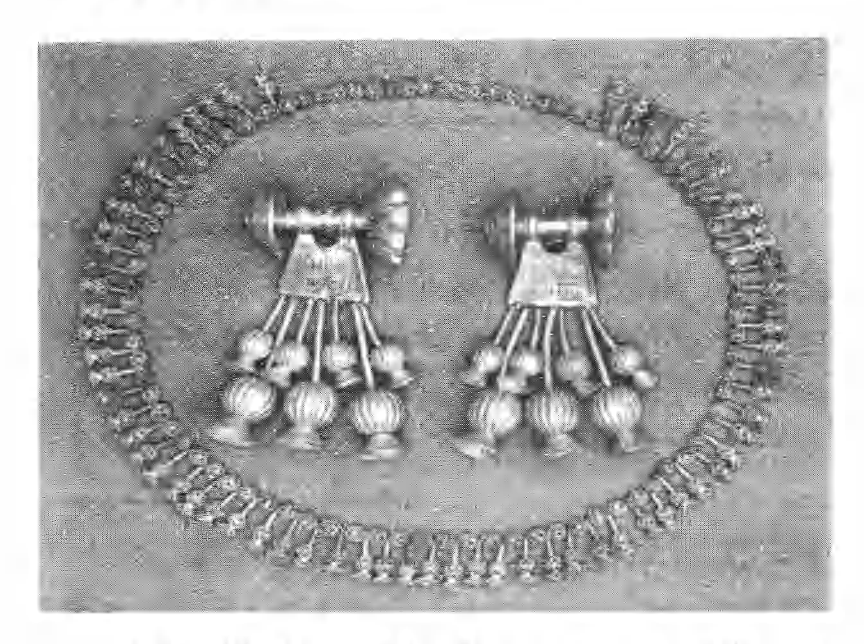
يجب استخدامه. ولكن ما زال هناك كثير من التشكُّك في بعض أسماء النباتات، فعلى سبيل المثال، نبات جاريت "djaret" كان سابقًا يُعرف بـ"كولوكينيتد" Coloquintide، أما الآن فيُعرف بشجرة الخَرُّوب. كذلك أفت أفي "afet afay" تمت ترجمتها على أنها نبات ثلاثي الأوراق، أما الآن فهي تُعرف بالخس. و"matet" يعني الكرفس، بينما ترجمه "فولكنر" على أنه "نبات التفاح" mandragola، وإن كان هذا المعنى به كثير من الشك أيضًا. كما أن هناك لَبْسًا بين نوعين من النباتات يتم استخدامهما في غذائنا اليومي، كما كانا يُستخدمان بكثرة على مائدة المصري القديم .. إنهما الثوم والبصل. لقد أكد "هيرودوت" (الثاني ـ ١٢٥) شيوع استخدامهما من قبل. المصطلح المصري للبصل هو ألومسيفا (Alliumcefa)، ولكن "نون" يرى أنه (hedju) متبعًا في ذلك "فولكنر" و"جرونديس". ولكنني أتفق في الرأي مع الترجمة الحديثة لـ"باردينت" الذي يرى أن كلمة هيدجو (hedju) لا بد أن تعني الثوم (Allium Sativum). على العكس من ذلك، يرى "نون" مثل هيتين "Kheten" أنهما يُستخدمان في صناعة الأدوية على الرغم من فائدتهما. عند هذه النقطة نستعرض معًا هذه الوصفة الطبية التي وردت في بردية (إيبرس ـ ٨٤٤): "علاج آخر يمنع خروج الثعبان من جحره .. فص ثوم واحد (Ta hedju ـ كما نرى أن ترجمة هذه الكلمة على أنها البصل تفجر بعض المشاكل) .. بوضعه على مدخل الجحر لا يستطيع الثعبان الخروج مطلقًا". هذه الترجمة حظيت بالتأييد في بردية(كارلسبرج ـ ٤) وكذلك ترجمة (كاهون ـ ٢٨)؛ حيث استشهدا بطريقة تشخيص حالة الحمل باستخدام رأس من الثوم (سيتم تناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل فيما بعد)، وقد استخدمه أبوقراط مع إشارة واضحة



وصريحة إلى الثوم (وليس إلى البصل)، فى علاج حالات عقم السيدات. مجموعة من "رؤوس" الثوم تم حفظها فى مقبرة توت عنخ أمون ولكن "نيوبيرى" قام بترجمتها على أنها بصل.

يُعتبر "hedju" أحد العلاجات التى ورد ذكرها فى بردية (إيبرس - ٨٠٢) بنفس قراءتها ولكن بكتابة مختلفة كلية والتى ترجمها "ليفيڤر"، "بصل" وأضاف إليها "بارديت" كلمة "راتنج hedju". كما ذكرت بردية "بروكلين" كلمة "hedju" على أنها علاج وقائى ضد لدغات الثعابين: "يُعد الثوم علاجًا ممتازًا لعلاج أى إنسان تعرض إلى لدغات؛ سوف يُسحق ويُذاب مع البيرة وبمجرد تناوله يتقيؤه المريض وذلك على مدار اليوم" (برلين - ٤١). "فيما يتعلق بالثوم، سوف يكون دائمًا فى يد "خرب" كاهن الإلهة "سرقت" أينما كان. إنه سُم فعال يقتل كل الثعابين وجميع الحيَّات. إذا أُذيب مفتتًا فى الماء ودهن به أى شخص جسده لن يقترب منه أى ثعبان ولن يتعرض لأى لدغات" (برلين - ٤٢a). "إذا أُذيب الثوم مفتتًا مع قليل من البيرة ثم رُش به جميع أرجاء المنزل فى أول أيام العام الجديد لا يدخل هذا المنزل مطلقًا أى ثعبان أو أى حية" (برلين - ٤٢b).

أما نبات الخشخاش المخدر شيبين (shepen)، فمن المحتمل أنه كان شائع الاستخدام فى الدولة القديمة .. أما كبسولات الخشْخاش، فقد تم تصويرها مقترنة دائمًا بفن صناعة المعادن الثمينة .. مثال على ذلك، زوج من الأقراط مصنوع من الذهب مع خرطوشين لسيتى الثانى (الأسرة التاسعة عشرة - المتحف المصرى بالقاهرة)، يتدلى منهما كبسولات من الخشخاش وليس من زهور الزّنبق (كما يؤكد أندراوس - ١٩٩٠م)، فما كانت تتدلى من قلادة تعود لعصر الأسرة الثامنة عشرة (المتحف البريطانى)



زوج من الأقراط مصنوع من الذهب مع خرطوشين للملك سيتى الثانى (الأسرة التاسعة عشرة).. يتدلى منهما كبسولات مصنوعة من نبات الخشْخاش (المتحف المصرى بالقاهرة).

ما هى إلا كبسولات تستخدم كمكونات أساسية للقلائد المصنوعة من الذهب أو المصنوعة من الأحجار الصلدة، المستجلبة من مقبرة الزوجات الثلاث لتحتمس الثالث (الأسرة الثامنة عشرة ـ المتحف البريطانى). كما أشارت البرديات أيضًا إلى نبات الخشخاش؛ ولكن بردية (إيبرس ـ ٧٨٢) أشارت إلى استخدامه كمُهدِّئ للأطفال ذى استخدام آمن وصحيح يضع حدًا لصرخاتهم (حتى وإن كانت مطابقة اللفظ مع كلمة Shepen يشوبها كثير من الشك): "تُستخدم كبسولات الخشخاش لتهدئة الصرخات والقضاء على غائط الذباب فوق الجدران. يُخلط جيدًا ثم يُصفى ويتم تناوله لمدة أربعة أيام، وذلك كعلاج فعال لتهدئة الصرخات التى ستتوقف فى الحال ..". فى أحد أعماله، أكد ميزيو Muzio

(١٩٢٥م) على وجود المورفين داخل جَرَّة تم استجلابها من مقبرة المعمارى "كها" Kha. وكما هو معلوم أن محتويات هذه المقبرة توجد حاليًا فى تورينو. ولكن لم تستطع أحدث الأبحاث بكل ما تملك من تقنية علمية حديثة أن تثبت هذا الأمر. وبالعودة إلى الوصفة الطبية السابقة، نجد أن ترجمة "ليفيڤر" لبذور الخشخاش لم تحظ بأية موافقة؛ حيث إن البذور تحتوى على قليل من المورفين مقارنة بالكبسولة. وأشار Merrilles إلى الأهمية التى أوْلَتها الدولة الحديثة إلى الأفيون المستجلب من قبرص، باستخدام نوع خاص من الجِرار الصغيرة.

كان شائعًا أيضًا استخدام أنواع أخرى من النباتات مثل ساتڤا كاناليس (سنشاميت) الفعالة cannalis Sativa (Shemshemet)؛ وكذلك الماندراك Mandragole الذى تطابق من قبل مع ماتِت Matet والآن يُطلق عليه كَرَفْس. نلاحظ أن بردية لندن أو ليدن (القرن الثالث الميلادى) ذكرتا بالديموطيقية كلمة Mantraguru، وهى كلمة يشوبها الشك. على أية حال، فقد صُوِّرت الثمرة من قبل فى عصر العمارنة.

أما اللوتس "زيهن" (Seshen) فيتكون من: اللوتس الأزرق (Nymphaea Caerulea) واللوتس الأبيض (N.Lotus) واللوتس الأحمر (Nelumbo nucifera)، وقد يعود ظهوره إلى الحقبة الفارسية فقط. الزهرة تحتوى على قلويات قابلة للذوبان فى الكحول (وبالتالى فهو قابل لتركيبه مع النبيذ والبيرة) ويكون له تأثير قوى كمنوِّم. إن العديد من الصور التى تجسد أشخاصًا يقومون باستنشاق رحيق زهرة اللوتس ليست لها علاقة على الإطلاق بهذه الخاصية؛ ولكن ارتبط استنشاق رحيق زهرة اللوتس برائحته الذكية وخاصة اللوتس الأزرق؛ وكذلك لمكانته كنبات مقدس وخاصة

لدوره فى نظرية نشأة الكون لمدينة "هيرموپوليس" Ermopolitana.
يكفى الاطّلاع على الفصل الحادى والثلاثين من "كتاب الموتى" لنرى عملية التحول إلى زهرة اللوتس.. اللوتس الأزرق كان رمزًا للإله الشاب لمدينة منف "نفرتوم" (سيد العطور).

يُترجم "فولكنر" Khau اللوتس التى تظهر فى البرديات الطبية (إيبرس - ٢٠٩، و ٤٧٩ / برلين B. VI 13b) على أنها زهور اللوتس وأوراق اللوتس. فى كلتا الحالتين، الدواء لا بد أن يظل طوال الليل تحت الندى ثم يُستخدم بعد ذلك (الأول لعلاج بعض الآلام غير المحددة فى الجانب الأيمن للجسد والثانى لعلاج الكبد)، أما الحالة الثالثة فيُستخدم كحقنة شرجية.

والآن نستعرض أيضًا بعض المكونات النباتية: فى إحدى الحالات (إيبرس - ٢٩٣): حتى تصل التغذية إلى القلب يُنصح باستخدام سوليس Solice (Tjent)، وقد يُقصد به لحاء الشجرة. بعض المكونات الأخرى مثل: التين ١/٨ / الجذمور (وهى ساق أرضية شبيهة بالجذر) ١/٨ / راتنج البطم ١/٦٤ / نبيذ البلح ١/٣٢ / ثوم ١/٣٢ / بيرة حلوة ٢٥ رو / لحم سمين ١/٤ / لحاء شجرة solice ١/٨ .. يُطهى هذا الخليط على النار ثم يُصفّى ويُشرب لمدة أربعة أيام .. النتيجة ستكون مذهلة، إذا علمنا أن لحاء الشجرة يحتوى على السيلسين الذى يُستخرج منه حمض السلسليك والذى نعلم جيدًا تأثيره الفعال ضد الحمى وضد الالتهابات. أما راتنج البطم والذى ذكرناه سابقًا وبعض النباتات الأخرى المشابهة له فيُستخدم فى التبخير. كما استُخدم زيت الخروع كما شاهدنا من قبل ضد الالتهابات المعدية (إيبرس٢٥ - ٢٥١). سوف نعاود الحديث عن علاج أمراض الجهاز الهضمى. أما نبات جينجنت Gengenet (إيبرس - ٢٨، وصفة طبية لعلاج "ستيپسى Stipsi)

(الالتهابات المعوية)، فقد قام "أبل" بمطابقته مع "السَّنامكى". أما نبات الأفسنتين (Sam) والرمان "انهيمن" (Inhemen)، فلهما خاصية فعالة للقضاء على الديدان فى الأمعاء. كما أن نبات الناردين له تأثير مهدئ للأعصاب ومضاد للتشنُّج العضلى.

أدوية ذات مركبات حيوانية

تلك الأدوية يمكن تحضيرها من حيوانات أليفة وحيوانات متوحشة أيضًا مثل الأسد والتمساح، فكلما كانت هناك صعوبة فى تموين مكونات الدواء كانت قدرته على العلاج وفاعليته أكثر تأكيدًا. بعض هذه المكونات فى الواقع غريب وصعب الحصول عليه مثل غائط التمساح الذى يُستخدم كعلاج لمنع الحمل (كاهون ٢١)، أو صفراء كبد السلحفاة (إيبرس ٣٤٧) للقضاء على النقط البيضاء التى تصيب قَرَنيَّة العين أو غائط الذباب الذى ذكرناه من قبل (إيبرس ٧٨٢). من الغريب أيضًا استخدام بول الفتاة (برلين ٦٠، ٦٤، ١٠٩) كعلاج.

يأتى العسل على رأس المواد الأكثر استخدامًا والأكثر شيوعًا كمُسكِّن أو مُهدِّئ، فهو دواء مستقل بذاته: فقد استخدم كعلاج للسعال (من بين ٢١ وصفة طبية للقضاء على السعال يوجد ١٢ وصفة تحتوى على العسل - انظر على سبيل المثال بردية إيبرس ٣٢٣، كما أوصى به Dioscoride). كما أنه فعَّال كمضاد للبكتريا ومضاد للطفيليات وذلك بسبب التأثير المتجانس لتركيز المواد السكرية به، كما يُستخدم فى علاج الجروح حيث يقلل من نسبة التقيحات والالتهابات ويساعد على اندمال الجرح. على العكس، فإن استخدامه فى علاج تسوس الأسنان ما زال موضع

دراسة. على أية حال، فهو واحد من المكونات الأكثر استخدامًا فى الوصفات الطبية (حيث تكرر ذكره أكثر من ٢٣٣ مرة فى بردية إيبرس). أما فى الوصفات الطبية الخاصة بأمراض العيون، فقد استُخدم بصفة شبه دائمة فى تحضير مراهم العين.

قطعة الشقافة رقم أ ١١٢٤٧ والتى عُثر عليها بدير المدينة، تحتوى على خطاب للرسام پاى Pay (صاحب الزخارف على مقبرة سيتى الأول)، فى هذا الخطاب يطلب العسل لعلاج عينيه حيث فقد البصر؛ بالإضافة إلى كبريتيد الرصاص وبعض ثمار اللوز. (فى الفقرة رقم ٣٠٢ من بردية إيبرس)، نجد العسل مكونًا أساسيًا فى علاج الصديد "سيتت" Setet (عناصر تسبب المرض تحدثنا عنها من قبل): إنه نبات djaret (الذى له تأثير مُليِّن) الذى يتم تفتيته وخلطه مع البيرة العذبة.

كما أن تخفيف العسل بإضافة الماء أو سوائل أخرى بنسبة ٤٠% يقتل البكتريا ومنها السلامونيلا ووباء الكوليرا. ثمة ملاحظة حديثة ظهرت فى مجلة "الطبيعة" تم استنتاجها من بحث أجراه Cooper e Coll (عام ٢٠٠٢م) تؤكد فاعلية العسل ضد كثير من البكتريا حتى التى توجد فى المضادات الحيوية. وحديثًا نصحت هيئة الصحة العالمية WHO باستخدام العسل فى علاج إسهال الأطفال حيث يختصر فترة المرض. يُستخدم أيضًا فى علاج مرضى التهابات مجرى البول. يحتوى العسل على إنزيمات Inibina التى تحول الجلوكوز والأكسچين إلى فوق أكسيد الهيدروچين الذى له تأثير مطهر. كما يحتوى أيضًا على جلوكونولاتون Gluconolattone الذى له خاصية المضادات الحيوية وإن كانت ضعيفة. كم هو شائق أيضًا أن نذكر أن كثيرًا من الوصفات الطبية حذرت من خلط العسل مع مكونات أخرى



فى درجة حرارة متوسطة (حيث نعلم أن مفعول الإنزيمات يبطل بسبب الحرارة).

أما اللبن "إرتت" (irtet)، فقد استُخدم غالبًا كعامل مساعد يُحسن من طعم الدواء. أحيانًا يُنصح بلبن السيدة التى وضعت مولودًا ذكرًا (إيبرس ١٠٩ أو برلين ٢٠٢٧، ٧، ٣، ٥). العلاجات التى يدخل فى تركيبها اللبن كانت تؤخذ غالبًا عن طريق الفم أو أية وسيلة أخرى.

كم هو عجيب أيضًا استخدام الغائط هيس (hes) بمختلف أنواعه، حتى بما فيه غائط الإنسان (إيبرس ٧٩٣) فى الاستعمال الظاهرى فقط فى وصفات أمراض العيون. كذلك الدم سينف (Senef)، فاستخدام دم جميع أنواع الحيوانات يستحق هو الآخر وقفة. ولا يقل عجبًا استخدام المَشِيمَة (mut-remety أمُّ البشرية) فى وصفة طبية ضد الصَّلَع (إيبرس ٤٥٣ ـ الأمر يتعلق بمشيمة قطة). كما استُخدمت أيضًا صفراء كبد البقرة والماعز (فهى مفيدة فى علاج عضة الإنسان ـ إيبرس ٤٣٣)، وكذلك صفراء كبد بعض الحيوانات الأخرى.

استُخدم البول (muyt) غالبًا للاستعمال الظاهرى أو كحقنة شرجية. أما دهن الحيوان (adj)، فقد استُخدم على نطاق واسع بالإضافة إلى الزيت (حيوانى ونباتى ـ merhet): فى بعض الحالات (إيبرس ٤٦٥) ـ وصفة طبية تساعد على نمو الشعر. أوضح "تون" صعوبة إعداد المكونات وبالتالى التكلفة الباهظة للعلاج مع ترقب النتائج المحتملة، ولكن فى هذه الحالة يكون تأثير العلاج بالفعل محل جدال: "علاج آخر يساعد على نمو الشعر للأصلع عبارة عن دهن أسد، دهن فرس النهر، دهن

التمساح، دهن قط، دهن ثعبان، دهن وعل (بنسب متساوية) .. يخلط معًا ويُدهن به الرأس الأصلع".

كما استُخدم اللحم (iuf) الطازج على الجروح أيضًا على نطاق واسع (بردية سميث) لما له من تأثير فعال على تجلط الدم. أما الكبد ميست (miset) فهو من العناصر المهمة جدًا لاحتوائه على ڤيتامينات A و B 12، فقد استخدمه المصريون القدماء فى علاج مرض العَشَى الليلى (الذى سنتحدث عنه لاحقًا)، وكذلك فى علاج بعض أمراض العيون.

نختتم هذه المجموعة بالفأر پنو (Penu): بقلى هذا الحيوان القارض فى الزيت (إيبرس ١٤٩)، يمكن استخدامه كعلاج ضد الصلع حيث كان يُدهن رأس المريض بهذا المستحضر الذى تم طهيه جيدًا حتى درجة التحلُّل. بالإضافة إلى بردية "إرمان" حيث استخدم هذا الفأر المطهى فى علاج طفل. أشار "ليفيڤر" إلى أنه داخل أمعاء بعض جثث الأطفال المحنطة فى فترة حكم ما قبل الأسرات فى "نجع الدير" تم العثور على فئران مسلوخة.

وها هو Dioscoride، متأثرًا مرة أخرى بما كان يستخدمه المصريون، ينصح بعلاج حالات زيادة إفرازات اللعاب (التريبل) وحالات اضطرابات ظهور الأسنان بوضع فأر حى مباشرة على فم الطفل. على جانب آخر أوضح "داوسون" (١٩٢٤م) كيف ظلت باقية هذه الاستخدامات فى الطب الإغريقى والرومانى والقبطى والعربى وصولاً إلى الطب الإنجليزى وكذلك طب "جالينوس" (٥٠٠ ـ ٦٠٠م.)، انتهاءً بالطب الشعبى فى وقتنا المعاصر: "إن الفأر المسلوخ سواء مقلى أو مسلوق أو مُعالَج كعجائن، يوصف كعلاج للأطفال فى حالات سَلَس البول وزيادة

إفرازات اللُّعاب (الترييل)، ومرض التهاب الشُّعَب الهوائية" (انظر أيضًا الوصفة الطبية لـ"چون ويسلى"، مبادئ الطبيعة، ١٧٤٧)، والذى تحدث عنه "نون".



الفصل الخامس

الأمــراض

سؤال يطـرح نفسـه.. هـل عـانى قـدماء المـصريين مـن نفس الأمراض التى نعانى منها اليوم؟ مع الأخذ فى الاعتبار أن فرص الحياة كانت أقل كثيرًا من الآن. كما كان متوسط عمر الفرد - وفقًا لما ذكره كثير من الباحثين مثل "رابين ماسا" Rabino Massa ، "ماسولى" Masoli ، "كياريللى" Chiarlli - يتراوح ما بين ٣٥ و ٤٠ عامًا. نلاحظ أن بعض الأمراض مثل "ورم الشُعَب"، والذى تلعب فيه المرحلة العمرية والعوامل البيئية دورًا مهمًا، كانت نادرة جدًا، على عكس الكثير من الأمراض المُعْدِية الوبائية، كانت بكل تأكيد شائعة الانتشار.. البعض منها ارتبط فقط بهذه الفترة مثل مرض الطاعون ومرض الجُدَرى.. والبعض الآخر يحتمل انتشاره ولكن بمسببات مرضية مختلفة، مثل أنواع معينة من الجروح التى تسببها أسلحة بعينها لم يعد لها وجود فى وقتنا الحالى (مثل الجروح التى تسببها السهام). وأخيرًا، ما زالت هناك بعض



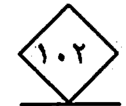
الأمراض التى كانت وما زالت منتشرة حتى يومنا هذا مثل حالة عدوى الإسكستوز.

أما المناخ فلم يختلف عن وقتنا الحالى، حتى وإن اختفت بعض المستنقعات وتغيرت إلى حد ما طبيعة الأحياء المائية والنبات، فلم يعد هناك وجود للتمساح وفرس النهر والأسد فى مصر.

جميع المعطيات والمعلومات عن علم تشخيص الأمراض ودراسة أسبابها وأعراضها والتى تم الحصول عليها من المصادر التى تحدثنا عنها من قبل، يجب تقييمها فى إطار معلوماتنا الطبية الحديثة دون أن نغفل حقيقة مهمة، وهى أن قدماء المصريين كانوا يملكون ما يدفعهم للاعتراف بطبيعة هذه الأمراض وحقيقتها، فقد تمتعوا بقدرات فائقة على التشخيص الدقيق للأمراض المُعدية.

عند إجراء تقييم موضوعى لطبيعة هذا الطب، لا بد أن يؤخذ فى الاعتبار هذه القدرات الفائقة مع تلافى الوقوع فى مصيدة المفارقات التاريخية وإساءة فهم تفكيرهم الذى يجب أن نستوعبه جيدًا؛ حتى لا ننطق على لسانهم ما لم يريدوا قوله. كانوا غالبًا ما يهتمون بأعراض قد تكون مقدمات لأمراض مختلفة، فلم يكن لديهم على سبيل المثال أدنى فكرة عن مفهوم العدوى الذى نعنيه نحن اليوم.

جدير بالذكر أنه أحيانًا يكون لدى الشعوب القديمة حدس معين واستبصار لأشياء بعيدة لا يكون لها المردود الذى نتوقعه.. على سبيل المثال نظرية العدوى كان يتعين انتظار انتشارها على أرض الواقع؛ ومن ثمَّ انتظار ستة عشر قرنًا.

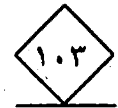


لقد بذلنا جهدًا كبيرًا فى هذا البحث حتى نصل قدر الإمكان إلى قلب الحقيقة ونوضح أسباب الأمراض وأعراضها بإثباتات مؤكدة أو على أقل تقدير محتملة. وعلى ذلك، فإن بحثنا هذا تنقصه الإشارة إلى بعض الأمراض المهمة، فهذا لا يعنى أنها لم تكن موجودة آنذاك ولكن ما أُتيح لنا من معطيات لا تؤكد وجود هذه الأمراض أو انتشارها.

سوف ينحصر الحديث عن كل حالة نتناولها ويتوقف على كَمِّ المعلومات التى استطعنا الحصول عليها؛ وذلك بسبب قلة هذه المعطيات أو عدم توافقها وتباينها الواضح، سواء زمنيًا أو جغرافيًا.

الأمراض المُعدية والأمراض التى تسببها الطفيليات

من بين الأمراض التى كانت شائعة فى مصر القديمة وكذلك جميع الحضارات القديمة التى سبقت عصر اختراع "المضادات الحيوية"، يظهر على السطح الأمراض المعدية والتى كانت أحد الأسباب الأساسية للوفيات. فى واقع الأمر، يتعين علينا دائمًا أن نتذكر أن تاريخ البشرية جمعاء: القديم منه والحديث أشار إلى حدوث حالات وبائية بعضها وصل إلينا عن طريق شهادات مكتوبة، وبعضها الآخر استطاع أن يؤثر فعليًا فى مجريات الأحداث الكبيرة فى التاريخ. ويكفى هنا أن نذكر تحديدًا الدور الذى لعبه مرض الملاريا فى زوال الحضارة الإغريقية القديمة ومن ثم زوال بلاد اليونان الكبرى، وكذلك سقوط الإمبراطورية الرومانية. أما فى العصر الحديث، فنذكر أمراضًا وبائية كثيرة مثل الجدرى والحصبة والكوليرا والتى جلبها الإنسان الأبيض إلى

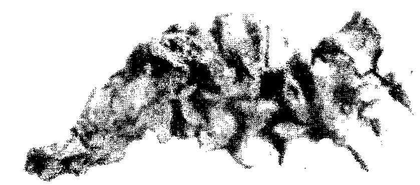


عالمنا المعاصر، وقد لعبت دورًا أساسيًا فى إبادة الإنسان أمريكى النشأة.

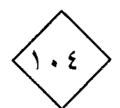
الكزَّاز (التيتانوس)

إن الحالة رقم (٧) فى بردية "الجراح" سميث، هى السبب الذى جعلنا نستهل هذه المجموعة من الأمراض المعدية بمرض الكزاز، فهى تتيح لنا الفرصة بطريقة مثالية للتعرف على العلاقة الوطيدة التى ربطت الطبيب المصرى بالمريض. عنوان الفقرة يحمل "*الدروس المتعلقة بجرح مفتوح فى رأس المريض، يصل إلى العظام ويخترق عظام الجمجمة*". بعد العنوان نصل إلى وصف الحالة بطريقة تتشابه مع ما يحدث فى بحثنا الموضوعى هذا، ثم يأتى التشخيص والذى غالبًا ما يسير على نفس النهج السابق، وأخيرًا، تأتى توقعات واحتمالات تطور المرض التى تتمثل فى ثلاثة أنواع: "مرض يتم الشفاء منه"، و"مرض ليس له علاج"، و"مرض سوف أقاومه". هذه التعبيرات الثلاثة توازى إلى حد كبير ما نردده اليوم: "تطورات مَرَضيَّة مُبشِّرة"، و"تطورات مرضية غير مبشرة"، و"تطورات مرضية يُتحفظ عليها". ومن التعبير



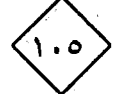


أجزاء من فقرات بشرية بها اعوجاج وانحناء (القطع الأثرية تم العثور عليها بالنوبة).



الأخير يأتى العلاج.. يُلاحظ أنه فى حالات تطورات المرض غير المبشرة يُنصح بعلاج مُسكن، أما الحالات التى يُتحفظ عليها فيُطلب من الطبيب دائمًا عدم إهمال المريض: "*فلتعتن به، ولا تتركه*".

وبالعودة إلى الحالة محل الدراسة نلاحظ أنها تتعلق بشخص مصاب بجرح فى الرأس مفتوح تدهورت حالته وأصيب بمرض الكزاز (وهو مرض تتشنَّج فيه عضلات العنق والفك). نرى ماذا يقول النص: "*بينما أنت تتحسس الجرح، تجد المريض يرتعش بشدة.. حاول أن تجعله يرفع وجهه.. إذا وجدت صعوبة فى فتح فمه وحدث إجهاد للقلب عند محاولته الكلام.. إذا اختبرت اللُّعاب الذى يتدلى على شفتيه ولا يقع على الأرض، ثم بدأ فى نزف الدم من أنفه وأذنيه وحدث تصلب فى العنق حال دون قدرته على رؤية كتفيه وصدره..* ..". إنه حقًا وصف معبر عن الحالة بدقة: إنه فى حالات الكزاز تحدث تقلُّصات فى منطقة العنق والوجه مع شلل فى العضلات العصبية وعضلات العين، والسمة الغالبة هى تشنج وتقلص فى عضلات الفم؛ بالإضافة إلى انهيار تام للحالة العامة للمريض. أما التشخيص فيسير على نفس نهج الاختيار الموضوعى: "*سوف تقول عنه: إنه شخص يعانى من جرح مفتوح فى رأسه يصل إلى عظام الجمجمة: يؤدى إلى تقلص أحبال فكيه* (إشارة واضحة إلى تشنُّج فى عضلات الفم).. *ثم ينزف المريض دمًا من فتحتى الأنف ومن أذنيه ويعانى تصلبًا فى العنق*". وها هى توقعات واحتمالات تطور المرض: "*مرض سوف أناضل معه*". يُلاحظ أن الكزَّاز مرض يحقق نتائج إلى حد ما مناسبة؛ حيث إن نسبة الشفاء منه - حتى فى حالة عدم وجود العلاج المتخصص - تصل إلى حوالى ٥٠%. وها هى الوصفة



الطبية للعلاج: "*فلتعلم أنه يتعين عليك تجهيز أى شىء ساخن حتى تتحسن حالة المريض وبالتالى يستطيع فتح فمه.. عليك أن تضمِّد الجرح بشاشة مبللة بالزيت والعسل إلى أن تلاحظ أن حالته قد استقرت*". يوجد بعد ذلك أيضًا احتمال آخر فى الاختبار الموضوعى: "*على العكس إذا وجدت أن جسد المريض قد اكتسب حرارة تنبعث من أسفل الجرح فى عظام جمجمته، وقد تدهورت حالته بسبب هذا الجرح فإذا وضعت يدك عليه: سوف تجد وجهه مبتلاً بالعرق وأحبال عنقه متقلصة وبشرته يكسوها اللون الأزرق وأسنانه ورقبته.. كما تبدو رائحة رأسه مثل رائحة بول الماعز وفمه مغلقًا وأهدابه متقلصة، بينما يبدو وجهه وكأنه يبكى*". يتضح تمامًا مدى تدهور الحالة العامة للمريض وتطور العدوى بمرض الكزاز، مع احتمال لتكاثر الجراثيم والميكروبات اللاهوائية بالجرح. وهكذا يختتم التشخيص: "*مرض يمكن علاجه*".

أما الاحتمال الثالث للاختبار الموضوعى فهو مختصر إلى حد ما، فهو يوضح الحالة الواهنة جدًا للمريض: "*ثم إذا وجدت المريض فى هذه الحالة من الوَهَن الشديد وشحوب الوجه*".. يجب اتباع وصفات علاجية أخرى يمكن كتابتها على النحو التالى: "*يجب عليك أن تجهز دعامة من الخشب ملفوفة بقطعة قماش لوضعها فى فم المريض*".. *ثم تجهز له عصيرًا من الخروب.. علاجه يتطلب وقوفه ثابتًا ومحاصرًا بدعامتين من الطوب إلى أن تلاحظ أن حالته قد استقرت*". ثم يُنقل المريض وتتم تغذيته بسوائل عن طريق الفم. وعندئذٍ يبدو جليًا شعور الطبيب المصرى بالرضا لما توصل إليه من نتائج إيجابية.

الدَّرَن (السُّل)

انتشر هذا المرض المُعْدِى في مصر القديمة.. ولكن ما بحوزتنا من مستندات دالة على ذلك قليل جدًا وقد يحتمل المناقشة فى كثير من الأجزاء.. فعلى سبيل المثال: البرديات بصفة عامة تقتصر على ذكر الأعراض العامة للسعال والعلاج اللازم وهو فى أغلب الحالات يعتمد على العسل.

يرى "أبل" أن الفقرتين (٨٦٠) و(٨٦١) من بردية "إيبرس" تشيران إلى حالات الدرن الناتجة عن التهاب الغدد الليمفاوية، وهو إلى حد ما افتراض يفتقر إلى دليل. نقرأ فى الفقرة ٨٦٠:" *إذا وجدت - عند فحصك للمريض - انتفاخًا فى الجزء الأمامى لرقبته وتورمًا فى اللحم بينما تشعر بشىء رخو تحت يديك ويبدو المريض شاحبًا وضعيفًا، فاعلم أنها حالة ورم متقيح فى الأنسجة العضوية للجزء الأمامى من الرقبة.. حالة يمكن علاجها باستخدام المشرط مع مراعاة الأوردة*".

أما الفقرة ٨٦١ فتشير إلى "تورم صديدى فى حلق المريض".. إفرازات هذا التورم تشبه إفرازات سمكة نافقة.

أما الحالة (٤٦) من بردية "الجراح" سميث فهى جديرة بالاهتمام حيث تجعلنا نتفكرها مليًا، وذلك بسبب اختفاء الاحمرار فى الورم وحالة السيولة التى يستشعرها المعالج عند تشخيص حالة المريض: " *دلائل تشير إلى تورُّم Seher أو جرح Sar فى صدر المريض. إذا فحصت مريضًا يعانى من تورم Seher أو جرح Sar فى صدره ووجدت ورمًا كبيرًا فوق صدره وشيئًا رخوًا يشبه الماء تحت يديك، وقد نتج عن هذا التورم أو هذا الجرح إفرازات غامقة اللون ولا يوجد احمرار ..*".





إحدى فقرات العظام مصابة بمرض الدرن.

سوف نتناول الآن بالبحث بعض ما أسفرت عنه عمليات تشريح بعض الأعضاء. الاختبار الذى أُجرى على رئتَىْ بعض المومياوات (التى تم حفظها بطريقة طبيعية أو عن طريق عمليات التحنيط فى الأوانى الفَخَّارية)، لم يُظهر وجود جراثيم ولكن عُثر على حالة التهاب فى أغشية الرئة تعانى منها سيدة من النوبة تعود لعصر الدولة البيزنطية بجزيرة "هيا" Hesa مع احتمال الإصابة بدرن رئوى، أو بالأحرى جروح عامة فى بعض الحالات التى لاحظها "روفر". حالة واحدة فقط وصفها "لونى" Lony على أنها جروح من النوع الرخو فى رئتَىْ سيدة مُسنة تعود إلى عصر الأسرة الحادية والعشرين.

من العصر الحجرى، تم العثور على العديد من الأجزاء البشرية يمكن تشخيص حالتها على أنها إصابات بمرض سُل العظام، مع احتمالات مؤكدة للإصابة به تحديدًا فى فقرات العمود



الفقرى. أما انتشار البكتريا الحيوانية (التى تقتصر فقط على الحيوانات الأليفة أو بسبب الاستخدام المفرط للألبان) مع الانحناء العظمى الواضح، فهو ما يبرر وجود الجروح تحديدًا فى هذه المنطقة. وقد يُحتمل أن تكون بكتريا السُّل.

تم العثور على العديد من الأجزاء العظمية وخاصة ما يتعلق بفقرات العمود الفقرى.. الكثير منها عثر عليها "درى" Derry. وإليك عزيزى القارئ وصفًا لإحدى هذه البقايا العظمية قدمه لنا "سميث" و"درى": "انصهرت الفقرات الظهرية العاشرة والتاسعة والثامنة وتجمعت فى تجويف جرحى حاد. أما الفقرة الظهرية التاسعة فقد اختفت تمامًا، واتحدت الفقرة الظهرية الثامنة مع العاشرة وتسببتا فى اعوجاج جانبى". أما "مورس" Morse فقد قام بمراجعة هذا الموضوع، بدراسة ٣١ حالة من حالات درن العظام - بعضها كان محل اعتراض من قِبَل "ليكا" Leca (بعض الآثار الإنجليزية تم تدميرها كليةً من جرَّاء قذف جوى خلال الحرب العالمية): معظم هذه الحالات الـ٣١ ظهر بها آثار مرض درن العظام، أكثر اليقين أنه مرض پوت Pott (تحلُّل الفقرات وتسوُّس عظمى فى بعض الفقرات أسفر عن اعوجاج جانبى)، تعود الكثير من هذه الحالات إلى عصر ما قبل الأسرات وتم العثور عليها فى النوبة ونقادة.

إحدى الحالات توضح تحلُّلاً فى الأجزاء الأمامية D5-D4-D3(*) (ثلثا الأجزاء الأمامية اختفيا تمامًا). هناك مثل آخر على نفس القدر من الأهمية أشار إليه "وترمان"؛ حيث يتضح به

(*) بالفقرات الظهرية: الثالثة والرابعة والخامسة.

انحناء جانبى مزدوج مع تدمير تام للأجزاء L4, D6-D5-D4(*) وتحلل للأجزاء الخلفية (من D4 حتى D7 ومن L2 حتى L5)(**). أما حالة المومياء الخاصة بـ "نس - پا - ريهان" Nesparehan، وهو كاهن أمون فى عصر الأسرة الحادية والعشرين والتى وصفها كلٌّ من "سميث" و"روفر"، فيظهر بها تدمير بفقرات الظهر الأخيرة وأول فقرة قَطَنيَّة مع وجود جرح غائر فى تجويف عضلات الظهر. حالة أخرى وصفها لنا شتروهال Strouhal ، وهى تتعلق بالعمود الفقرى للموظف والكاهن Khuy ankh "خوى عنخ" بأبى صير.

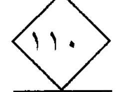
ثمة مرض آخر أشار إليه "سميث" و"داوسون" عند دراسة جثمان عُثر عليه بمقبرة بالقرب من الأهرام ويعود إلى الأسرة الخامسة، إنه مرض يُشتبه فيه يصيب المريض بآلام فى الفخذ .. حالة من حالات سُل المفاصل الذى يصيب مفصل العضد أشار إليها كلٌّ من ماك Macke وماك ريت Macke-Ribet ووصفاها بأنها جرح فى لقمة الوَرِك مع قَطْع فى مفصل الركبة.

باستخدام علم الأحياء الجُزيئى، اتضح وجود بكتريا الدرن أو البكتريا الأفريقية فى بعض مومياوات الدولة الوسطى وبعض مومياوات الحقبة اللاحقة.

يتعين علينا أيضًا إضافة بعض المعلومات التى حصلنا عليها من بعض الأعمال التى أفرزها الفن التشكيلى، مع كل التحفظ والحذر الواجب اتخاذه تجاه وجهة النظر التعبيرية أو عدم خبرة الفنان نفسه: وها هو أحد التماثيل الأكثر تعبيرًا، فهو تمثال

(*) الفقرات الظهرية من الرابعة حتى الخامسة والسادسة والقَطَنيَّة الرابعة.

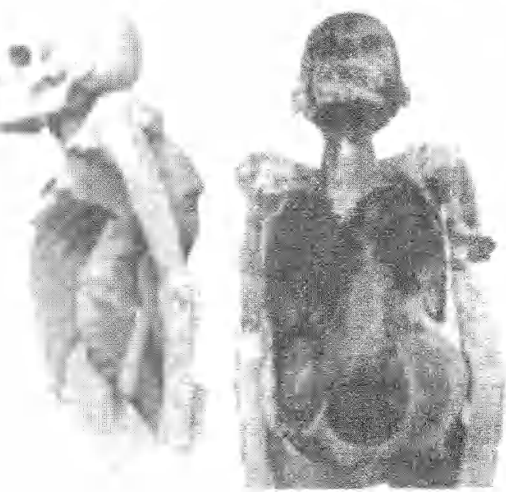
(**) من الفقرات الظهرية الرابعة حتى السابعة، ومن القَطَنية الثانية حتى الخامسة.




تمثال صغير من الخشب يعود لعصر ما قبل الأسرات يتضح به اعوجاج فى الفقرات ونتوء خارجى واضح (بروكسل ـ المتاحف الملكية للفن والتاريخ).

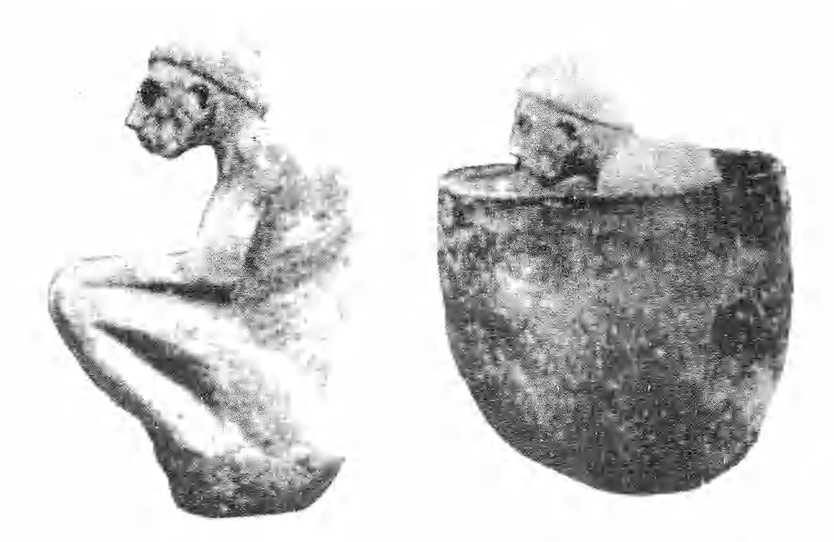
من الخشب ـ يعود إلى عصر ما قبل الأسرات، يوجد حاليًا بمتاحف الفن والتاريخ الملكية ببروكسل ـ يصور شخصًا ذا لحية كثيفة يعانى انحناء بالعمود الفقرى مع ظهور نتوء خارجى.

تمثال آخر به انحناء بالعمود الفقرى (رقم ٥٢٠٨١) يوجد بالمتحف المصرى بالقاهرة، عُثر عليه بمقبرة مِتر Mitri بسقارة يعود للأسرة الخامسة. كما عُثر على تمثال بأسوان مصنوع من الصَّلْصال الأحمر يمثل رجلاً مختبئًا (موضوعًا فى جَرَّة مملوءة بالرمال، إشارة إلى عملية الدفن فى عصر ما قبل الأسرات) يعانى اعوجاجًا جانبيًا بالظهر.

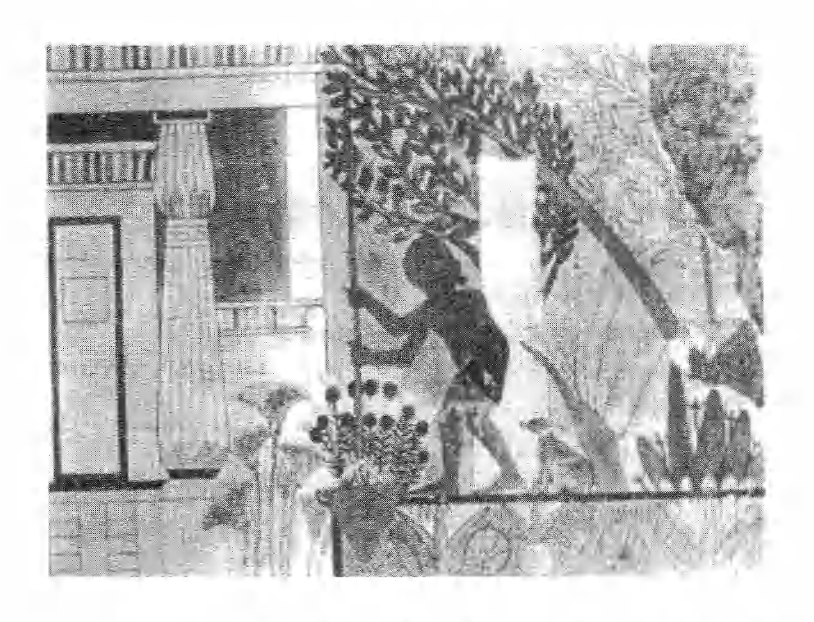


ولاستكمال الصورة نذكر فى هذا الصدد شرميف پيرون Schrumpf-Pierron، والذى بشىء من الجرأة استخدم علاجًا بدائيًا بأشعة الشمس لعلاج حالات درن (سُل) العظام.

مومياء كاهن أمون "نس بارهن" Nesparehan (الأسرة الحادية والعشرون)، مصابة بمرض سل العظام ومرض "پوت" Pott.



تمثال صغير من الصَلْصال الأحمر عُثِر عليه بأسوان، ويبدو به اعوجاج (انحناء) جانبي في الظهر.



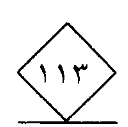
مُزارع أحدب يعمل بالشادوف- مقبرة "إيبوچى" رقم ٢١٧ بدير المدينة - الأسرة التاسعة عشرة.

هناك بعض النماذج الأخرى الأقل تعبيرًا والتى توضح بعض حالات تشوهات العظام، منها على سبيل المثال: تمثال صغير (رقم ١٠٦٣١) يعود إلى عصر الدولة القديمة ويوجد حاليًا بشيكاغو يمثل حدادًا ينفخ فى أنبوبة يعانى اعوجاجًا ناتجًا عن ممارسته لمهنة الحدادة .. كذلك البستانى الأحدب الذى يستخدم الشادوف والذى وجدت صورة له بمقبرة "إيبوچى" بدير المدينة (الأسرة التاسعة عشرة).. وها هو عازف القيثارة الأحدب صُور على شقافة عُثر عليها بالدير البحرى وتوجد حاليًا بمتحف المتروپوليتان للفن بنيويورك.. وكذلك النقوش البارزة لإحدى الخادمات بالمقبرة رقم (٤٥) الخاصة بـ"سشم نفر" Seshemnefer بالجيزة (الأسرة الرابعة).. وهناك أيضًا الانحناءات التى صورت على إحدى جبانات الأسرة الثانية عشرة بمقابر بنى حسن وكذلك التى توجد بتل العمارنة.. وها هو الأحدب الذى يعزف على الناى المزدوج على إحدى الشقافات التى تعود لعصر الدولة الحديثة، وتوجد حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.

أما صورة الكاهن عنخ يدچس Ankhudjes والتى توجد على أحد النقوش وتعود لعصر الأسرة الرابعة وتوجد حاليًا بكوبنهاجن، وكذلك صورة الخادم الذى يقود الكلاب فى مصطبة "تى" بسقارة (الأسرة الخامسة)، فيبدو أنهما نتاج تزاوج غير موفق بين اعتقاد راسخ وقدرة فنية معينة لمبدعهما.

الجُذام

كم هى قليلة جدًا المعلومات التى لدينا عن أحد أهم الأمراض التى تصيب الإنسان عن طريق الميكروبات.. ألا وهو



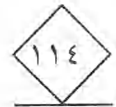
مرض الجُذام! فى واقع الأمر، لم يتم توثيق هذا المرض إلا فى العصور المتأخرة من التاريخ المصرى القديم (مصر القبطية). لدينا حالتان مؤكدتان: الحالة الأولى أشار إليها كلٌّ من "سميث"، و"درى"، وهى حالة بتر الأعضاء بإحدى المومياوات القبطية من بيجه Bigha el. أضاف إليها بعد ذلك "داوسون" حالة جمجمة لإحدى السيدات تعانى جروحًا بالوجه، تنتمى لنفس الحقبة وتعود لنفس المنشأ. ومؤخرًا أشار شتروهال Strouhal إلى أربع حالات مشكوك فيها عثر عليها بمقابر البطالمة بـ"بلاط" (بالواحات الداخلة).



مرض الجُذام مع بتر بعض الأعضاء فى مومياء قبطية.

أما "نون" فيرى أن عدم وجود جروح فى الأجساد التى تم فحصها حتى الآن وتعود إلى الحقبة الفرعونية، ربما يعود أيضًا إلى فكرة رفض تحنيط المصابين بالمرض نظرًا لتلوث الجثث بالميكروبات.

ولم تفرز الفنون التشكيلية بدورها شيئًا فى مثل هذه الظروف.. أما فيما يتعلق بالمصادر المكتوبة، فهناك فقرة واحدة

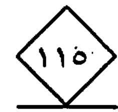


من بردية "إيبرس" (رقم ٨٧٧) والتي يمكن ـ وفقًا لرأى "أبل" ـ مطابقتها على حالة مرض جُذام: في الواقع أن هذا الباحث كان يصف بشيء من الخيال اقتران البثر بالبثور الملونة على الجلد، ولكن الترجمة الحرفية لا تؤكد هذا الأمر: "*إذا فحصت تورمًا (anut) بالجرح* (الترجمة الحرفية: مذبحة بشرية)، *في أي جزء من أجزاء جسم أحد الأشخاص، ووجدت أن رأسه* (أي الجزء المتورم) مدبب *وقاعدته مستوية(؟) وعينيه خضراء(؟) وبها التهاب وجلده محترق كنتيجة لما يعانيه، وإذا وجدت تحت إبطيه وعلى ذراعيه وعلى بطنه وعلى فخذيه صديد Pus(؟) لن تستطيع فعل شيء في هذه الحالة..*".

كما يرى "أبل" أيضًا أن بالفقرة (٨٧٤) من نفس البردية إشارة إلى جُذام درني يندرج تحت الاسم الشائع "أأت" "aat"، أي ورم. في هذه الحالة أيضًا لا يوجد علاج. على أية حال، فإن هذه المطابقات تبدو أنها تدعم هذا الغموض وهذا التأويل الصعب للنص؛ وبالتالي كل ما يمكن الزعم به.

هناك ثلاث عشرة بردية بالهيراطيقية ذات محتوى سحري توجد حاليًا بالمتحف البريطاني وقد نشرها من قبل "إدوارد"، تُظهر هذه البرديات كلمة Sebeh وهي كلمة ما زالت موجودة بالقبطية (قمنا بترجمتها على أنها العَمَى..). أما مطابقة كلمة "عَمَى ـ الجُذام" فسوف توقعنا في براثن الشك.

كذلك نجد في سفر اللاويين Levitico (الثالث عشر، ١٨ ـ ٢٣)، ذكر للمرض مع العديد من الوصفات، ولكننا هنا بصدد طبيعة مرضية متغيرة ولكن في بعض الحالات فقط يمكن اعتبارها



حقًا حالات جُذام: "*إذا وجدت على لحم وعلى جلد أحد الأشخاص قرحة تم الشفاء منها ومكان هذه القرحة ظهرت آثار بيضاء اللون أو ضاربة إلى الحُمرة يجب اصطحابه إلى الكاهن. إذا فحص الكاهن المنطقة المصابة بالجُذام ورأى أن الجلد قد تغير لونه ولم يعد أبيض اللون. عندئذ، يعلن إصابته بالعدوى لأن أعراض الإصابة بالجُذام ظهرت على هذه القرحة. ثم إذا احتفظ الجلد بعد ذلك بلونه الأصلى وتلونت آثار الندبة باللون الغامق ولم تعد مصابة مقارنة بباقى أجزاء الجسد يتم عزل المريض لمدة سبعة أيام، وإذا انتشرت الأعراض فى باقى الجسم فلا بد أنها تكون حالة إصابة بالجُذام، وإذا ظل حيث كانت آثار القرحة فإن هذا الشخص سوف يُقشر جلده.. أى سوف يُشفى*".

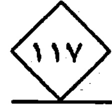
على أية حال، فقد ظهر مرض الجُذام فى منطقة ما بين النهرين (دجلة والفرات)، حيث وردت إلينا أخبار مهمة عن طريق كودير Kudurru (حجر عليه كتابات)، (القرن الخامس عشر - الثانى عشر قبل الميلاد)، حيث أُطلق على الشكل المَرَضىّ Sahashubbu أو جاربو Garabu: حيث كان المصاب يُضطر إلى أن يهيم على وجهه خارج أسوار المدينة كما لو كان حمارًا وحشيًا: "*إذا ظهر على جلد الشخص بقع بيضاء* (الجُذام ذو النمط اللطاخى)، *أو يغطى جلده ندبات* (الارتشاح الجُذامى)، *هذا الشخص يرفضه الإله وينبذه الناس*". فى واقع الأمر، فإن مرض الجُذام ينتمى إلى الشرق حيث تدل على ذلك الوثائق التى عُثر عليها بالصين والهند، وقد اختفى فيما بعد من منطقة الشرق الأوسط وأوروبا.

الطاعون

لا توجد أية إشارة واضحة فى البرديات الطبية إلى هذا المرض، حتى وإن كانت الفقرة رقم (٨٧٤) من بردية إيبرس بما تحتويه من غموض تشير إلى مرض الطاعون الدُمَّلى (وهو يصيب الغدد الليمفاوية). أشار "كورتو" Curto (١٩٧٠م) إلى مرض الطاعون الذى لم يوصف بدقة فى مختلف النصوص. كما رأينا من قبل، كانت "سخمت" إلهة الحرب وسيدة الأطباء تثير رياح الصحراء التى تحمل معها وباءً سنويًا ذا طبيعة لا يمكن تحديدها.

تحتوى قصة "سنوحى" الشهيرة على العديد من الإشارات ذات معانٍ عميقة تدل على وجود مرض الطاعون، ففى إحدى أغانى المديح للملك رمسيس الثانى، وكذلك فى أحد أبيات بردية إيبرس يُذكر أن هناك ريحًا عاتية تحمل معها المرض.. ثمانية من ترانيم السحر تقوم بمهمة الوقاية من الوباء السنوى: "*فقد تحمل الرياح المرض وقد تحمله أيضًا بعوضة*" (سميث ١٩، ١٤ ـ ١٨). ويتضح هنا أقدم إشارة فى التاريخ إلى الحشرات التى تحمل الأمراض.

كما وردت إلينا أيضًا أخبار مهمة من بعض الوثائق السامية من أرشيف تل العمارنة: بعضها أخبار بمختلف اللغات تحتويها لوحات مخروطية الشكل من الصلصال.. وبعضها خطابات للمراسلات الدبلوماسية بين أخناتون وملوك وأمراء البلاد الأخرى فى الشرق الأدنى. كما تم العثور على خطابات أخرى فى أرشيف الحيثيين خاصة بـ"بوغاز كوى"، كل هذه الوثائق ـ كما يشير كورتو. تخبرنا بوباء خطير اجتاح الشام لقرابة العشرين عامًا مُخلِّفًا وراءه الموت والدمار.



وبالتأكيد إن هذا المرض اجتاح مصر منذ اللحظة التى نسب فيها الحيثيون أصل هذا المرض إلى السجناء المصريين. كما يعتقد "كورتو"، أيضًا أن الموت المبكر لكل من "سمنخ ـ كا ـ رع" و"توت عنخ أمون" وهما من خلفا أخناتون ولم يمتد بهما العمر طويلاً، قد يعود للإصابة بمرض الطاعون. وما زال "كورتو" يُمدنا بكثير من المعلومات الشائقة التى حصل عليها من أحد خطابات ملك "ألسيا" Alsia (قبرص الآن) والذى أرسله إلى الفرعون: "كان الفرعون قد أرسل مبعوثًا إلى "ألسيا" ليُعرب عن أسفه الشديد بسبب ما أرسله من كميات قليلة من النحاس. مع نفس هذا المبعوث أعرب ملك "ألسيا" هو الآخر عن أسفه للفرعون، مؤكدًا له أنه لم يحصل سوى على القليل جدًا من النحاس الذى يكفى بالكاد المنطقة التى اجتاحها الوباء الشديد فى "ألسيا".. فلم يكن هناك من يستطيع أن يُقرض هذا النحاس سوى الفرعون. ظل المبعوث المصرى ثلاث سنوات فى "ألسيا" وكان على الملك أن يحتسبه مع الأموات (فقد تُوفِّى هو الآخر متأثرًا بهذا الوباء). لقد بسطت "نيرجل" Nergal (الإلهة المحلية) يدها على "ألسيا" وفقد الملك نفسه أحد أبناءه".

هناك أيضًا العديد من البرديات التى تنتمى للحقبة الرومانية (١٦٥-١٨٠م.) تحمل أخبارًا عن مرض الطاعون، تلك الأخبار تم توثيقها فيما بعد عن طريق المقابر الجماعية التى تحتوى على العديد من الأفراد تم وضعهم فى أكسيد الكالسيوم، على سبيل المثال المقبرة رقم (٥٣) فى الجبانات الرومانية بوادى الملكات. إنه حقًا لشىء يدعو إلى الأسى، فلم يتم العثور على أىٍّ من الوثائق التى تحمل وصفًا تفصيليًا لهذا المرض يساعدنا على التزود حتى ولو بالقليل من المعلومات بهذا الصدد.

فى عام ١٩٢١م وعند إجرائه فحصًا هستولوچيًا (فحص الأنسجة)، وجد "روفر" فى رئتى إحدى المومياوات من العصر البطلمى ندبات ملتهبة فى المنطقة العليا، كما عثر على آثار جروح فى المنطقة السفلى. كما لاحظ أيضًا - سواء فى الرئتين أو الكبد - وجود جرثومات عصوية الشكل تشبه إلى حد كبير الجرثومات المسببة لمرض الطاعون. ولكنه لم يجد على أية حال أورامًا فى الغدد الليمفاوية (ولكن ربما يتعلق الأمر بمرض طاعون الرئتين).

على الرغم من قلة المعلومات التى وردت إلينا عن هذا المرض، فإنه من المؤكد أن وباء الطاعون قد انتشر فى تاريخ مصر القديمة الذى يمتد لألفيات عديدة. لقد أكد "دولس" Dols أن وباء الطاعون وصل إلى مصر بعد الفتح العربى.

مرض الزُّهَرى

لم تتفق آراء الباحثين حول انتشار داء الزُّهرى، فالبعض مثل "سميث" و"داوسون" يتفق مع النظرية الأمريكية حول أصل هذا المرض والتى يؤيدها بقوة "پاتسينى" Pazzini، فهم يرون أن مرض الزهرى لم يكن معروفًا فى وادى النيل وأنه جُلب إليهم من القارة الأمريكية فى نهاية القرن الخامس عشر. أما "مارُّو" Marro الذى استطاع الحصول على معلومات كثيرة من معهد الأنثروبيولوچى بتورينو، فهو يرى أن بعض القِطَع الأثرية الموجودة بالمعهد بها جروح عظمية يُحتمل على سبيل الافتراض أنها تتعلق بمرض الزهرى (وهو افتراض لا يمكن قبوله)، شأنها فى ذلك شأن الجروح التى وُجِدت فى هيكل عظمى لسيدة تم العثور عليه فى جبانات

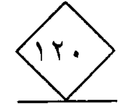


البطالمة بأسيوط، والتى سنتناولها فيما بعد بشىء من التفصيل. هذا على عكس بعض الكُتَّاب الآخرين الذين يميلون إلى فكرة وجود الزهرى فى مصر القديمة؛ فبالرجوع إلى جمجمة لسيدة شابة تنتمى إلى عصر ما بعد الأسرات عُثر عليها بالروضة، وجد أنها لرأس مستطيل الشكل به إصابات غير منتظمة بالخلايا والأنسجة الحية وخاصة فى جدار الرأس الخلفى من جهة اليسار، كما وجد تآكل فى عظام القفا وتحديدًا فى الجزء العلوى؛ وكذلك فى عظام الجبهة. يرى جيلمتِّى Gelmetti أنه من المحتمل أن تكون هذه السيدة مصابة بمرض الزهرى الخبيث.



جمجمة تم العثور عليها فى الروضة Roda بها جروح عظمية ناتجة عن بكتريا "داء المثقبيات" Treponematosica.

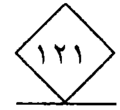
من الملائم أن نذكر هنا أن "جومنيا gomnea" (جرثومة الزهرى تصيب العظام بجميع أجزاء الجسم؛ وخاصة عظام الجمجمة (تحديدًا عظام الجبهة والجدار الخلفى للرأس). أما المنطقة المتعلقة بالخلايا والأنسجة الحية، فقد لُوحظ وجود تضخم فى المادة العظمية يعود إلى تغير شكل غشاء العظم. حالات أخرى من جروح العظام والتى حددها الكثير من الباحثين على أنها حالات زهرى، من المحتمل أنها وجدت على ساق سيدة تنتمى إلى سولير Solure؛



وكذلك على إحدى الجماجم التى تنتمى إلى عصر ما قبل الأسرات من "العمرة" el Amra.

كما انتشر مرض الزهرى المستوطن فى مصر الفرعونية وفى حقبة ما بعد الأسرات وهو أحد الأمراض المشتقة من الداء العليقى Yaws أو framboesia trapic الأمراض المعدية الاستوائية؛ وذلك بسبب تغير العوامل المسببة للمرض بتغير المناخ (الزهرى المستوطن يقتصر على المناطق الحارة والجافة). لذلك، كانت الأمراض المعدية الاستوائية نادرة بمصر ولكنها كانت تنتشر فى البلاد الاستوائية، ويسببها أحد أنواع البكتريا حلزونية الشكل والتى تتطابق مورفولوچيًا مع الميكروبات التى تسبب الزهرى - وهو ميكروب حلزونى الشكل - والتى ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالإصابة بهذا المرض.

مؤخرًا وبإجراء أبحاث على عشرين شخصًا فى إحدى جبانات الحقبة الرومانية بوادى الملكات (حوالى ١,٨% من مجموع الشعب)، تم التوصل إلى وجود جروح فى الجمجمة مع تآكل فى العظام الخارجية واكتمال العظام الداخلية. فى رأينا الشخصى أن الدراسة التحليلية تحت الميكروسكوب يمكن أن تُسفر عن الإصابة بالقرحة الزهرية. وعلى ذلك، يكون الافتراض بوجود ميكروب الزهرى مستوطنًا فى العصور القديمة بحوض البحر المتوسط، يعيد على الأقل ولو جزئيًا مناقشة البحث الأمريكى والذى يفيد بظهور الزهرى المستوطن فى أوروبا وفى البحر المتوسط؛ وذلك بسبب استيراد جذع شجرة يحتوى على الفيروس من أمريكا!

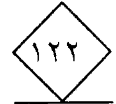


مرض السَّيَلان

فى حين أن المعلومات التى حصلنا عليها فيما يتعلق بمرض الزهرى لم تؤكد احتمال انتشار المرض فى مصر القديمة، إلا أنه من المؤكد أن مرض السيلان كان منتشرًا. هناك العديد من الدلائل على الإصابة بالمرض فى الأعضاء التناسلية للسيدات مثل إصابات المهبل (إيبرس ٨١٧)، أو الإفرازات البيضاء (إيبرس ٧٨٦ ـ ٧٨٧)؛ حيث يمكن الإصابة فى هذه الحالات بجرثومة السيلان.

وُجد فى أحد النصوص أعراض أخرى مصاحبة تصيب العين، مثل الصداع الناتج عن آلام حادة فى مؤخرة الرأس (القفا)، وإفرازات مهبلية: "*التعليمات التى يجب اتباعها، عندما تشعر السيدة بمرض يصيب عينيها لدرجة أنها لا تستطيع الرؤية بعد مع الشعور بآلام فى مؤخرة الرأس، عندئذ يتعين عليك أن تقول: توجد (إفرازات) الرحم فى عينيها. وعليك أن تتبع الآتى: عمل خليط من راتنج شجرة البطم مع الزيت الطازج وتبخر به مهبل السيدة المصابة. ثم تبخر أيضًا عينيها بمخلب طائر ريجوجول rigogolo، ثم جعلها بعد ذلك تتناول كبدًا نيئة لحمار*" (كاهون ١).

فيما يتعلق بهذه الحالة، اقترح دالفوس Dollfus تشخيص الحالة بأنها عدوى جرثومية: "تبدو فى هذه الحالة أعراض لالتهابات الملتحمة الجرثومية أو بالأحرى ـ وفقًا لرأيى الشخصى ـ أعراض إصابات جرثومية تجعل المريض يعانى بشدة مع آلام حادة فى مؤخرة الرأس (القفا)، واضطراب فى الرؤية. أما الكاتب القديم، فقد أضاف إلى هذه الأعراض أعراض الإصابة بمرض



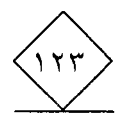
بالعين حتى وإن كان العلاج يبدو غريبًا، إلا أن إصراره على العلاج المتعلق بدراسة أسباب المرض يهدف إلى القضاء على هذه الإفرازات.

كما أن الوصفتين رقم ٦، ١٦ من نفس البردية تربطان بين الأعراض التى تصيب العين (الصداع)، والآلام المصاحبة لأمراض الرحم. أما "ليفيقر"، فقد سبق هذا الافتراض ولأول مرة بوصفه مرض الروماتيزم المتعلق بالسيلان مصحوبًا باضطرابات فى الرؤية (ولكن الروماتيزم السيلانى هو روماتيزم مفصلى يصيب مفصلاً واحدًا).

التراكوما

من المؤكد أن الأمراض المُعدية التى تصيب العيون انتشرت على طول وادى النيل.. كان يُطلق على مرض التراكوما أو "التهابات الملتحمة الحُبيبى". كما يطلق عليه اليوم أيضًا "مرض التهاب العيون المصرى"؛ حيث إنه يُعتبر أحد الأمراض الشائعة فى مصر. كما أن العديد من الأشخاص الأكَفْاء الذين تم تصويرهم على الأيقونات المصرية القديمة، ما هم إلا ضحايا لهذا المرض المُعدى الذى يؤدى كما هو شائع إلى حدوث عتمة على القَرَنيَّة.

"التراكوما" باللغة المصرية القديمة هى "nehat"، وهى تعنى "تكوين حبيبات". ومن بين الوصفات الطبية لعلاج هذا المرض نذكر ما جاء فى بردية إيبرس (٣٥٠، ٣٨٣، ٤٠٧): "*علاج آخر للقضاء على تكوين الحبيبات فى العين : صفراء كبد سلحفاة (١) + عبير (١) ويتم وضع الخليط فى العين*".





عازف قيثارة كفيف من مقبرة "نخت" (رقم ٥٢ بشيخ عبد القرنة) ـ الأسرة الثامنة عشرة.

وصفات أخرى (إيبرس ٤٢٤ ـ ٤٢٩)، تم تخصيصها لتداعيات مرض التراكوما، منها انحراف أهداب العين جهة الملتحمة والقرنية: علاج آخر للقضاء على برم أهداب العين: *بخور (١) + دماء أبو بريص (١) + دماء أحد الثدييات (١) ثم تفرد أهداب العين وتُدهن بهذا المرهم إلى أن يتم الشفاء"* (إيبرس ٤٢٤). هذا المرهم يتمتع بخاصية الحفاظ على الأهداب ممتدة وجافة وقوية. الفقرة التالية أيضًا أكثر جاذبية وتشويقًا تنصح باستئصال أهداب العين، وهو إجراء متبع حتى يومنا هذا: "علاج *آخر يَحُول دون بروز أهداب العين مرة أخرى ونموها داخل العين، فبعد انتزاعها يتم عمل هذا الخليط: راتنج البطم (١) + دماء ثور (١) + دماء حمار (١) + دماء خنزير (١) + دماء كلب (١) + دماء ماعز (١) + كبريتيد الرصاص (١) + سليكات النحاس (١)، ويُقطع هذا الخليط إلى قطع رفيعة جدًا ثم توضع مكان الأهداب بعد انتزاعها، ولن تنمو مرة أخرى"* (إيبرس ٤٢٥).

الملاريا

لم تخبرنا البرديات الطبية شيئًا عن مرض الملاريا. تم العثور فقط على خلايا من نوع البلازموديوم (طفيل وحيد الخلية يسبب مرض الملاريا)، على إحدى مومياوات العصر الحديث. مؤخرًا، تم اكتشاف أجسام مضادة لنوع من طفيل الملاريا يُسمى "البلازموديوم فالسيبارم" سواء فى مومياوات عصر ما بعد الأسرات والتى تم تجفيفها بطريقة طبيعية، أو فى المومياوات المُحنطة فى الدولة الحديثة والأسرة الخامسة والعشرين وكذلك عصر Ballana (بلاَّنة)، بالنوبة (٣٥٠ ـ ٥٥٠م.). من المحتمل أن يكون لمرض تضخم الطِّحال علاقة مباشرة بعدوى الملاريا، وهو ما أشار إليه "روفر" عام ١٩١٣م عند تفحُّصه مومياء قبطية.

مؤشر آخر على انتشار هذا المرض فى الماضى هو هذا الضغط الانتقائى الذى تمارسه الطفيليات فى مناطق كثيرة تنتشر فيها أمراض الدم التى تعود إلى عيوب خلقية، مثل أنيميا الدم الناتجة عن نقص الهيموجلوبين S أو الناتجة عن أنيميا البحر B (حيث تحتوى الخلايا المختلفة على فوائد عديدة للشخص السليم). يحدُث تفجير لكُرات الدم الحمراء وللهيموجلوبين S بعد دخول طفيل الملاريا "البلازموديوم" إلى جسم المصاب، وبانفجار خلايا الدم الحمراء يحديث تدمير أيضًا للطفيليات والعناصر الغريبة بالجسم، وهو ما يسبب ظهور الأعراض المميزة للملاريا.

على أساس هذه الظاهرة تُفترض آلية أخرى مشابهة فيما يتعلق بالخلايا المختلفة المصابة بأنيميا البحر. كذلك هناك مرض آخر خلقى ، ألا وهو نقص كرات الدم الحمراء glocuso 6- fosfato de idrogenasi (G6PDH) "جلوكوز ٦ ـ فوسفات دى



هيدروجيناز" والذى يؤدى على مستوى الخلايا المختلفة إلى مقاومة المرض: فى واقع الأمر، أن هذا الإنزيم لا يمكن الاستغناء عنه للبلازموديوم الذى يستطيع تكوينه ومن هنا تبدو الأهمية . يرى دى كارنير De Carneri "أن الضغط الانتقائى للطفيليات يتحكم فى التكوين الجينى للجنس البشرى". أما انتشار الأنيميا B وفقر الدم (G6PDH) فى إيطاليا، فيعود بكل تأكيد إلى أصول قديمة لانتشار مرض الملاريا نفسه. هناك اختلافات أخرى فى كرات الدم الحمراء وهى الهيموجلوبين C فى غانا، وأڤالويتوزى l'ovalocitosi الوراثية فى ماليزيا حيث من مميزاتها الحيلولة دون انتشار العدوى، كذلك أيضًا نقص مضادات الچينات antigeni فى المجموعة الدموية Duffy بأفريقيا الغربية فى مقابل "البلازموديوم ڤيڤاكس".

من وجهة النظر التاريخية لتطور ورُقى الإنسان، فإن العمل بالغابات الذى انتشر بأفريقيا الاستوائية مع بداية دخول الزراعة قد يكون أحد العوامل المسببة لانتشار مرض الملاريا وتحوله إلى مرض وبائى، كما ساعد على انتشاره أيضًا نوع آخر من البعوض الذى يستطيع التكيُّف على الحياة المعيشية بين الغابات الكثيفة.

تُعد بعض الجروح العظمية إحدى سمات الإصابة بمرض الملاريا وخاصة جروح الجمجمة فى الحالات الحادة، والتى توجد أيضًا فى حالات الأنيميا المزمنة التى تعود لأسباب متعددة، على سبيل المثال الاجتياح المُهلك للديدان المعوية أو نقص حمض الفوليك الناتج عن التغذية بألبان الماعز النكاف iperostosi Parotica ، ووجود ندبات ذات بثور فى الرأس (Cribra orpitalia) هذه النوعية من الجروح ظهرت بأعداد كبيرة فى مصر القديمة. أما فى منطقة البحر المتوسط، فإن "التوزيع الجغرافى لمرض



iperostosi Parotica هو نفسه التوزيع الجغرافى الخاص بمرض الملاريا".

فى عام ١٩٧٦م، توصل رابين ماسا Rabino Massa عن طريق التلوين الهستولوچى (تلوين الأنسجة) لمومياء من عصر الدولة الوسطى إلى كرات دم حمراء شبكية ipocromici مع anisopoichilocitosi وخلايا، وربما توصل أيضًا إلى بعض reticolocita(*). أما الشكوك حول أنيميا البحر B، فقد تأكدت باستخدام الطب الإشعاعى "راديولوچى".

ثمة محاولة لترجمة طرق الوقاية من مرض الملاريا قد بُذلت فى نقلٍ ما وجد مكتوبًا على المعبد الكبير بدندرة: "*لا تخرج من المنزل بعد غروب الشمس فى الأسابيع التى تعقب فيضان النيل*". كما يرى هيرودوت (المؤلف الثانى، صفحة ٩٥)، أنه فى العصور المتأخرة انتشر استخدام الناموسية: "للوقاية من البعوض والذى ينتشر بأعداد هائلة، كان يتم استخدام هذه الوسائل: من كان يسكن أعلى المستنقعات كان يحتمى بالأبراج التى يصعد لينام بها؛ حيث لم يستطع البعوض فى واقع الأمر الطيران إلى أعلى بسبب شدة الرياح. أما من كان يقطن فى المستنقعات، فقد فكر فى وسائل بديلة عن تلك الأبراج: كل واحد كان يملك شبكة يصطاد بها السمك فى النهار، أما فى الليل، فكان يستخدمها بهدف الوقاية من البعوض حيث يضع الشبكة حول السرير الذى يضطجع عليه وينام تحتها. إذا نام شخص وغطى نفسه بملاءة أو غطاء سرير، فإن البعوض يقوم أيضًا بلدغه حتى فى وجود هذه

(*) نوع من الخلايا فى الدم يزداد فى حالات معينة.

الأغطية، على عكس الشّباك التى لا يقدر البعوض حتى على الاقتراب والمحاولة".

الجُدَرِىَ

يبدو أن مرض الجدرى هو الجُرح السادس لمصر والذى أخبر عنه "موسى" الفرعون. يطابق "ليكا" Leca الجدرى مع مرض "شيهن" Shehin، وهى كلمة عبرية ورد ذكرها فى العهد القديم. نجد فى الجزء الأول من (أسفار موسى الخمسة) "Pentateuco" وكذلك فى سفر التثنية "Deuteronamio"، إشارات عدة لهذا المرض: "*يضربك الرب بقرحة مصر..*" (سفر التثنية - الإصحاح ٢٨، العدد ٢٧). "*يضربك الرب بقرح خبيث على الركبتين وعلى الساقين حتى لا تستطيع الشفاء من أسفل قدمك إلى قمة رأسك*" (سفر التثنية، الإصحاح ٢٨، العدد ٣٥).

كما أن هذه الفقرة من سفر الخروج فى غاية الأهمية: "*ثم قال الرب لموسى وهرون خذا ملء أيديكما من رماد الأتون وليذره موسى نحو السماء أمام عينَىْ فرعون ليصير غبارًا على كل أرض مصر. فيصير على الناس والبهائم دمامل طالعة ببثور فى كل أرض مصر*". (سفر الخروج، الإصحاح ٩، العدد ٨ - ٩).

يرى كلٌ من "أبل"، و"ليكا"، أن الأمر يتعلق بمرض الجدرى، وإحقاقًا للحق فإن هذا الرأى يثير الجدل لكون المرض يمتد ليصيب الحيوانات أيضًا، فقد ثبت علميًا أن ڤيروس الجدرى الذى يصيب الإنسان يختلف عن ڤيروس الجدرى الذى يصيب الأبقار والحيوانات الأخرى، فإن الڤيروس البشرى يصيب فقط الإنسان والقرود.

على أية حال، هناك نص لاحق للفيلسوف اليهودى "فيلون" Filone الذى عاش بالإسكندرية ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادى، ففى الفقرة التاريخية "حياة موسى"، يصف مرض الجدرى على النحو التالى: "لقد سقط التراب مباشرة على الناس وعلى الحيوانات وسبَّب لهم جروح الجدرى وآلامًا مُبرحة فى جميع أنحاء الجلد، وفى نفس الوقت الذى يحدث فيه فوران فى الجسد تحدث أيضًا تقيحات يُقال إنها نتجت عن نار غير مرئية. إنهم يعانون من شدة الألم إما بسبب هذه التقيحات أو الحرارة المُتَّقدة بأجسادهم.. إنهم يعانون نفسيًا أكثر مما يعانون جسديًا، حيث قد تظهر قرحة واحدة فقط سرعان ما تنتشر من أعلى الرأس حتى أسفل القدمين، وسرعان ما تنتشر البثور فى جميع أعضاء الجسد حتى تتجمع معًا وتكوِّن قرحة واحدة متجمعة".

أما الشواهد التحليلية لأسباب المرض وأعراضه، فهى قليلة جدًا ولكنها إلى حد ما قاطعة. على سبيل المثال: مومياء تعود للأسرة العشرين تم العثور عليها بالدير البحرى تبدو بها آثار قروح على الجلد، خصائص وشكل هذه الجروح تؤكد أنها قروح جدرى.. والاختبار الهستولوچى أثبت وجود حويصلات ذات سبعة أبعاد عمودية مميزة (مرجعها إلى انقسام الخلايا molpighiane



الفرعون رمسيس الخامس تبدو عليه التهابات جلدية تماثل التهابات مرض الجُدَرِىّ.

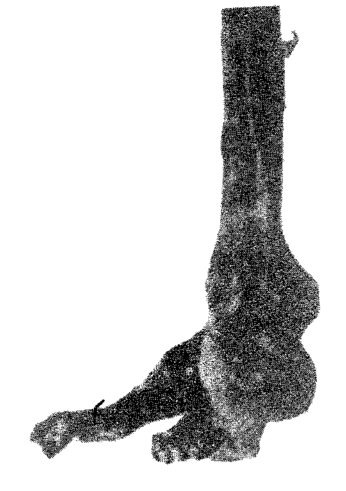


على شكل تجويف متعدد الألوان، كما يظهر على الجلد العديد من البكتريا "جرام" Gram الإيجابية). أما مومياء رمسيس الخامس (الأسرة العشرون)، فتبدو على الوجه ومنطقة الحوض آثار جروح تشبه إلى حد كبير جروح الجدرى (سميث ١٩١٢م).

شَلَل الأطفال

لاحظ "ميشيل" على إحدى المومياوات التى اكتشفها "پترى" بدهشور أن عظمة الفخذ اليسرى أقصر من الفخذ اليمنى (حوالى ٨ سم أقصر من الفخذ اليمنى)، وأكثر نحافة، فى حين أن العظام الأخرى طبيعية. أما الأنسجة العضلية فى عظمة الفخذ الأقصر، فقد كانت أكثر نموًا من الأخرى. وقد خلُص "ميشيل" إلى أن هذا الشخص قد لجأ إلى بعض العلاجات التعويضية كالجبيرة. كما أكد أن هذه الحالة تتعلق بشلل الأطفال (حتى وإن كانت عيوب نمو جزء من العظام قليلة فى هذا المرض).

تشخيص آخر لمرض شلل الأطفال تم إجراؤه على مومياء الفرعون "مرنبتاح سيبتاح" (الأسرة التاسعة عشرة)، فقد اتضح أن القدم اليسرى هى قدم خيلى وإن لم يتم الاتفاق على ذلك التشخيص. وكذلك الحال أيضًا بالنسبة لمومياء أخرى توجد فى متحف الآثار فى بنسلڤانيا.



قدم خيلى للفرعون مرنبتاح سيبتاح (الأسرة التاسعة عشرة).

ولكن الصورة الأكثر تعبيرًا عن الإصابة بهذا المرض تتضح فى اللوحة الموجودة حاليًا بكوبنهاجن لأحد وجهاء الأسرة الثامنة عشرة "رع مس" remo، فقد تم تصويره وهو يقيم احتفالاً على شرف الإلهة الشرقية "عشتار". يُلاحظ أن العضو الأيمن السفلى به ضمور واضح، كما أن القدم بها اعوجاج تشبه القدم الخيلى.



لوحة "ريمو" مع وجود مريض بمرض شلل الأطفال (الأسرة الثامنة عشرة - كوبنهاجن).

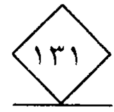
دَاءُ الكَلِب

تحتوى بردية "لندن" أو "ليدن" (١٩، ١ - ١٩، ٩)، على أحد طقوس السحر التى تعود إلى القرن الثالث الميلادى، فهى تعاويذ ضد عضة الكلب حيث تتحدث بطريقة مبهمة عن سُم مختلط بلعاب. فالأمر يتعلق إذًا بابتهالات للوقاية من عضة كلب ثائر (مسعور).

أمراض (عدوى) أخرى

(التهابات تحدث بسبب جراثيم غير مُسببة للأمراض)

هناك العديد من الأجسام البكتيرية (مثل المُكوِّر العقدى والبكتريا العنقودية والبكتريا المعوية .. إلخ)، سواء كانت حُموية أو وحيدة الخلية (يشير شتروهال Strouhal إلى وصف أكياس أميبية)، كانت شائعة فى تلك الأزمنة الغابرة. يمكن إجراء اختبار



على بعض من هذه الأشكال البكتيرية للوقوف على أسباب العدوى المرضية دون التمكن من التعرف على الأسباب الحقيقية المؤدية للمرض، وذلك لعدم معرفة أيُّها أقدر على إحداث الإصابة بالمرض، أو لعدم إمكانية تحديد الجهاز الذى سيُصاب بالمرض.
أما التقيحات، فقد كانت شائعة جدًا ومتنوعة أيضًا: نذكر على سبيل المثال هذه الحالة التى تدعو للفضول وهى لإحدى كاهنات أمون (الأسرة الحادية والعشرون)، والتى كانت تعانى من جرح حاد فى منطقة الحوض وفقدان شديد فى الوزن بسبب قرحة الفراش، وهو ما استطاع المحنطون إخفاءه باستخدام جلد الغزال (سميث وداوسون). وفى إحدى المومياوات لطفل من عصر الدولة الحديثة (تم العثور عليها بالمقبرة رقم ٨٤ بطيبة (.TT 84)، والخاصة بالمدعو "أمنهتيده" Iamunedjeh وباستخدام المسح الذَّرى، لُوحظ على عيِّنة من العظام المصابة بالمرض وجود القولونية الإشريكية Escherichia Coli قد تكون هى السبب فى الوفاة؛ وذلك لتلوث دم الطفل.

الإسكستوز أو البلهارسيا

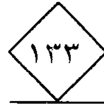
من المؤكد أن الديدان الطفيلية قد اجتاحت مصر فى الماضى، كما تجتاحها الآن أيضًا بنوعيها: ديدان تصيب المثانة وتُسمى البلهارسيا البولية، وديدان تصيب الكبد وتُسمى البلهارسيا الأمعائية. هذان النوعان من الديدان الطفيلية تنمو داخل الكبد ثم تضع البيض؛ مما يسبب فى بعض الحالات مشاكل فى المثانة (البول الدموى والسرطان) وفى الأعضاء التناسلية. وفى حالات أخرى، تحدث أمراض فى الأمعاء والكبد (مرض التليف الكبدى والسرطان).

استطاع العديد من المؤلفين، ومنهم على وجه الخصوص "يونكر"، أن يربط ما بين الإسكستوز المثانى أى البلهارسيا البولية ومرض "عا ع aaa" الذى ورد ذكره باستمرار فى مختلف الوصفات الطبية فى بردية "إيبرس" (٢٨)، وبردية برلين (١٢)، وبردية لندن(١) وبردية "هيرست" (٩). وإليك عزيزى القارئ بعض الأمثلة:

- "تجنَّب أن يصيب مرض "عا ع aaa" حوض رجل كان أم امرأة" (إيبرس ٩٩).
- "أبعد مرض "عا ع aaa" عن البطن وعن القلب" (إيبرس ٢٢١).
- "اقضِ على مرض "عا ع aaa" فى القلب، وأبعد تيه القلب، وضع حدًا لوخزة القلب" (إيبرس ٢٢٧).

لا يجب أن ندهش من التركيز على القلب حيث كان المصريون القدماء يربطون دائمًا بينه وبين المثانة. نلاحظ أنه فى هذه الوصفات لم يُشَر إلى أعراض مرض البول الدموى، وهى حالة مهمة جدًا فى مثل هذه الطفيليات ويُطلق عليها تحديدًا "البول الدموى المصرى" .. لقد أطلقت قوات نابليون على مصر أثناء حملتها الشهيرة على البلاد "أرض الرجال الذين يحيضون". ومع ذلك فإن هناك بعض الفقرات التى أشارت إلى مرض البول الدموى؛ ولكنها لم تُشر إلى مرض "عا ع aaa":

- "علاج آخر للقضاء على البول الذى يحتوى على دماء غزيرة" (إيبرس ٤٩).
- "علاج للمريض الذى يعانى من البول الدموى" (برلين ١٦٥).



- "علاجات يتم إعدادها للقضاء على الآلام وعلى البول الدموى" (برلين ١٨٧)..

لقد فكر "أبل" بادئ ذى بدء فى الربط بين مرض البول الدموى ومرض "عاع aaa"، كأساس لعلاج سحرى ورد ذكره فى بردية لندن (٣ - ٧، ١٣) تحت عنوان: "تركيبة للقضاء على الدماء". على أساس هذا الافتراض أوضح "أبل" كيف أن الكلمة فى البرديات اقترنت بعلامة تؤكد الخطأ الذى وقع فيه.

أحد أهم العلاجات التى استُخدمت للقضاء على هذا المرض (هيرست ٨٣)، كان على يد "كمال" وهو عبارة عن "سلفور الأنثيمون" الذى قد يحمل العديد من الفوائد؛ حيث إن مشتقات الأنثيمون كانت تُعد حتى فترة قريبة أحد أهم العناصر الأساسية فى علاجات مثل هذه الطفيليات. ولكن لسوء الحظ أن ترجمة هذا العقار "ميسديمت "mesdemet" لم تكن دقيقة على الإطلاق، فقد ظلت تُترجم لفترة طويلة على أنه "سلفور الأنثيمون"، أما الآن فيعرف "بسلفور الرصاص".



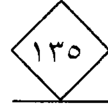
فتق سُرّى من مصطبة "محو" (الأسرة السادسة - سقارة).

تذكر بردية "إيبرس ٦٢" أن هناك علاقة بين الديدان ومرض "عاع aaa": "الأمر يتعلق بديدان غير محددة النوع "هررت أو هريرت hereret o"

"herrut: هناك علاج آخر مفيد يتم إعداده لعلاج البطن عبارة عن: قصب "آس" (١) + نبات عباد الشمس(١)، يُطحن الخليط جيدًا ويُطهى فى العسل ثم يتناوله المريض الذى يشكو من وجود ديدان هيررت hereret فى منطقة الحوض. إنه مرض "عاع aaa" الذى يسبب هذه الديدان، وهذا العلاج هو الوحيد القادر على القضاء عليها".

هل يمكن أن تكون هذه الديدان هى مرحلة متقدمة لكثير من الطفيليات؟ يبدو أنه من المحتمل - وإن كان احتمالاً ضعيفًا - أن قدماء المصريين استطاعوا اكتشاف طفيليات صغيرة ودقيقة جدًا يمكنها أن تتمحور هكذا فى ثوانٍ وفى الأنسجة حتى بعد موت المريض. ومن المؤكد أنهم استطاعوا رؤيتها بالعين المجردة عن طريق أفراد يعانون قِصَر النظر، وعلى ذلك لا يمكن استبعاد هذه الاحتمالية. ولكن كما رأينا سالفًا عند الحديث عن علوم دراسة أسباب الأمراض وأعراضها عند قدماء المصريين، فإنه من المحتمل أيضًا أن يكون مصطلح "عاع aaa" تم التعبير عنه بمعنى "سائل سُمِّىّ". وعلى العكس، فإن الاجتياح المُهْلِك لبيض البلهارسيا الأمعائية داخل أمعاء المريض، يمكن أن يبرر وجود العديد من الوصفات الطبية الخاصة بعلاج فتحة الشرج عن طريق الترطيب.

لوضع تقييم موضوعى للأخبار المبهمة التى وصلت إلينا عن الفراعنة يجب ألا يجمح بنا الخيال بعيدًا عن أرض الواقع .. فعلى سبيل المثال يرى "ألن" Allen أن قدماء المصريين كانوا يلجؤون إلى الختان لتجنُّب بقاء واستكانة اليرقات (وهى مرحلة وهن للإسكستوز تهلك الإنسان) فى العضو الذَّكَرى، ومن ثَمَّ سهولة توغلها فى باقى الجسد (كما أن غشاء العضو الذكرى قد



يقوم بنفس المهمة): وهذا أمر يتنافى مع العقل والمنطق؛ حيث إنهم بالإضافة لعدم معرفتهم الكافية بطبيعة طفيليات المرض، وبالأحرى بوجود البرقات نفسها (التى يمكن رؤيتها فقط تحت الميكروسكوب)، لم يكن لهم أن يفعلوا شيئًا لا تكون له نتائج إيجابية (فى الواقع أن البرقات تتغلغل أيضًا من خلال الأغشية)، حيث قادتهم الخبرة لاستيعاب عدم جدوى هذه الافتراضية لتحقيق الهدف.



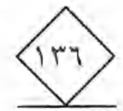


انتفاخ فى الكيس الصَّفنى من مصطبة "عنخ مع حور" ومصطبة "محو" (الأسرة السادسة – سقارة).



ثدى ذَكَرىّ كبير الحجم بشكل غير طبيعى من مصطبة "محو".

لجأ بعض الدارسين مثل "كمال" إلى الفصل الشهير رقم ١٢٥ من "كتاب الموتى" والذى يحتوى على "اعتراف سلبى"، أى إعلان براءة المُتوفَّى فيما يتعلق بإجراءات الوقاية من المرض، بتعبير *"لم أمشِ فى المياه"*، والترجمة الحرفية "لم أستند على المياه" وهو ما يعكس الإجراء الوقائى المتبع ضد هذا المرض.



إذا كانت المعلومات التى وصلت إلينا من البرديات عن الإسكستوز لا تَرْقَى إلى المستوى المطلوب؛ إلا أن شعاع أمل أطل علينا من الآثار ومن مختلف الأيقونات التى تم العثور عليها:

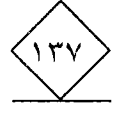
فى عام ١٩١٠م، اكتشف "روفر" فى المسالك البولية لاثنين من مومياوات الأسرة العشرين بيضًا متكلسًا للبلهارسيا البولية.

كما تم العثور أيضًا على بيض إسكستوز فى إحدى المومياوات المجففة طبيعيًا فى Nakht "نخت" (N.R.) مع وجود آثار لتليُّف كبدى. حالات كثيرة أخرى لهذا الاجتياح المهلك للديدان ظهرت فى مومياوات مقابر "دوش" Dush بالواحات الخارجة.

فى عام ١٩٩٣/١٩٩٢، عثر "موللر" على أجسام مضادة للطفيل فى مومياء لفتًى من عصر ما قبل الأسرات، وعلى بعض المتعلقات النوبية من العصر المسيحى (١٥ حالة إيجابية من بين ٢٣ تم اختبارها). كما عثر "ديلدر" Deelder على بعض الأجسام المضادة على أجزاء من (جلد ومخ) لأجساد تم تجفيفها طبيعيًا تعود لعصر ما قبل الأسرات وعصر الدولة الحديثة، كما أن إعادة صياغة لعلم دراسة الأوبئة القديمة قام بها مؤخرًا كلٌّ من داڤيد وكلوس Kloos و David عام ٢٠٠٢م.



عضو تناسلى مصاب بفرط التضخم من مصطبة "محو".



ربط كل من "غليونجى" و"ليكا" بين كثير من الصور على النقوش البارزة وعلى اللوحات وبين الإسكستوز المعوى أو الكبدى. فى عام ١٩٦٢م، لاحظ "پول غليونجى" - والذى شغل منصب أستاذ بكلية الطب بجامعة عين شمس بالقاهرة - كيف أن ثلاث مصاطب بسقارة تعود إلى الأسرة السادسة وأصحابها هم ("محو"، و"پتاح حتب"، و"عنخ مع حور")، تحتوى على صور لأشخاص مصابين بفتق سُرِّى أو تضخم فى الحوض. على سبيل المثال، فى مصطبة "عنخ مع حور" يُلاحظ وجود شخصين: الأول مصاب بفتق سُرى، والثانى مصاب بانتفاخ فى الكيس المنوى (ربما يكون استسقاء أيضًا). كما أظهرت مومياء رمسيس الخامس انتفاخًا فى الكيس المنوى (سميث ١٩١٢م).


فتق سُرى من مصطبة "سخم عنخ بتاح" بالجيزة (الأسرة الخامسة - متحف الفنون الرفيعة - بوسطن).

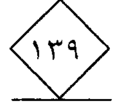
على هذا، يمكن استبعاد احتمال إصابة كيسَى الخصيتين بدودة الفلاريا (حيث تفتقر جميع الصور لوجود داء الفيل فى السيقان)، مع العلم بأن البلهارسيا (وهى نوع من الإسكستوز المعوى)، تسبب أمراض التليف الكبدى مع تضخم الطحال (تضخم الطحال المصرى)، والاستسقاء والفتق السُّرِّى ومرض ارتفاع الضغط داخل منطقة الحوض. فقد ربط "پول غليونجى" بين هذه الصور وهذا المرض الأخير. كما أن أحد الأشخاص بدت عليه أعراض تضخم فى ثدييه بطريقة غير طبيعية، فقد



يكون بسبب حالة متأخرة من التليف. يجب أيضًا توضيح أن تضخم الأعضاء التناسلية لأحد هؤلاء الأشخاص (مصطبة محو) يساعدنا على استبعاد إصابته بالدوالى (إذًا الإصابة بداء الفيل الزائف الناتج عن الإصابة بالبلهارسيا فى الحوض التى تظهر أيضًا فى الأوعية الليمفاوية).

كما أوضحت أيضًا بردية "إيبرس ٨٦٤" وصفًا لحالة فتق سُرى تفاقمت حدتها بسبب شدة السُّعال: "*إذا تفحصت تورمًا فى جدار البطن العلوى فوق السُّرَّة مباشرة، يجب أن تضع يدك وتتفحص بطن المريض وتقرع عليها بأصابعك. إذا تفحصت هذا الفتق الذى يظهر ويبرز بمجرد أن يكح المريض، عندئذ يجب أن تقول الآتى: إنها حالة تورم فى جدار البطن .. إنه مرض يمكن علاجه*". تشخيص دقيق ولكن من الصعب استعراض طريقة علاج هذا الفتق عن طريق الحرارة أو باستخدام المشرط "همم" hemem.

هناك صور أخرى مشابهة (وإن كانت ليست على نفس القدر من الوضوح وعلى ذلك يمكن أن تكون موضوعًا للنقاش) .. هذه الصور يمكن رؤيتها فى مصاطب "سخم عنخ پتاح" و"كا إم نفرت" بالجيزة (الأسرة الخامسة؛ ولكن النقوش البارزة توجد حاليًا فى بوسطن لدى متحف الفنون الرفيعة) .. كذلك مقبرة "تى" Ti بسقارة (الأسرة الخامسة)، ومقبرة "عنخ تيفى" فى "المُعلاَّ" Mo'alla (عصر الانتقال الأول)، وعلى لوحة قدس الأقداس لـ"سنوسرت" وهى موجودة حاليًا بمتحف اللوفر وتعود للأسرة الثانية عشرة .. وفى مصطبة إنسين فروشتى Insene - fruishte بدهشور (A.R) .. ومقبرة "واخ - حتب" فى "مير" (Meir) تعود للأسرة الثانية عشرة والتى نقلها بإتقان ويلدونج Wildung عام ١٩٨٤م.. و"پوى إم رع"



بطيبة (N.R.).. و"نفرحتب" (N.R.) بطيبة .. كما يوجد تصوير لحالة فتق مَنَوىّ فى إحدى المقابر التى تعود إلى عصر الدولة القديمة وقد نقلها ڤاندير "Vandier".

بالإضافة إلى كل ما سبق، يجب أن نذكر أيضًا أحد النقوش الخشبية غير الموثقة تاريخيًا وهى لأحد كبار الموظفين، وتبدو عليه السِّمْنة المفرطة ويعانى من تضخم كبير فى حجم الثدى. وكذلك صورة الإله "حابى" إله النيل وهو يعانى من بروز فى البطن وثديين مترهلين، ويرتدى زيًا مثل زى الصيادين فى المستنقعات.



لوحة "باك" Bak مع زوجته، اللوحة من الكوارتز وتعود إلى الأسرة الثامنة عشرة - توجد حاليًا بمتاحف برلين.

يُلاحظ أن المكان الذى عُثر فيه على الجزء الأعظم من هذه الآثار ما زال حتى يومنا يُعد من المناطق المليئة بالأوبئة المسببة لهذا المرض؛ هذا بالإضافة إلى أن الأشخاص الذين تم تصويرهم كان عملهم اليومى قائمًا بشكل أساسى على الماء وهو أحد العناصر الأساسية لنقل الطفيليات: إنه أحد المعطيات الحاسمة التى ترجح الافتراضية التشخيصية للبلهارسيا.

كما أنه فى لوحة قدس الأقداس من الكوارتز الخاصة بـ"باك" Bak وهو رئيس النحاتين

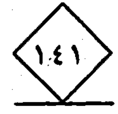
فـى عـصر الملـك أخنـاتون (الأسـرة الثامنـة عـشرة)، والـذى تـم تصويره مع زوجته، ظهر "باك" ببطن منتفخ وبارز مع اختفاء الفتق السُرى (كما لا يتضح أيضًا فتق سُرى لدى الزوجة ولكنه اختفى تحت الرداء) وتضخم فى حجم الثديين. الأمر يتعلق كما تأكد لنا مؤخرًا (عام ١٩٨١م) باحتمال الإصابة بالإسكستوز المزمن. أما الشكوك التى تحوم حول هذه الصورة التى قد تكون تم تشويهها فى عصر العمارنة التى تأثرت بأخناتون فتبدو أنها شكوك فى غير محلها، حيث إنه تم تصوير الزوجة طبقًا للقواعد المتبعة آنذاك.

أما فيما يتعلق بأخناتون، فيرى "پول غليونجى" أنه أُصيب بالإسكستوز الكبدى. وهو ما اتضح من الصور الخاصة به؛ حيث يبدو ببطن بارز، وفتق فَرْجَوىّ habitus (تحت أعضائه التناسلية) ووجه شاحب وصدر نحيف مع تضخم غير طبيعى فى حجم الثدى. وسوف نؤجل مناقشة هذه الحالة الطبية الفريدة فيما بعد.

الإصابة بأنواع أخرى من ديدان الأمعاء

لم تستطع البرديات أن توضح لنا على الإطلاق ما إذا كان هناك أيضًا إصابات أخرى ببعض أنواع الديدان، ولكننا عثرنا على مصطلحات مختلفة تحمل معنى دودة أو ثعبان دون أى وصف مورفولوچى للطفيل نفسه .. ذكرت بردية إيبرس ٦٢ أن مصطلح "هررت" hereret ربما يشير إلى الديدان المعوية بصفة عامة.

سوف نذكر هنا على سبيل المثال بعضًا من الفقرات التى تشير إلى إمكانية وجود ديدان تسبب إصابة الإنسان: الفقرة رقم



٢٠٥ من بردية إيبرس تتحدث عن دودة "بتچو" betju: "*إذا فحصت مريضًا يعانى من آلام فى معدته، وإذا وجدت أن المتاعب تعدت القناة الهضمية وبدأ المريض يعانى من آلام فى منطقة الضلوع وأغلقت بطنه أمام تلقى الطعام، وأصيب قلبه بالتعب والإجهاد، فعلاجك له فى هذه الحالة غير مُجدٍ.. إنها دودة betju. يمكنك أن تجرب معه العلاج الحيوى.. فقط وبعد أن يُغطى جسده كله بماء الشعير إذا تحركت المعدة تحت أصابعك (أى بعد أن تفحصه جيدًا)، فلتُعد له هذا الخليط يتناوله صباحًا لمدة أربعة أيام كعلاج "ديزفو" djesefu يتغلغل داخله ليعيد الحياة لروحه: خروب (١/٢)+ قبضة من لحاء الشجر "الصمغ" (١/٨) + أكسيد الحديديك المائى (١/١٦)، ويتم طهى الخليط فى زيت وعسل، ثم يتناوله المريض لمدة أربعة أيام. وعندما تشعر بوجود ما يشبه حبيبات الرمال تحت أصابعك، وتكون جميع أعضاء المريض ملتهبة بسبب إصابته بالمرض فلتعطه: خبز متعفن وبعض القاذورات وخبز الدواجن، وعليك أنت تعتنى به ولا تتركه!*".

رأى بعض العلماء أنه يمكن مطابقة دودة betju على مرض "إنكلستوما الاثنى عشر" والذى ما زال منتشرًا فى مصر (كان يُطلق على الإنكلستوما، الخلوروز المصرى). فى واقع الأمر أن النص السابق يتحدث عن آلام فى منطقة الضلوع (وليس الاثنى عشر؟). كما يتحدث عن فقدان شهية وضعف شديد يصيب المريض، ولم يتحدث مثلاً عن حالة إصابة بإسهال (ولكن هذا الطفيل يسبب إسهالاً يتحول إلى جفاف stipsi).

يرى "ليكا" أن هذا التطابق وإن كان بعيدًا عن الواقع المؤكد؛ إلا أنه يظل هو الأكثر احتمالاً نظرًا لخطورة الأعراض التى ذكرناها سابقًا.

احتوت بردية إيبرس (٥٠ ـ ٦١، ٦٤ ـ ٦٦، ٦٨) على مختلف الوصفات الطبية التى تشير إلى دودة "هيفات" hefat والتى اقترح "أبل" بتسميتها دودة الإسكارس lumbricoides: "*للقضاء على دودة hefat: جذع (أو لحاء؟)، شجرة الرمان ١/٦٤ + ماء ١/٣٢، يُترك الخليط طوال الليل معرضًا للندى، ثم يُصفى ويتناوله المريض لمدة يوم واحد*" (إيبرس ٥٠). من بين العلاجات المستخدمة نجد مثلاً شجرة الزمان التى تحتوى البنسلين Pelletcerina الذى يُستخدم فى وقتنا المعاصر كعلاج ضد الديدان، سواء كانت ديدانًا شريطية، أو ديدان الإسكارس (إسكارس لمبركودس).

هناك أيضًا وصفة طبية على قدر كبير من الأهمية استخدمت نبات الأفسنتين الذى يتمتع بخاصية القضاء على الديدان: "*علاج آخر لطرد دودة hefat التى أصابت بطن المريض: قرع العسل (١) + نبات الأفسنتين (١) + نخاع النبات (١)، يتم خلطها جيدًا وتناوله، وسوف يطرد جميع الديدان الموجودة فى بطن المريض*" (إيبرس ٦٤). إن تعبير "جميع الديدان" يجعلنا نفكر أن الأمر يتعلق بالديدان على وجه العموم وليس نوعًا معينًا منها، وهو الديدان المستديرة (الإسكارس) round worm Ascaris.

نوع آخر من الديدان ورد ذكره فى البرديات ويُطلق عليه پند pened (إيبرس ٦٧، ٦٩، ٧٢ـ٨٥) على سبيل المثال: "علاج



آخر يتكون من نبات قرعى ٨/١ + أكسيد الحديديك الأحمر ٦٤/١ + نخاع النبات متخمر ٢,٥ رو ٢٥ + زيت أبيض ٨/١ + بيرة عذبة ٢٥ رو، يتم طهى الخليط ثم يتناوله المريض، جرعة من هذا الدواء تقضى نهائيًا على الدودة" (إيبرس ٨٤). قام "أبل" بمطابقة هذه الدودة بالدودة الشريطية tape worm، ولكن فى هذه الحالة أيضًا دون أية دلالة مؤكدة.

والآن نلقى نظرة سريعة على وصفة طبية أخرى (برلين ٢٠): *"علاج آخر لطرد دودة "فنتى" fenetj يتكون من راتنج شجرة البطم الطازج + زيت المورنجا + زيت sefetj + راتنج saur + معدن Tjeru + دهن ثور + شمع، تُصنع عجينة من هذا الخليط وتُستخدم كبلسم"*. إن الإشارة إلى علاج محلى إلى حد كبير، أى مستخلص من البيئة المحلية،، قد يقودنا إلى التفكير فى الإصابة بديدان زورى ossiuri (الأقصورة الدويدية).

هناك وصفات أخرى (برلين ١٩، لندن ٢ ـ٣، ١١، ٣٠، الرمسيوم B3) كبديل للتشخيص السابق ربط "كمال" بينها وبين مرض التينية المدينية Dracuncolosi الذى تسببه دودة "دراكوكلوز ميدنسيس" أو دودة "جونيا" Guinea أو الدودة الطفيلية ميدنيا Medina.

وصفة طبية أخرى (إيبرس ٨٧٥)، تشير إلى تورم AAT فى جسد أحد المرضى: يرى "موللر" (فى عام ١٩٨٩م)، أن التأويل يتركز كلية على كلمة deger والتى تعنى الفعل "يغزل الصوف أو الحرير"، وهكذا فهو يشير إلى تدوير الدودة (إعطاء الدودة الشكل الدائرى)، فوق عصًا صغيرة من الخشب والذى ما زال يُستخدم حتى يومنا هذا.

فيما يتعلق بتمثال الملك "منتوحتب ـ نب حبت رع" (الأسرة الحادية عشرة، ويوجد حاليًا فى المتحف المصرى بالقاهرة)، يؤكد "كمال" أن الإصابة بداء الفيل الواضح فى الأطراف السفلية يرجع إلى الإصابة بالدودة الطفيلية (الفخرية البنكرفتية Wuchereria bancrofti) اتساقًا مع هذا البحث، فإنه يُحتمل وجود تمثال آخر لنفس الملك يحمل نفس السمات المورفولوچية (يوجد لدى متحف المتروپوليتان بنيويورك)(*).

ونحن نرى على العكس من ذلك، أن وجود تمثال واقف للملك "سنوسرت الثالث" (الأسرة الثانية عشرة)، بالقاهرة حيث يبدو عليه الإصابة بداء الفيل فى الأطراف السفلية ـ يتنافى مع هذا الافتراض.

مما سبق، يتضح أنه من الصعب إجراء تقييم لطبيعة هذه الديدان بالاعتماد فقط على الأيقونات التى تقوم سواء على قوانين دراسية جامدة، أو على نظرة ذاتية أو على إمكانات الفنان ذاته.

فيما يتعلق ببعض التشخيصات الأخرى التى تم التوصل إليها من المومياوات، يجب أن نوضح أن "رولنج" Rowling اكتشف تكوينات تشبه إلى حد كبير بيض الديدان (ولكنها غير محددة)، على أجزاء من أمعاء بعض المومياوات. كما عثر كلٌّ من Rabino masse و Chiarelli بجلد أقدام المومياوات الموجودة فى تورينو على تكوينات تشبه الديدان الطفيلية ربما تكون ـ وفقًا لبعض الكُتَّاب ـ الإنكلستوما والبلهارسيا. فى أمعاء إحدى

(*) هذه تماثيل نُحتت من بعد عصر الاضطراب الأول ومع بداية الأسرة الحادية عشرة، حيث كان الفن والفنان على المستوى المتدنى الذى لا يجيد فيه دقة النسب. وهى بذلك لا تشير إلى حالة مرضية على الإطلاق.

المومياوات فى فيلادلفيا، تم العثور على بيض الإسكارس، بينما عُثر فى مومياء لفتاة ذات قدم مبتورة (توجد فى "مانشستر" منذ ما يقرب من ١٣ عامًا وتعود إلى حوالى عام ١٠٠٠ ق.م.)، على دودة متكلسة فى منطقة الحوض، ربما تكون دودة " دراكوكلوز ميدنسيس".

ما زلنا فى مانشستر حيث وُجد أن المومياء الخاصة بشادية "أمون" بآشور مصابة فى المعدة والأمعاء بالديدان الأسطوانية الليطوانية Strongyloides Stercoralis. أما جسد عامل النسيج الشاب "نخت" بتورينو، فأفصح عن وجود (بالإضافة إلى بيض البلهارسيا الذى أشرنا إليه سالفًا)، بيض دودة شريطية وعلى وجود أكياس الشعرينات Trichinella Spirolis فى أنسجة العضلات. أما Dunand و Lichtenberg، فقد أشارا إلى ديدان "دراكوكلوز" فى جبانات "دوش". كما عُثر فى "مانشستر" أيضًا ـ بواسطة الميكروسكوب الإلكترونى ـ على مجموعة من الخلايا فى كبد مومياء تم تشخيصها على أنها قد تكون بقايا فاشيولا hepatica (المتورقة الكبدية).

فى عام ١٩٧٠م، أكد "ويكس" Weeks أن هناك أعضاء تناسلية ذكرية مصابة بفرط التضخم تم بترها بسبب الإصابة بديدان Wuchereria bancrofti ، بينما جلد الكيس المنوى Natsefamq يؤكد الإصابة بديدان طفيلية.

مؤخرًا، تم العثور فى بعض الجرار التى تعود إلى الأسرة الخامسة والعشرين وكانت تحتوى على بقايا عملية التحنيط ، عُثر على بيض لديدان شريطية والإسكارس لمبركودس lumbricoides (الصفر الخراطينى).



أما فيما يتعلق بوجود ديدان خارجية، فقد أشار "روفر" فى عام ١٩١٤م، إلى الإصابة الطفيلية الجلدية، ومن جانبه أشار "كمال"، إلى وجود بيض القُمَّل ملتصقًا بشعر إحدى المومياوات، كما أشار إلى تمثال آخر صغير يوجد بالقاهرة ويمثل امرأة تبحث عن القمل فى رأس طفل. كما تحتوى بردية "إيبرس" أيضًا على علاجات فعالة للقضاء على البراغيث.

الجهاز الدورى

استخدمت النصوص الطبية المصرية القديمة كلمتين للإشارة إلى القلب يمكن أن تحل أية كلمة منهما محل الأخرى، وهما: حاتى haty واب ib. كلمة ib (والتى قد تعنى أيضًا الحجاب الحاجز)، تشير إلى العضو الذى يُعد مركزًا للإحساس والمشاعر فى الجسد، أى الذى يختص بالجانب الروحى (Chirico, 1994). أما كلمة haty، فهى تحمل المعنى بشكل واضح (بينكوف Piankoff, 1930) الكلمتان ib و haty بالهيروغليفية تشيران إلى معنى محدد وتمثلان قلب بقرة على شكل مثلث صغير قمته من أسفل (Dolzani, 1994). كما نلاحظ أيضًا أن كلمة نفر nefer بالهيروغليفية قد تعنى (وفقًا لـ"بترى"، ١٨٩٢)، القلب والترقوة (Permnde 1994, و Dolzani).

من المؤكد أن المصريين القدماء قد اهتموا بنبضات القلب التى يرجع إليهم الفضل فى اكتشافها. فنقرأ فى بردية إيبرس (٨٥٤ أ)، ما يلى: "*يحتوى جسم الإنسان على العديد من الأوعية التى توجد فى جميع أجزائه* ..".



على الجانب الآخر، فإن "إيروفيلو" السكندرى (القرن الثالث قبل الميلاد)، يُعد أول من قام بقياس النبض بدقة باستخدام الساعة المائية (والتى يوجد منها نماذج عديدة وقديمة جدًا تعود لعصر الملك تحتمس الثالث). ما زلنا مع بردية إيبرس (٢٢٧)، والتى تشير إلى ظاهرة ربما ترتبط بعَرَض مَرَضىّ فى القلب: *"علاج آخر للقضاء على مرض عاع "aaa" بالقلب، للقضاء على غفلة القلب، للقضاء على توهان القلب ووخزته وهو عبارة عن نبات inset ١/٨ + تين ١/٨ + كرفس ١/١٦ + أكسيد الحديديك المائى ١/٣٢ + شاشا "الناردين" ١/٨ + عسل ١/٣٢ + مياه ١٠ رو، يُخلط جيدًا ويتم تصفيته ويتناوله المريض قبل النوم".*

ولكن، ماذا تعنى تلك الأمراض التى تمت الإشارة إليها فى بردية إيبرس؟

- "غفلة القلب"، قد تعنى: سرعة انقباض القلب.
- "توهان القلب"، قد تعنى: خفقان القلب.
- "وخزة القلب"، قد تعنى: آلام بالقلب (أو آلام فى ضلوع القلب؟).

فى موضع آخر من بردية إيبرس (٨٥٥ n) توجد إشارة أيضًا إلى "رقصة القلب" (خفقة القلب؟).

تحتوى الفقرة رقم ١٩١ من بردية إيبرس (حتى فى مجموعة العلاجات الخاصة بالمعدة r-ib) على ما يلى: *"إذا فحصت مريضًا يعانى آلامًا بالمعدة بينما يعانى على الجانب الآخر من آلام فى ذراعه وصدره، أخبره بأنه يعانى من مرض uadj. يجب أن تحذره من أى شىء يدخل فى فمه قد يتهدده الموت. أعد له دواءً جيدًا يدخل فى مكوناته الأساسية النباتات: بذور بسلّة (١) +*

خشخاش (١) + نعناع فلفلى (١) + خانق الذئب (١) + بذور حمراء(؟) السقيط؟(١)، يُطهى الخليط فى الزيت ويتناوله المريض كشراب".

فيما يتعلق بالأبحاث التى أُجريت على المومياوات، أوضح كثير من الكُتَّاب (سواء عن طريق البحث الهستولوچى أو البحث الإشعاعى)، أمراض تصلب الشرايين وكذلك (تليف الشرايين وأمراض تكلس الشرايين)، وذلك منذ أول الأبحاث الريادية لـ(Czermak) فى عام ١٨٥٢م وصولاً لأبحاث "شتوك" Shattock (١٩٠٩م)، الذى أوضح تكلسات فى شريان الأورطى للفرعون "مرنبتاح". وكذلك سميث (١٩١٢م)، الذى أشار إلى وجود تكلسات فى الشرايين الصدغية للملك رمسيس الثانى، والتى أكدتها بعد ذلك التحاليل الحديثة التى أُجريت على مومياء الملك فى الشرايين الحرقفية وشرايين الفخذ وباطن الركبة (١٩٨٥م).

وفى المقابل توصل "لونج" (١٩٣١)، إلى أمراض تلف فى شريان الأورطى والشريان التاجى، وكذلك تليف وضعف فى عضلة القلب وتكلس فى الصمام المترالى وتصلب فى شرايين الكُلَى؛ وذلك بمومياء "تاى" Teye (الأسرة الثانية والعشرون).

أما مودى Moodie (١٩٣١م)، فقد اكتشف تكلسات فى الشرايين فى إحدى المومياوات التى تعود إلى عصر ما قبل الأسرات، وتوجد حاليًا بشيكاغو.

استطاع "شو" Shaw أن يُظْهر وجود اختلافات فى الوريد الأجوف السفلى. وعن طريق البحث الهستولوچى أظهر ساندسن Sandison (١٩٦٣م) وكذلك رابين ماسًا Massa Rabino

(١٩٧٧، ١٩٨٣م) تليفًا مطاطيًا فى الشريان السُباتى لإحدى مومياوات الدولة الحديثة.

الجهاز التنفسى

فيما يتعلق بأمراض الجهاز التنفسى، لم نستطع الحصول على معلومات مؤكدة من النصوص المصرية القديمة باستثناء العديد من العلاجات الخاصة بالسعال، وكثير منها ـ كما رأينا من قبل ـ تحتوى على العسل. وهو ما ينصح به أيضًا ديسكوريدس Discoride: "*علاج آخر يتكون من: العسل (١) هن henu + دهن ثور (١) هن + ماء خميرة(؟) ٢ هن + دقيق قمح مسحوق (١)عصارة شجرة الطلح، ويتم سحق الخليط متجانسًا ثم يُطهى على النار ويتناوله المريض دافئًا*"، (الترجمة الحرفية: "فى درجة حرارة مناسبة")(*)، (إيبرس ٣٢٣).

إليك عزيزى القارئ مثالاً آخر لوصفة طبية لعلاج السعال: "*علاج آخر للقضاء على السعال لدى الأطفال: تمر مسحوق جيدًا ويُذاب فى هن من اللبن ويشربه الطفل*" (برلين ٩٠).

كم هو مفيد أيضًا العلاج عن طريق الاستنشاق (إيبرس ٣٢٠): "*علاج آخر يتكون من: نبات tiam ١/٣٢ + نبات amau ١/٣٢، يتم سحقهما جيدًا ثم يتم وضعهما على النار. يتم استنشاق البخار المنبعث عن طريق أنبوبة وذلك على مدار اليوم*".

كما أن نزلات البرد العادية وجدت لها هى الأخرى علاجًا. وها هى إحدى الوصفات الطبية الغريبة (إيبرس ٧٦١): "*بداية*



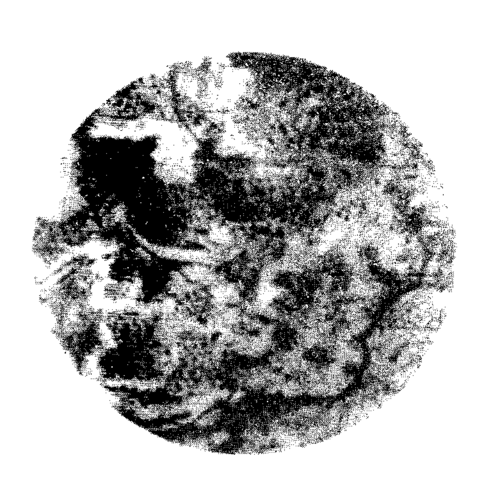
(*) المراد بدرجة الحرارة المناسبة درجة حرارة أصابع اليد.

علاج نزلة البرد: علاج يتكون من نبيذ النخيل تُملأ به فتحة الأنف". وفى فقرة أخرى من بردية إيبرس (٧٦٢): "*علاج آخر للقضاء على الرشح من الأنف يتكون من: نعناع فلفلى يُسحق مع التمر ويوضع فى الأنف*".

أما الشواهد التشريحية، فقد أتاحت لنا الفرصة لتوضيح بعض الأمراض، مثل:

- بسبب الإصابة بالتهاب رئوى وطاعون ـ كما أشرنا من قبل ـ وذلك فى إحدى مومياوات الأسرة العشرين، تم اكتشاف مرض التهاب رئوى متشعب فى أحد فصوص الرئة ناتج عن التهاب كبدى: كان يمكن التعرف على نواة الخلايا داخل حجيرات الهواء فى الرئة.

- على مومياء "حر ـ موزى" Harmose ظهرت مؤشرات على الإصابة بالتهاب شُعبى فى الفص السفلى الأيمن: حيث اتضح عن طريق البحث الميكروسكوپى الذى أجراه شو Shaw أن حجيرات الهواء بالرئة مملوءة بمادة خلوية تصل حتى الشُّعَب الهوائية (الأمر يتعلق بإصابة فى الغشاء البللورى).



التهاب رئوى فى أحد فصوص الرئة (روفر)، بإحدى مومياوات الأسرة العشرين.

٥

- كما استطاع رولنج Rowling أن يوضح هو الآخر بعض الحالات التى من المحتمل إصابتها بالالتهاب الرئوى الفصى.

فى كثير من الحالات تمت الإشارة إلى الإصابة بجرثومات دقيقة تسبب التهابات الرئة وقناة التنفس، وهو ما تم اكتشافه مؤخرًا على مومياء "نخت" بتورنتو (حيث عُثر على غبار الكربون بسبب الإقامة الطويلة فى بيئة مليئة بالأتربة والأبخرة).

كما عُثر أيضًا على الإصابة بالتسمم بالسليكوسيس(*) فى أربع مومياوات بمتحف جامعة بنسلفانيا، واثنتين أخريين فى متحف مانشستر ومومياء فى لندن.

الجهاز الهضمى

تحتوى بردية "إيبرس" على فقرات عديدة تتعلق بالمعدة؛ حيث تم التوصل إلى أعراض مختلفة قد تبدو أحيانًا كثيرة غامضة، وأحيانًا أخرى قد تتعلق بأعضاء أخرى من الجسد البشرى وليس المعدة فقط (إيبرس ١٩١)، نخص منها على سبيل الذكر الفقرة رقم ٢٠٧. تتناول تلك الفقرة وصفًا لفضلات الجسم وخروج تغوُّط أسود melena (أى خروج الفضلات ذات اللون الأسود الغطيس لوجود دم بها). فى واقع الأمر أنه بعد وصف العلاج (عبارة عن البيرة العذبة وأنواع من الفاكهة وخاصة الجميز)، توضح الفقرة: "*لكى تتعرف على أى مرض يجب أن تقوم بتحليل ما يخرج من شرج المريض. إذا خرجت فضلات تشبه العجينة السوداء..*". إنها

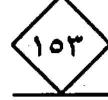
(*) يعتقد داڤيد موير الأستاذ فى جامعة ماكماستر أن وجود السيليكون لا يعنى الإصابة بمرض السليكوسيس، حيث إن السيليكون يتّحد مع الأكسچين مكونًا سيليكا، أو مع المعادن مكونًا سليكات.



أول إشارة في التاريخ لإجراء تحليل براز، الأمر الذى يتكرر كثيرًا هذه الأيام. (حتى وإن كانت هذه الملاحظة تقتصر فقط على البحث عن الدم المختفى فى الفضلات).

فى وصفة أخرى من وصفات بردية إيبرس (١٩٨)، نجد إشارة إلى القضاء على الدم الموجود فى الفضلات. وكما يؤكد "هيرودوت"، (الجزء الثانى، ص٧٧) أن العلاجات المضادة للإمساك كانت منتشرة جدًا: "يتناول المريض شهريًا ولمدة ثلاثة أيام مُلينًا لإخراج الفضلات عن طريق دواء للقىء أو حقنة شرجية، حيث إن الطعام الذى يتناوله يحمل له جميع الأمراض". هذه الملاحظة وجدت صدًى لدى "ديودور الصقلى"، الذى أوضح فى الجزء الأول، ص ٨٢ ما يلى: "حتى يتجنب المصريون القدماء الإصابة بالأمراض، فقد اهتموا بصحتهم وبأجسامهم على وجه الخصوص أحيانًا عن طريق نظام حياتى يومى، وأحيانًا أخرى عن طريق فترات راحة تستغرق ثلاثة أو أربعة أيام، وذلك باستخدام الحقن الشرجية، أو اللجوء إلى الصيام والامتناع عن تناول الطعام أو بتناول عقاقير القىء. فهم يرون أن معظم الطعام الذى يتناوله الإنسان زائد عن الحد وهو السبب فى كثير من الأمراض، إلا أنهم يرون أيضًا أن العلاج الذى يقضى على أسباب المرض، يساعد بشكل كبير فى تحسين الحالة الصحية للمريض".

ها هى وصفة طبية أخرى وردت على سبيل المثال فى بردية "إيبرس ٢٥": "*علاج آخر لتخليص البطن من متاعبها والقضاء على المرض فى بطن الإنسان يتكون من: بذور خروع يتم طحنها وإذابتها فى مقدار من البيرة، ويتناولها المريض حتى يتم طرد*



جميع *الفضلات من بطنه*". يُلاحظ أيضًا أن كلاً من Dioscoride ومن بعده پلينو Plinio قد أوصيا باستخدام الخروع.

أما علاجات الإسهال فقد اختفت تقريبًا أو بالأحرى كانت قليلة العدد، وذلك حسبما تتم ترجمة كلمة usesh فقد تترجم على أنها تبوُّل، أو قد تعنى: تبرُّز. وفى حالة تفسير اللفظ على أنه "تبرز" نلاحظ ما يلى فى بردية "إيبرس ٤٤": "*علاج للقضاء على التبرز المستمر (الإسهال)، يتكون من نبات داريت djaret ١/٨ + عجينة طازجة ١/٨ + زيت + عسل ١/٤ + شمع ١/١٦ + مياه ٢٥ رو. يتم طهى الخليط على النار، ثم يتناوله المريض لمدة أربعة أيام متتالية*".

وها هى الفقرة رقم (٤٩) تلقى بنا أيضًا إلى دروب الشك والحيرة .. هل يتعلق الأمر بالبول الدموى أم هو براز مُضرَّج بالدماء الغزيرة؟ لقد قدمت مُسبقًا تفسيرًا محتملاً لهذه الافتراضية.

هناك أيضًا العديد من العلاجات الخاصة بفتحة الشرج، فمن الواضح أنها كانت علاجًا لمرض البواسير (إيبرس ١٤٠): "*علاج آخر لترطيب فتحة الشرج يتكون من نبات kheper-ur (١) + ثمرة peret sheny (١) + حبات العرعر (١) + راتنج البطم (١) + أكسيد الحديديك المائى (١) + nesshe (١) + كمون (١) + عسل (١) + بخور (١) + قرفة؟ shepes ti (١). يُمزج هذا الخليط جيدًا ويوضع فى فتحة الشرج على هيئة لبوس شرجى*".

وصفة طبية أخرى بالفقرة رقم ١٤٥ من بردية إيبرس تبدو أنها تشير إلى سقوط المستقيم (وهو ما ذُكر أيضًا فى "شستر بيتى،٦، الفقرة ٩): "*علاج آخر لحالات استرخاء الشرج (معنى المصطلح uenekh أى انتقال، تم شرحه فى حاشية من حواشى*

بردية سميث)، يتكون من: "بخور (١) + راتنج البطم (١) + سيپرى cyperus عطرى من الحديقة (١) + mehetet من الشاطئ (١) + كرفس (١)+ كُزبر (١) + زيت (١) + ملح. يُطهى الخليط معًا ويوضع فى خرقة توضع فى فتحة الشرج".

ربما تحتوى بردية "تشستر بيتى" الجزء الرابع - الفقرة ٢ - على مؤشرات لمرض الفتق الشرجى.

أما المعلومات التى وصلتنا من المومياوات التى تم تشريحها لمعرفة أسباب الوفاة فهى قليلة جدًا (قد ذكرنا ذلك سابقًا عند التحدث عن الوفاة بسبب الإصابة بالطفيليات). كما أن عدد حالات الإصابة بالمرارة قليلة جدًا، وربما ارتبط ذلك بنوعية النظام الغذائى المتبع: على سبيل المثال حالة لأحد كهنة الأسرة الحادية والعشرين قام "سميث" و"داوسون" بوصفها وصفًا دقيقًا، وحالة أخرى عثر عليها جراى Gray عام ١٩٦٧م باستخدام الاختبار الإشعاعى على مومياء أخرى.

أخيرًا، تم اكتشاف حالات أخرى للإصابة بأمراض الجهاز الهضمى، مثل:

- الزائدة الدودية (سميث وداوسون).
- المرارة المزمنة (شو Shaw).
- إصابات القولون فى طفل وتليف كبدى (روفر، ١٩١١م).
- حالات عدة للإصابة بسقوط المستقيم (روفر، ١٩١٣م).
- تم العثور على جسد طفل يبلغ من العمر حوالى عام تقريبًا فى سلة بمدينة أسيوط يعود إلى الأسرة الحادية عشرة، يوضح حالة سقوط واضح فى المستقيم (مارو، ١٩٥٢م).



- آخر الحالات أوضحها "رولنج"، حالة إصابة بورم في المستقيم.

المسالك البولية

الفقرة رقم (٢٦٥) من بردية إيبرس توضح لنا حالة إصابة بالتهاب المثانة: "*علاج آخر للقضاء على آلام البول في المثانة؛ حيث يعاني المريض من آلام عند التبول، يتكون من: ملح بحري ١/١٤ + ميهو mehiu ٥ رو + زيت ben مورينجا + عسل (١) + بيرة عذبة(١). يمزج الخليط ويحقن به المريض من الشرج*".
وصف العلاج المناسب للمريض يفسر الأثر الفعال له في إزالة الآلام.

وصفة طبية أخرى (إيبرس ٢٦٤)، تتحدث عن علاج آخر لتنظيم عمليات التبول المتكررة: فنحن هنا بصدد حالة زيادة معدلات التبول بسبب الإصابة بمرض السكر.

نجد فيما بعد وتحديدًا في الفقرة رقم ٢٧٤ من نفس البردية إشارة إلى تدفق البول: "*علاج آخر لإيقاف التبول عندما يكون متكررًا، يتكون من قمح مقشور ١/٨ + ثمرة الإشد ١/٨ + أكسيد الحديديك المائي ١/٣٢ + ماء ٥ رو. يترك الخليط طوال الليل معرضًا للندى، ثم يصفى ويشربه المريض لمدة أربعة أيام متتالية*".

تعبيرًا عن مصطلح "يتبرز أو يُفرغ" كإشارة إلى المسالك البولية، ربما تحتوي الفقرة رقم ٢٠ من بردية إيبرس على وصفة طبية لعلاج حصوات المثانة أو الكلى أو المسالك البولية: علاج آخر لطرد الحصوات "أورميت" (urmyt) الموجودة في البطن

يتكون من: conyza' (١) يتم طهيه في لبن بقرة أو في بيرة عذبة، ثم يتناوله المريض كشراب إلى أن يتم طرد الحصوات الموجودة بالبطن عند التبول".

وصفة طبية أخرى لعلاج مرض سَلَس البول ورد ذكرها في الفقرة رقم ٢٧٦ من بردية إيبرس: *"علاج آخر لتوقف اندفاع البول اللا إرادي يتكون من: ثمرة من شجرة الصنوبر (١) + cyperus esculentus (حب العزيز) (١) + بيرة (١) هن. يتم طهي الخليط، ثم يُصفى ويتناوله المريض لمدة أربعة أيام متتالية".*

علاج آخر يدخل في نطاق العلاج بالسحر ورد ذكره في بردية إيبرس بالفقرة رقم ٢٦٢ - وقد أشرنا إليها سابقًا - حيث تم استخدام ورقة بردي مغلية في الزيت، ثم دُهن بها جسد طفل يعاني من احتباس في البول.

وبالرجوع إلى المومياوات نجد أن "روفر" أوضح في عام ١٩٢١م، أنه بفحص مومياء تعود إلى الأسرتين: الثامنة عشرة والعشرين اكتشف الإصابة بصديد في البول مع وجود خُرَّاجين على الكُلى؛ بالإضافة إلى أعداد هائلة من الجراثيم السلبية.

أما حصوات الكُلى فقد تم توثيقها إلى حد كبير حيث كانت شائعة جدًا:

- حصوات كُلى عثر عليها شاتوك Shattock عام ١٩٠٥م في مقبرة تعود إلى الأسرة الثانية.
- في عام ١٩٢١، عرض "روفر" حالة من عصر ما قبل الأسرات تعاني من وجود ثلاث حصوات؛ بالإضافة إلى فوسفات وحمض البوليك.



- عرض كل من "سميث"، و"داوسون" ثلاث حالات لحصوات كُلى فى مومياء لأحد كهنة أمون تعود للأسرة الحادية والعشرين؛ إحدى هذه الحصوات تتكون من حمض البوليك والفوسفات وضعها المحنطون فى فتحة الأنف.
- وأخيرًا، فى عام ١٩٦٦م عثر "جراى" أثناء إجرائه بحثًا إشعاعيًا على حصوة فى الحالب.

الخِتان

حتى وإن كانت المعلومات التى وصلتنا عن مدى انتشار ممارسة عادة الختان تُعد قليلة جدًا، إلا أنها وصلت إلينا عن طريق أحد النقوش الشهيرة على مصطبة "عنخ مع حور" (الأسرة السادسة) بسقارة. ينقسم هذا المشهد إلى جزءين تم تصويرهما فى حقبتين زمنيتين متتاليتين. فى المشهد الأول وعلى الجانب الأيمن نرى الاستعدادات لهذه المهمة؛ حيث يتوجه الفتى إلى الشخص الذى سيقوم بإجراء هذه العملية: "*نظف جيدًا العضو الذى ستُجرى له العملية*" والذى يجيب بدوره: "*سوف أنجز العمل على أكمل وجه*". من المؤكد أنه كان يتم استخدام مادة مخدرة ربما تكون نوعًا من "حجارة منف" الشهيرة والذى أطلق عليها هذا المسمى هو دسقوريدس "Dioscoride"، (Med V , 148 ديمات Demat)؛ وكذلك بلينو Plinio (الطب ـ التاريخ الطبيعى ـ ٢٦، ٧ Nat. Hist. XXVI, 7)، وهى عبارة عن كربونات الكالسيوم الذى يتحد مع الخل مكونًا أكسيد الكربون وهو مكون يتمتع بخصائص التخدير الموضعى، وإن كان مفعوله غير قوى. فى المشهد الثانى على الجانب الأيسر، نرى أن الفتى الذى يتكئ على أحد

المساعدين تُجرى له العملية باستخدام مُدْيَة ربما تكون من السليكات الصخرية؛ حيث يقول من يُجرى العملية: "*أمسكه جيدًا حتى لا يُغمى عليه*". ثم يرد المساعد: "*سأفعل كما تريد*".



مشهد يمثل عملية الختان من مصطبة "عنخ مع حور" بسقارة ـ الأسرة السادسة.

هذه العملية الجراحية أجراها المصريون القدماء بأساليب مختلفة عن اليهود " يونكر " (Jnckheere, 1951) حيث أجراها قدماء المصريين فى سن ما قبل البلوغ أو فى سن البلوغ، وكانت عبارة عن عملية كحت (كحت ظهر العضو الذكرى) بينما ـ وكما هو معروف ـ أجرى اليهود هذه العملية بمجرد ميلاد الصبى، وكان يتم استئصال جزئى ودائرى للعضو.

تم مؤخرًا عرض اقتراح بإجراء تعديل فى تفسير هذين المشهدين (روث) على هذا النحو: الكاهن "حم كا" (وهو من أجرى العملية الأولى)، قد يكون هو الشخص الذى أُوكلت إليه مهمة الاحتفال بمراسم الاقتبال، بينما المشهد الآخر على اليمين ربما يمثل حلق شعر العانة.

أما مشهد الختان الذى تم التعبير عنه بشكل صريح فيوجد فى معبد "موت" بالكرنك، ولكنه مشهد يخلو من وحدة الترابط حتى وإن كان يؤكد أن هذه الممارسات كانت تُجرى على مجموعة من الأولاد.

أما لوحة "أوحا Uha" بنجع الدير والتى ترجع إلى عصر الانتقال الأول، فهى تؤكد هذه العادة: "*عندما تجرى لك عملية الختان مع ١٢٠ رجلاً ..*".

فى عام ١٩٠٨م، توصل "سميث" إلى أن الذكور فى جبانات عصر ما قبل الأسرات بنجع الدير أُجريت لهم عملية الختان.

الجهاز العصبى

لقد رأينا من قبل كيف أن المعلومات المتعلقة بعلم وظائف الأعضاء التشريحى (التشريح الفسيولوچى)، والخاصة بهذا الجهاز قليلة جدًا باستثناء بعض الإشارات البسيطة للأمراض العصبية المرتبطة بالصدمات النفسية العنيفة، وهو ما سنراه فيما بعد.

تحتوى بردية "برلين"، الفقرة رقم ٧٦ على وصف لحالة شلل بعصب الوجه؛ حيث تم اقتراح التبخير كعلاج للقضاء على التشوُّهات فى أحد جوانب الوجه وبجانب الفم.

كما تحتوى بردية إيبرس بالفقرة رقم ٢٥٠ على إشارة إلى الصداع: "*علاج آخر للقضاء على الآلام فى أحد جوانب الرأس (صداع نصفى)، يتكون من رأس سمكة السيلوروز المطهية فى الزيت، يتم دعك رأس المريض بها لمدة أربعة أيام*". علاجات سحرية أخرى لهذا الغرض احتوت عليها بردية "شستر بيتى" بالجزء الرابع.



مصطلح الصداع وهو ما يعنى باللغة المصرية القديمة gestep، وُجد فيما بعد أيضًا فى نصائح أبوقراط.

العِظَام والمفاصل

بالإضافة إلى مرض سُل العظام - الذى قمنا بوصفه مسبقًا - أفصحت الغالبية العظمى من الآثار عن العديد من الحالات المرضية (سوف نخصص جزءًا منفصلاً عن العيوب الخِلْقيَّة).

أشار بعض الباحثين مثل بيناسى Benassi وجراى Gray وليشتنبرج Lichtenberg ودوناند Dunand وماك Macke وماك ريبت Macke - Ribet وشتروهال Strouhal، إلى بعض أمراض العظام مثل مرض التهاب المفاصل وداء المفاصل المزمن؛ وكذلك التشوهات العظمية مثل النتوء والحدبة، جميعها تستحق أن تُجرى عليها أبحاث عن طريق الأشعة مثل حالات التهاب فى النسيج العظمى تم اكتشافها بعد وفاة سيدة من الأسرة الخامسة (Derry, 1909). أما مرض التهاب المفاصل المزمن والذى يؤدى إلى تشوه العمود الفقرى، فتم اكتشافه على مومياء "kha" بتورينو.



ورم خبيث بعظام الفخذ - الجيزة - الأسرة الخامسة.

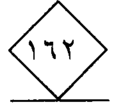
حالات أخرى لأمراض العظام، منها على سبيل المثال حالة اعوجاج فى الركبة توصل

إليها "ليكا" فى مومياء بشيكاغو، بينما أشار Moodie إلى التهاب مفاصل الركبة.. حالة قدم خيلى كتب عنها Grilletto عام ١٩٨٠م. قام كلٌّ من Macke و Macke-Ribet بإعداد قوائم بمجموعة أمراض العظام والتى تسببها أمراض البروتوبلازما، مثل Osteoporosi هشاشة العظام (المصحوبة بكسر فى عظام الفخذ) الناتج عن اضطراب بناء البروتوبلازما فوسفات الكالسيوم مع حدوث تشوهات خطيرة بفقرات العمود الفقرى .. حالة Osteomalaco وهى لِين عظام لدى البالغين... حالة ارتخاء عظمة العجزى Sacro الناتج عن نقص فيتامين D .. حالة Ispessiminti تكثيف لحائى للظنبوب (عظمة الساق الكبرى)، وللشظية (قصبة الساق الصغرى) الناتج عن نقص فيتامين C .. (بعض حالات Cribra Orbitolia، التى تحدثنا عنها مسبقًا عند تناول مرض الملاريا).

تسع حالات من بين مائة وسبع حالات تعانى من انقسام غير واضح فى إحدى الفقرات كشف عنها "مارو"، حالتان منها مصحوبة بإغلاق غير تام للوتر العصبى.. حالة أخرى قام بوصفها "زيمرمان"، تم الكشف عنها أيضًا على يد (Lichtenberg, Dunand e Gray) عبارة عن ضمور فى العظام ناتج عن نقص التغذية.

كما أشار كلٌّ من "سميث"، و"داوسون" إلى حالة نقرس من العصر القبطى بفيلة.

كما لُوحظ أيضًا تكاثر واضح بأعداد زائدة عن الحد لأشكال صغيرة مفصلية أُطلق عليها "وجوه صغيرة ناتجة عن الانحناء"؛ وخاصة فى مفاصل عظمة الكاحل لدى المصريين القدماء فى



عصور ما قبل الأسرات وعصور الأسرات. "التكاثر الواضح فى التوحيد الثنائى المتجانس يخلص إلى الاعتقاد بأن هذه الأوضاع المتقاربة كانت من النوع المتماثل بشكل واضح، وأن هذه المواقف المتقاربة أيضًا لا بد وأنها كانت شائعة كما توضح الأيقونات والتماثيل" (Satinoffe coll. 1967).

قام كلٌّ من ماك Macke وماك ريبت Macke-Ribet بملاحظة أنواع عديدة من أورام العظام، منها على سبيل المثال: ورم عظام سرطانى، ورم جلدى سرطانى مع العثور على بقع جلدية متغايرة الخواص تم تصويرها بالأشعة، وكذلك ورم بالأنسجة العظمية مع وجود ورم خبيث فى عظمة الفخذ وتدمير للعظمة الإسفنجية.





جمجمة لسيدة تم العثور عليها بأسيوط بها جروح عظمية قد تكون بسبب ورم سرطانى خبيث بالثدى (متحف الأنثروبيولوجى بتورينو).

حالتان من حالات مرض الالتهاب السحائى أشار إليهما "حسين"، وحالة أخرى عبارة عن تدمير كامل بجمجمة شخص تم العثور عليها بنجع الدير وقد تعود إلى الدولة القديمة، ومن المؤكد أنه بسبب نوع من أنواع السرطانات بالأنف والحلق " ويلز " (Wells, 1963).

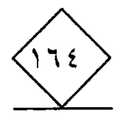
نوع آخر من أنواع السرطانات الخبيثة فى أنسجة عظمة الفخذ (عبر عنه "رولنج" فيما بعد)، بسرطان بالأنسجة العظمية؛ بالإضافة إلى حالتَىْ سرطان بأنسجة عظام العضد بالجيزة اكتشفهما كلٌّ من "سميث" و"داوسون". وكذلك التهاب سحائى ناتج عن ورم خبيث بالأوعية الليمفاوية مع ازدياد عدد الأنسجة العظمية على شكل دمامل فى جمجمة تعود إلى الأسرة العشرين اكتشفها Rogees.

يوجد حاليًا بمتحف الأنثروبيولوچى بتورينو هيكل عظمى لسيدة فى عمر متقدم تم العثور عليه بإحدى الجبانات بأسيوط، وقد قمنا بالحديث عنه مسبقًا عند تناول داء الزُّهرى.

باستبعاد إصابات الزُّهرى، يؤكد "مارو" أن الأعراض المختلفة تنحصر ما بين سرطان النخاع العظمى المتشعب وسرطان الأنف والحلق؛ حيث إن الجروح الموجودة فى الجمجمة (هى جروح غائرة اثنان منها فى مؤخرة العنق "القفا"، وجرح على جدار الجمجمة من الجانب الأيسر، وآخر فى الجبهة وجرح أعلى الرأس من جهة اليسار).

إصابات أخرى وجدت على أحد الضلوع وعلى عظمة الفخذ اليسرى، وجرحان آخران على العضد الأيمن وأخيرًا على عظمة العجزى sacro التى دُمرت بالكامل. أما الاحتمال الأقرب إلى الصواب، فهو ما يتفق مع رأى "مارو" أنه مرض ورم سرطانى خبيث فى الثدى.

استطاع شتروهال Strouhal أيضًا أن يعثر على جماجم أخرى بها إصابات مشابهة، إحداها تم العثور عليها فى المقبرة المسيحية فى "سيالة" بالنوبة (ورم خبيث)، وأربع جماجم تعود



للعصر المتأخر (أبو صير وسقارة)، بها إصابات بسرطان النخاع العظمى المتشعب أو أورام خبيثة.

العيوب الخِلْقِيَّة والتشوُّهات

تم توثيق الأَقْزَمَة الناتجة عن الوَدَانة حيث تتسم الأطراف بالقصر الشديد، وذلك عن طريق العديد من الهياكل العظمية منذ عصر ما قبل الأسرات حتى الأسرة الحادية والعشرين. كان للأقزام وضعهم فى المجتمع المصرى، على سبيل المثال القَزَم "سنب" (الأسرتان الرابعة والخامسة)، الذى خلَّف مجموعة من أشهر التماثيل له ولأسرته والتى تم العثور عليها فى مصطبته بالجيزة، وهى محفوظة حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة. كان "سنب" موظفًا كبيرًا بالبلاط الملكى.



تمثال للقَزَم "خنوم حتب" (الحجر الجيرى - الأسرة السادسة)، عُثر عليه بسقارة وموجود حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة.



مجموعة تماثيل للقَزَم "سنب" مع عائلته (الأسرتان الرابعة والخامسة - الحجر الجيرى الملون - المتحف المصرى بالقاهرة).



هناك أيضًا تمثال القَزَم "خنوم حتب" وتمثال آخر لأحد الأقزام يحمل جرابًا، ويوجد حاليًا بشيكاغو. كذلك تمثال للمرأة القزمة "إيتا" بمتحف اللوفر (الدولة الوسطى)، كذلك القزم فوق المركب الذى يمثل جزءًا من المتاع الجنزى لمقبرة توت عنخ آمون.

ولا ننسى الإله "بس" والإله "بتاح باتيك"، وقد أُطلق عليه هذا الاسم نظرًا لأنه - حسبما يرى هيرودوت، الجزء الثالث، ٣٧ - فى الحقبة المتأخرة صُوِّر على أنه إله قزم ودان. ويقارن "هيرودوت" بين هذا الإله القزم والإلهة الصغيرة المشوهة للفينيقيين، والتى تم حفرها على مقدمة السفينة الحربية ثلاثية المجاديف.

تختلف كلمة "رِنْ" "ren" وهى تعنى: قَزَم باللغة المصرية القديمة، عن كلمة "deneg" أى القزم الخلقى، وفى هذه الحالة نتذكر الملامح القبيحة للقزم الذى صُوِّر على مقبرة "حرخوف". جمع "داسن Dasen" ما يقرب من مائتى وسبع حالات صورت الأقزام بمصر القديمة، أغلبها كانت أقزام ودانة.

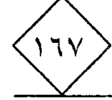
هناك نوع آخر من الأقزمة الناتج عن القصور النخامى والذى يسبب بعض المشاكل عند محاولة تشخيصه تصويريًا، وذلك بسبب تشابك لوائح الرُّتَب والمناصب فى الهيكل الوظيفى. شغل الأقزام عدة مهام، كما عملوا بصناعة المنسوجات والحُلىّ وسُخِّروا كذلك فى زراعة الأرض.

فى هذا الصدد، نلاحظ كذلك كيف تم استغلال قصيرى النظر فى الأعمال التى تحتاج لدقة شديدة والتى تدعم من قدراتهم على الرؤية عن قرب، كما هو الحال فى العمال الذين يقومون بتصنيع الذهب والحُلى؛ هذا العمل الدقيق يصعب على مَنْ يعانون مِنْ طول النظر القيام به.



ملكة بونت.. نقش بارز بمعبد الملكة حتشبسوت بالدير البحرى (الأسرة الثامنة عشرة)، المتحف المصرى بالقاهرة.

نقل إلينا أيضًا "داسن" حالات مختلفة لاعوجاج قدم خيلى، على سبيل المثال الأشكال الموجودة فى مقبرة "باقت الأول" بمقابر بنى حسن (الأسرة الحادية عشرة). أما حالة من أُطلق عليها "ملكة بونت" ـ والتى تم تصويرها على أحد النقوش البارزة بمعبد الملكة "حتشبسوت" بالدير البحرى (الأسرة الثامنة عشرة)، وكذلك على إحدى الشقافات وقد صُوِّرت بطريقة ساخرة وعُثر عليها بدير المدينة وتوجد حاليًا ببرلين ـ فقد أظهرت الإصابة بعيب خِلْقىّ ناتج عن انفصال فى مفاصل الفَخِذ. هذه الحالة تم توثيقها عن طريق القطع الأثرية التى تم تشريحها، والتى توجد إحداها فى تورينو، وهى تُظْهر أيضًا تجويفًا مسطحًا فى عظام الحوض مصحوبًا بحالات "هشاشة عظام" Osteoporosi. خمس حالات أخرى لسيدات نوبيات أشار إليهن كلٌّ من "سميث" و"چونز" (١٩٠٨م)، وحالة أخرى أشار إليها كلّ من ماك Macke وماك ريبت Macke-Ribet. على أية حال، فقد أظهرت حالة ملكة بونت بعض الأمراض الأخرى مثل أعراض dercun أو شحوم زائدة تسبب آلامًا مبرحة، وكذلك داء الفيل وشحوم زائدة فى الفخذ والأرداف وأمراض أخرى متعددة.

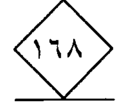


كما نقل إلينا العديد من الباحثين أشكالاً مختلفة لتشوهات العظام اكتشفت على بقايا آدمية، منها: تشوهات في عظام الجمجمة مثل ضيق الجمجمة، وكِبَر حجم الجمجمة، وصغر حجم الجمجمة، ومرض استسقاء الرأس (ذكر لنا "ديرى" عام ١٩١٢م حالة شاب مصاب بهذه الحالة من العصر الرومانى، مع وجود نقص فى نمو الجانب الأيسر من الجسد وتضخم فى الذراع اليمنى). كذلك أيضًا حالة anencefalia فى مومياء بمدينة هيرموپوليس؛ وحالة أخرى لالتهاب الفقرات المصحوب بتصلب فى الشرايين عُثر عليها بتورينو.

فى "مراجعة الأدب"، أشار رابين ماسا Rabino Masse إلى مزيد من الحالات، منها: نقص فى تكوين العظام، نقص فى الهيكل الخلوى للنسيج العظمى ناتج عن انقسام الخلايا، وتشوهات فى عظام الفك. وأيضًا حالة لمرض التهاب السحايا فى مومياء لطفل وليد (الأسرة الحادية عشرة)، توجد بتورينو ضمن مجموعة متحف الأنثروبيولوچى.

ختامًا لهذا العرض، يجب أن نضيف حالتين بتورينو أشار إليهما ساتينوف Satinoff عام ١٩٦٨م عبارة عن: خلل فى الچينات الوراثية يؤدى إلى تكيُّس فى خلايا الأسنان وضلوع مقوسة وعمود فقرى مقسوم وعيوب أخرى فى الفقرات.

تصور آخر لمرض Morquio "موركيو" افترضه "پول غليونجى" عام ١٩٦٦م وسار على نهجه أيضًا "كامبيلا" بدراسته لتمثال صغير بالقاهرة (مجموعة "خوام Khauam")، وهو تمثال لرجل يعانى تشوهات فى الرأس والجذع وقِصَرًا فى الأعضاء.



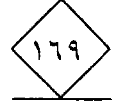
بيلـة الكيبتونيـة Alcaptonuria هـو مـرض وراثـى ينـتج عـن نقص فـى أحـد الأنزيمـات الـذى يَحُـول دون إتمـام عمليات بنـاء البروتوبلازما للحمض المتجانس أو (Alcaptone). أشـار إلـى هذا المـرض العديـد مـن البـاحثين بدراسـة بعـض المومياوات التـى لـم تتحمل الفحص؛ حيث إن الإصابات المصحوبة بكثافة الانزلاقات الغـضروفية داخـل الفقـرات، هـى فـى واقـع الأمـر مرجعهـا إلـى عمليات مصطنعة ناتجة عن عمليات التحنيط.

حالة أخناتـون

عنـد هـذا الحـد سـنتوقف قلـيلاً لنسـتعرض (مـا بـين قوسـين) صـورة فريدة ومتفردة من صـور ملوك مصـر الفرعونية .. إنه الملك أمنحتـب الرابـع المُلقَّـب بـ"أخنـاتون" (١٣٥٩ ـ ١٣٤٢ ق.م. أو ١٣٤٨ ـ ١٣٣١ ق.م.).. هـو مؤسـس ديانـة التوحيد القائمـة علـى عبادة قرص الـشمس "أتـون" وزوج الملكـة الـشهيرة "نفرتيتـى". صُوِّر هـذا الملـك علـى هيئـة شـبه أنثويـة حيـث يبـدو ذا ثـديين متـضخمين وفخـذين ممتلئتـين.. إنـه أخناتون واضـع أُسس الفن الواقعى الذى ارتبط بالمذهب الذى انتشر فـى الحقبـة الـسابقة عليـه، وهـى حقبـة أمنحتـب الثالـث الملقـب بفرعـون الـشمس. كمـا يبـدو كـذلك أن أفـراد عائلتـه اشـتركوا ـ ولـو بقـدر بـسيط ـ فـى تـشويه صـورة



أخناتون ونفرتيتى والابنة مريت أتون يعبدون أتون . نقش بارز من الحجر الجيرى من القصر الملكى لأخناتون (تل العمارنة).



الملك الفرعون. لم تكن له صلة على الإطلاق بالمذهب التعبيرى التصويرى، وذلك لافتقاد عصره إلى المثالية التى سادت فى الحقبة السابقة عليه.

لم نتمكن من الحصول على جسد أخناتون، فمن المحتمل أن يكون أعداؤه (وهم كهنة أمون)، قد دمروه كلية، فقد كان يلاحقهم دائمًا فى حياته. على العكس من ذلك، فقد حصلنا على أجساد الملوك الذين خلفوه فى الحكم مثل "توت عنخ أمون"، وجسد آخر تم العثور عليه بالمقبرة رقم (٥٥) بوادى الملوك كان يُعتقد فى الماضى أنها مومياء "أخناتون" ولكن مؤخرًا وفى عام ١٩٧٣م، رأى "ألدريد"، أنها مومياء الملك "سمنخ كارع". أظهرت الدراسة التى أُجريت على المومياوين أنهما لشقيقين؛ وذلك للتشابه فى قياسات الجسم وأجزائه وفى المجموعات الدموية. ولنا أن نفترض إذًا أن جسد أخناتون ربما يكون مختبئًا فى مكان ما بوادى الملوك(*).

التصوير الأيقونى للفرعون دفع بكثير من الباحثين لتشخيص أعراض مرض فروليخ Froelich أو أعراض لمرض السِّمْنة بالأعضاء التناسلية، والذى أفرز تشحُّمًا أنثويًا وأعضاء تناسلية ناقصة النمو تكسوها الشحوم، وسيقانًا تشبه سروال الجواد البربرى. يوجد للملك تمثال معبر وموحٍ بهذه الحالة، فهو يبدو عاريًا وغير محدد الجنس. يعتقد البعض أن هذا التمثال يكسوه غطاء معدنى ولكن لا يوجد أى أثر لهذا الغطاء. ومن الألقاب التى أُطلقت عليه: "الثور القوى". ويرى آخرون أنه بتمثيله "أتون" أى أب وأم البشرية، فقد يعبر بذلك عن ازدواجية جنس الخالق،

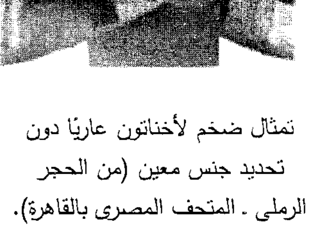
(*) يعتقد الآن أن مومياء المقبرة رقم ٥٥ بوادى الملوك هى بالفعل للملك أخناتون.



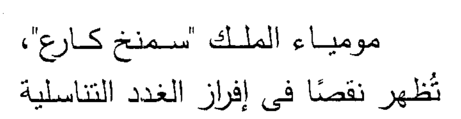
ولكن هناك أمثلة سابقة ربما تتعارض مع هذا الرأى، على سبيل المثال: "تحتمس الثالث" أُطلق عليه أب وأم البشرية؛ ولكن لم يتم تصويره على شكل مغاير لصورة الفرعون المنتصر ذى البأس الشديد. هناك شك فى أن فكرة ازدواجية الجنس لـ"أتون" يمكن أن تشير إلى معنًى آخر غير أنه خُلق من نفسه، وهى خاصية التصقت لفترة طويلة بإله الشمس الذى تولَّد من ذاته ليتمكن من خلق الكون (ألدريد، ١٩٧٣م).

تصوير جمجمة أخناتون باستطالة ويغطيها تاج أو شعر مستعار تعود إلى سمة تحليلية انتشرت فى أفراد عائلته. أما فيما يتعلق بأعراض مرض فروليخ Froelich، فيجب أن نضيف أنه فى المراحل الأولى لهذا المرض يزداد نشاط الغدة النخامية للحد الذى تسبب معه تشوهات فى الجمجمة، ثم يعقب ذلك مرحلة انخفاض فى إفرازات الغدة النخامية ومن ثَمَّ، نقص فى إفراز الغدد التناسلية.

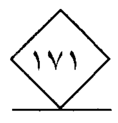
إن سمات الوجه وبروز الفكين والأذن الكبيرة، قد يفسر إلى حد ما بعض الصفات غير الطبيعية التى تبدو فى تصوير هذا الملك الفرعون. فى متحف اللوفر بفرنسا، هناك نقش بارز يصور الملك أخناتون شابًا وهو يتملق "أتون"، وهنا تبدو سمات الشكل الشاذ فى مراحلها الأولى.



تمثال ضخم لأخناتون عاريًا دون تحديد جنس معين (من الحجر الرملى - المتحف المصرى بالقاهرة).



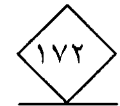
مومياء الملك "سمنخ كارع"، تُظهر نقصًا فى إفراز الغدد التناسلية



واستطالة فى الجمجمة (مثل مومياء توت عنخ أمون)، وهى علامات على نقص فى إفراز الغدة النخامية بالرأس. وعلى هذا، يمكن افتراض وجود صلة قرابة تجمع بين الملوك الثلاثة المتعاقبين (أخناتون، سمنخ كارع، توت عنخ آمون).

فى مقابل تشخيص أعراض مرض تشحُّم الأعضاء التناسلية، هناك جدل قائم حول ما إذا كان لأخناتون ست بنات من الملكة نفرتيتى، وهو ما يتعارض مع عدم قدرته الجنسية الناتجة عن هذا المرض. يُناقش "ألدريد"، الأمر كما لو كانت الفتيات هن بالفعل بناته. وفقًا لما يراه هذا الباحث، يمكن الاعتقاد بأن الأب الحقيقى لهؤلاء الأميرات هو أمنحتب الثالث وذلك أثناء فترة تقاسم الولاية على العرش. هناك إذًا، بعض المظاهر التى تتوافق مع عدم قدرة أخناتون الإنجابية فى جميع الأحوال. كم هو مدهش حقًا وهو يمتلك الحريم harem تحت تصرفه أنه لم يتمكن من إنجاب طفل واحد ذكر؛ حتى إنه اتخذ من "سمنخ كارع" شريكًا له على العرش فى نفس الفترة التى كان باستطاعته - نظريًا - إنجاب المزيد من الأطفال!

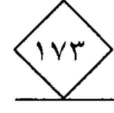
هناك اعتقاد آخر سائد بأنه كانت هناك علاقة جنسية بين أخناتون وسمنخ كارع، هذا الاعتقاد تم افتراضه على أساس أن "سمنخ كارع" كان يحظى بلقب "محبوب أخناتون"، كما تم تصوير الملكين على إحدى اللوحات وهما فى وضع عاطفى حيث يبدو أخناتون وهو يُداعب ذقن "سمنخ كارع". على النقيض هناك شواهد أخرى تتعارض مع عدم قدرة أخناتون: حيث تم تصويره على أحد النقوش البارزة التى عُثر عليها بتل العمارنة باللحية (رمزًا للحزن)، ولا يمكن أن تكون هذه اللحية قد أُضيفت إليه كضرب من الخيال.



يرى "ليكا"، أن هذا الفرعون كان يعانى من أعراض نقص حاد فى هرمونات الغدة النخامية. أما "ألدريد"، و"ساندسون"، فيريان أنها أعراض نقص فى هرمونات الغدة الصماء الناتج عن الإصابة بورم حميد فى الغدة النخامية. على أية حال، لا يمكن تقييم الحالة المرضية بدقة اعتمادًا فقط على المعطيات المستخلصة من تلك الأيقونات. كما أنه أخذ فى الاعتبار أيضًا حالة التشحم المتقدمة أو مرض مورهانى بارايور سيمونس Morgagni-Barrayure-Simons؛ حيث أظهرت الأماكن المصابة وجنات هزيلة وعنقًا وذراعًا نحيفين، وتضخمًا زائفًا فى حجم البطن والأعضاء السفلية، ومع ذلك فقد أصاب هذا المرض على وجه الخصوص الأعضاء التناسلية الأنثوية.

يرى "پول غليونجى"، كما رأينا من قبل، أنها حالة إصابة بديدان البلهارسيا فى الكبد والطِّحال. مؤخرًا، أُضيفت إلى كل هذه الافتراضات احتمال آخر ألا وهو الإصابة بأعراض مرض متلازمة كلينفلتر Klinefelter حيث اتضح وجود كروموزوم خلقى غريب؛ بالإضافة إلى كروموزومَىْ (إكس) فى العضو الذَّكَرى حيث يعانى من تضخم فى الأعضاء التناسلية ونقص فى إفراز الغدد التناسلية. ومن ثَمَّ، فإن عدم الخصوبة هى النتيجة الطبيعية، وعلى ذلك فإنه فى هذه الحالة أيضًا يمكن الأخذ فى الاعتبار جميع الاحتمالات السابقة.

وعلى ذلك أيضًا، فإنه من الصعب جدًا أن نميل تجاه نص ونؤيده دون نص آخر، حيث إن عدم وجود مستند مادى تحت أيدينا وهو جسد أخناتون ذاته يجعلنا نقف دائمًا فى دائرة الاحتمالات، حتى وإن كانت الخصائص الجسدية للأيقونات أو الخصائص الشائعة فى المومياوين اللتين تمكنَّا من الحصول

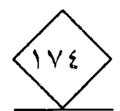


عليهما تؤيد احتمالاً قائمًا لا يمكن استبعاده، وهو إصابة الفرعون ببعض الأمراض الوراثية الغريبة (على أساس التطابق الجمجمى فى ملامح الأميرات).

وأخيرًا، هناك أيضًا احتمالان آخران لمرض أخناتون: إما أعراض متلازمة مارفان Marfan أو الإصابة بغشاء عنكبوتى فى الدماغ، وهى أعراض وراثية تنتقل autosamica dominante (ذاتيًا وبصورة مهيمنة؟)، أو أعراض مرض نقص فى نمو الأنسجة العضلية Steinert وهو أيضًا مرض وراثى ينتقل autosomica dominante، والتى تؤدى إلى أعراض خطيرة فى الجهاز العضلى والجهاز العصبى.

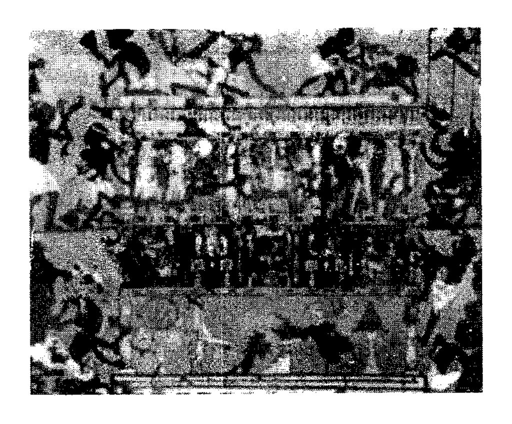
فيما يتعلق بعلم الغدد الصمَّاء أوضح "بول غليونجى" (١٩٦٤ـ ١٩٦٥م)، ثلاثة نماذج لتماثيل تم العثور عليها بالجيزة تعود لعصر الدولة القديمة يبدو عليها بروز فى حدقة العين قد يكون مرجعه إلى مرض بيزداو Basedow: تمثالان يصوران الأب "فيفى" Fefi والابن "تسين" Tesen، والتمثال الآخر وهو غريب يمثل ملامح يبدو عليها أعراض مرض ظاهر؛ الأمر الذى يجعلنا نفكر فيما نزع إليه "غليونجى" من أنه ورم حميد فى حدقة العين مع تقلص الجفن العلوى و Mixedema pretiliale. ومع ذلك، فإنه من الصعب أيضًا وضع افتراض تشخيصى يقوم على هذه الأسس الضعيفة، ولا يمكن التغاضى عن أى تعبير محلى أُطلق على هذه الحالة.

فى هذا الصدد، نجد أيضًا تمثال "عنخ إف" Ankhef (عصر الانتقال الأول)، والذى عُثر عليه بأسيوط ويوجد حاليًا بالمتحف المصرى بالقاهرة وهو الآخر يحمل نفس هذه السمات.



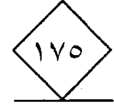
الجراحة وعلم دراسة الجروح

رأينا من قبل كيف كانت ممارسة الجراحة متقدمة على يد الكاهن الذى يطلق عليه "وعب سخمت"، وكانت تُمارَس بشكل أساسى لعلاج الجروح والصدمات. تعرفنا على مظاهر العلاج الجراحى فقط عن طريق المَشاهِد التى تمثل الختان، والتعبير عن إصابات العمل فى مشهد بناء منصة النعش المرسومة على مقبرة "إيبوچى" (رقم ٢١٧، الأسرة التاسعة عشرة) بدير المدينة حيث نلاحظ فى هذا المشهد عملية استخراج جسم غريب من العين، ومعالجة خلع بالكتف بنفس الطريقة الحالية التى ينصح بها "كوشير"، كما نجد أيضًا قدمًا بها رضوض بسبب سقوط مطرقة عليها من ارتفاع.



إصابات عمل على مقبرة "إيبوچى" رقم ٢١٧ بدير المدينة (الأسرة التاسعة عشرة).

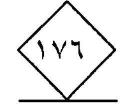
بالإضافة إلى هذه المشاهد، هناك منظر آخر يوضح علاج جرح أُصيب به أحد جنود رمسيس الثانى بأبى سمبل. فقد اتسمت تلك الحقبة بتعدد فرص الإصابات بالجروح سواء بسبب إصابات العمل، أو بسبب الجروح الناتجة عن الحروب. وبما أن علم دراسة أسباب كل هذه الحالات كان متميزًا ومتفردًا إلى حد كبير، فقد كانت العلاجات التى توصف بعيدة كل البعد عن تدخلات السحر والسحرة وهو ما تؤكده بردية "سميث". فى حالات الإصابة بالأمراض الناتجة عن عوامل داخلية ولم



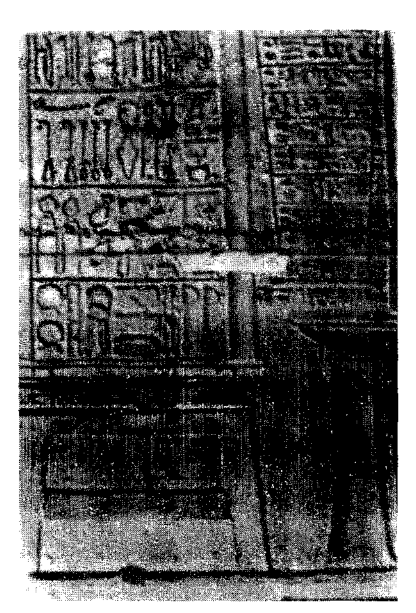
يُعرف لها سبب محدد؛ بل كان يتم إرجاعها إلى عوامل إلهية أو خارقة للعادة، كان العلاج يفقد مفعوله أحيانًا بسبب السحر.

على أية حال، لم نعثر على أى أثر لتدخل جراحى على المومياوات (رولنج)، كذلك أدوات الجراحة التى لم تُفدنا هى الأخرى بحقائق مؤكدة. لقد أثار النقش البارز فى معبد كوم أمبو والذى يعود للعصر الرومانى، كثيرًا من الجدل: يرى "نون"، أن الكثير من الصور يمكن تطابقها مع أدوات الجراحة مثل المسابر أو المشارط أسفل النقش من جهة اليمين، كما يمكن تطابقها كذلك مع حاملة أدوات الجراحة على الشريط السفلى وأدوات أخرى مثل الإسفنجة والجفت وبعض الضمادات. أما وجود ميزان، فلا يمثل بأية حال من الأحوال أحد المعطيات التى تخدم الأبحاث فى مجال علم الجراحة، حيث كانت مكونات الدواء تُجهز باستخدام مقياس بالسعة وليس بالوزن. من الممكن أن تُرى أيضًا بعض الكُلاَّبات (لخلع الأسنان؟)، وأدوات أخرى لاستخراج السهام، وبعض المشابك والمُبسطات أو المغارف الكبيرة والمناشير، وقد نجد أيضًا أدوات للكى.

كما تم العثور على مجموعة من الإبر المصنوعة من النحاس والفضة وكذلك الذهب، وقد أشار إليها "نون". أعاد "ليكا"، تصنيع حقيبة طبيب العيون ولكنها كانت إحدى الأدوات المستخدمة فى العصر القبطى العربى. بعض أدوات الجراحة المزعومة كانت تشكل جزءًا من المجموعة الصغيرة للبروفيسور "بول غليونجى"، والبعض الآخر تم العثور عليه فى مصطبة "قار" الذى أشرنا إليه سابقًا.

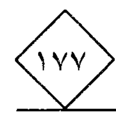


فى الكثير من الحالات ـ كما سنرى فيما بعد ـ ورد ذكر خياطة الجُرح فى البرديات. كلمة وبنو Uebenu تعنى: جُرح، أما إذا كان هذا الجُرح غائرًا ومفتوحًا فيُطلق عليه كفت Uebenu Kefet. كان يُنصح فى هذه الحالة باستخدام علاج مكون من ضمادات بها زيت وعسل ولحم طازَج. لم تكن الإصابة بالجروح قليلة وبعض الحالات تم وصفها فى بردية سميث (٤١، ٤٧): "*إذا قمت بفحص مريض يعانى من جُرح ملوث بالصدر وكان هذا الجرح ملتهبًا ويخرج إفرازات بصفة مستمرة وخاصة عندما تضغط عليه، تجد أن شفرتَى الجرح حمراوان تعقبها إصابة المريض بحمى ولم يستطع جسده على أثرها تقبُّل التضميد ولم تستطع شفرتا الجرح أن تندملا، وأصبحت الإفرازات على فوهة الجرح جافة، ثم يحترق الجرح ويُسيل رُكامًا من الدهون ..*" (سميث ٤١). يوضح لنا هذا الوصف كما نرى أعراضًا قديمة شائعة (رعشة، حرارة، وآلامًا)، وهى أيضًا أعراض عامة (حُمَّى)، لكثير من إصابات التقيح.

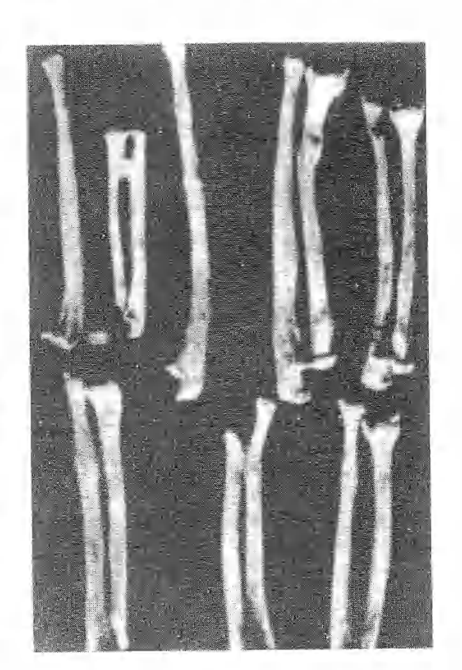


نقش بارز من معبد كوم أمبو (العصر الرومانى)، ويظهر به صور لمجموعة من الأدوات المختلفة، قد يكون من بينها أدوات طبية تتعلق بالجراحة.

إحدى حالات الإصابة بالداحوس (دوحاس) تبدو واضحة فى هذه الوصفة الطبية التى وردت فى بردية إيبرس (٦١٧): "*إذا وجدت*



إصبع يد أو إصبع قدم مصابة، وهما ممتلئتان بالقيح ولهما رائحة كريهة وتفرزان يرقات(؟!) (*) *يجب أن تقول:"إنها حالة مرضية أستطيع علاجها. ثم تقوم بإعداد العلاج اللازم للقضاء على ديدان Sep، ويتكون من: سلفور (نطرون) الزرنيخ من صعيد مصر ١/٣٢ + سلفور الزرنيخ من مصر السفلى (الوجه البحرى) ١/٣٢ + زيت (زباد) Sefet ١/٨. يُسحق الخليط معًا ثم يوضع فى ضمادة لتضميد الجرح بها"*. من الصعب جدًا إعطاء تفسير لكلمتَىْ "يرقة" و"ديدان" وما علاقتهما بالأمر (وهما بالترتيب sa و sep). ربما يتعلق الأمر بمرض Miasi (عدوى تصيب الإنسان من يرقات البعوض).

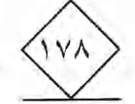


نماذج لبعض الكسور فى عظام الساعد وقد تم الشفاء منها (بردية سميث ـ ١٩٠٨م).

يرى "نون" أن الوصفة الطبية رقم ٥٥٢ من بردية "إيبرس" تضيف دهن ثور حتى يتسخ الجُرح، مقارنة بحالة "التقيح الحميد" التى تصيب المريض فى مرحلة ما قبل تناول المضادات الحيوية. وحتى يُدمل الجرح وصف أيضًا عيش الشعير المتعفن.

ذكرت البرديات الطبية نوعيات مختلفة من السكاكين، مثل (دس des ـ خيت khepet

(*) علامة التعجب هذه إشارة لعدم فهم الكلمة وغموضها وعدم ملاءمتها للموقف.



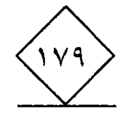
- ساس shas - همم hemem)، وحتى وإن لم تتضح التفرقة بينهما فى الاستخدام. غالبًا ما كان يتم استخدام عملية الكَىّ (سميث ٣٩)، إما باستخدام حد السكين المحتدم (المتلظِّى) أو باستخدام نصل المثقاب أو باستخدام القوس (كورتو، ١٩٧٠م).

كانت كسور الساعد شائعة جدًا وخاصة الناتجة عن عقوبة الضرب المستمرة، وهو ما يمكن ملاحظته ليس فقط فى النقوش البارزة وفى جداريات المقابر؛ ولكن أيضًا من خلال ما تم العثور عليه من بقايا آدمية.

فى أحد أبحاثه، أوضح "چونز"، أن أكثر من ٣٠% من الكسور هى كسور فى عظام الزند والكعبرة (وهو ما أكده مؤخرًا كل من Macke و Macke-Ribet). تم العثور أيضًا على عيدان خشبية ملفوفة بالكَتَّان فى بعض الأحيان: حيث وجدت ذراع مكسورة لمومياء وتمت معالجتها بعيدان خشبية، وتوجد حاليًا بالمتحف المصرى بتورينو (كورتو، ١٩٩٤م).

تُعد جمجمة الملك "سقنن رع"، وهو بطل حرب التحرير ضد الهكسوس (الأسرة السابعة عشرة)، من أبرز القطع الأثرية التى عُثر عليها حيث تبدو بها كسور متعددة فى الجمجمة ناتجة عن الإصابة ببلطة ورمح .. شكل هذه الجمجمة يوضح مدى المأساة والمعاناة التى عاشها الملك فى لحظات الموت.

أظهر أحد الأبحاث التى أجراها مؤخرًا كلٌ من "فليمنج"، و"فيشمان" أن ثمة عملية بسيطة أُجريت له وهى عبارة عن عملية كَىّ عَظْمىّ حول أكبر الجروح، وعليها لا بد أن يكون هذا المسكين قد بقى فى قيد الحياة بعض الوقت.

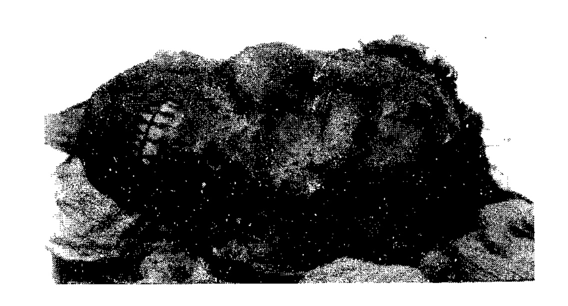


دليل آخر على تعدد الجروح الناجمة عن المعارك عثر عليه "وينلوك" في إحدى المقابر العامة بالدير البحرى، وهى لجنود عصر الملك "منتوحتب الثانى - نب حبت رع" (الأسرة الحادية عشرة): ظهر على أجسادهم جروح عدة بعضها حدث فى وقت سابق قبل الوفاة؛ مما يؤكد أنهم قد تلقوا بالفعل علاجًا (كورتو، ١٩٩٤م).

وتُعد الفقرة العنقية التى عثر عليها "فيرث Firth" فى إحدى الجبانات النوبية وتعود إلى الدولة الحديثة هى الأكثر إيحاءً وموضوعية؛ حيث اخترق سن أحد السهام تلك الفقرة العنقية اختراقًا شبه تام ووصل إلى النخاع.

تشير البرديات إلى أن إصابات الجروح تمت معالجتها كما تؤكد ذلك بردية سميث (٤٨ حالة من الرأس إلى الجذع)، ولكن هناك فقرات أخرى فى بردية "إيبرس" تشير إلى إصابات أخرى تستلزم تدخلاً جراحيًا. وسنرى الآن بعض الأمثلة.

- الحالة رقم (٨) من بردية "سميث" تتعلق بكسر فى الجمجمة دون حدوث جرح؛ حيث يعانى المريض من صعوبة فى الحركة من الجهة الموازية للإصابة، حيث إن الخلايا العصبية المحركة تتلاقى عند جذع المخ بمستوى



جمجمة الفرعون "سقنن رع" (الأسرة السابعة عشرة)، مات وهو يقاتل فى حرب التحرير ضد الهكسوس، يبدو عليها الإصابة بالكثير من الجروح الناجمة عن بَلْطة ورُمْح.

النخاع ثم تنتهى على الجانب المقابل للجسد. هذه الظاهرة يمكن تفسيرها على أنها إصابة عكس الاتجاه (عكس الجُرح). فى كثير من حالات الإصابة بكسور الجمجمة يحدث نزف دموى من فتحتَى الأنف ومن الأذنين.

- مثال آخر من أمثلة كسور الجمجمة تحدثنا عنه مسبقًا عند وصف مرض الكُزَاز فى نفس البردية.

- أحيانًا أخرى تظهر كلمة "نخب خب nekhebkheb"، يرى "برستد"، أنها تعنى "الفرقعة" وهى دليل على وجود كسور عظمية. أما تصلُّب العنق، فهو إشارة إلى الإصابة بالالتهاب السحائى.

- أما الفقرة رقم ٣١، فتوضح جليًا حجم التعقيدات المتعلقة بالجهاز العصبى: "*إرشادات تتعلق بانفكاك فقرة من عنق المريض. عند إجراء الكشف على رجل يعانى من انفكاك فى إحدى فقرات العنق وتكتشف أنه لم يعد يتحكم بعد فى ذراعيه وقدميه بسبب هذا (شلل رباعى)، فى الوقت الذى ينتصب فيه عضوه الذَّكَرِىّ لنفس السبب ويتبول على نفسه لا إراديًا (انتصاب مع ارتخاء فى عضلة المثانة)، فقد تشبع جسده بالهواء وامتلأت عيناه بالدماء (نزف دموى تحت الملتحمة).. وإذا كانت الفقرة الرابعة فى عنقه قد انخلعت، فسوف يقذف الحيوانات المنوية (حيث إنه قد فقد السيطرة على جهازه التناسلى)، إنه من الأمراض التى لا يمكن الشفاء منها*".

- الحالة رقم ٣٣ توضح أيضًا حالة اللاوعى التى تصيب المريض بسبب كسر فى الفقرة العنقية.

- الحالة رقم ٢٥ تشير إلى التخفيف من حدة انفكاك الفك باتباع الآتى: "*إذا فحصت رجلاً يعانى من انفكاك فى فكه، تجد*



أن فمه يظل مفتوحًا ولم يستطع أبدًا غلق فمه، عندئذ عليك أن تضع إصبعَى الإبهام أقصى جانبَى الفك داخل الفم.. بينما تضع إصبعيك الأخريين تحت ذقن المريض، ثم تقوم بالدفع للخلف (جانبَى الفك)، هكذا يعود الفك لوضعه..".

– الحالة رقم ٣٥ تتعلق بكسور فى عظام الترقوة: "*.. تضع المريض مستلقيًا على ظهره مع انحنائه بعض الشيء ما بين لوحَى الكتف .. ثم تقوم بالضغط على كتفيه (أى تقوم بجذب الكتفين) بطريقة تسمح بعودة عظمة الترقوة للخارج، وتستمر فى ذلك إلى أن تقل حدة الكسر. ثم تقوم بإعداد عودين من الخشب الملفوف بالكتَّان، ثم تثبت كل عود منهما على جانبَىْ ذراعيه .. ثم تقوم بعلاجه بعد ذلك بإمرو imeru، على أن يتناول العسل يوميًا إلى أن يُشفى*". هنا فى هذه الحالة يبدو استخدام عيدان الخشب شيئًا حتميًا لا يقبل المناقشة.

– أما الفقرة التالية والتى تحمل رقم ٣٦، فتقدم لنا علاجًا لكسور عظام العضد: "*إذا فحصت رجلاً يعانى من كسر فى عظام العضد، فسوف تجد العضد متدليًا وينقسم إلى جزءين. عليك أن تقول بهذا الشأن، إنها حالة مريض مصاب بكسر فى العضد، وهو مرض يمكننى علاجه. تقوم بوضع المريض مُمددًا على ظهره على الأريكة وهو منحنى المنكبين.. ثم تقوم بالضغط على كتفيه لاستطالة العضد إلى أن تلتئم الكسور وتعود إلى وضعها الطبيعى. عندئذ تقوم بإعداد عودين من الخشب الملفوف بالكتَّان. تثبت أحدهما فى العضد والآخر أسفل منه. بعد ذلك، تبدأ مرحلة العلاج بإمرو imeru، ثم تقوم بعلاجه بعد ذلك بتناول العسل يوميًا إلى أن يتماثل للشفاء*".



- الحالة رقم ١٠ تشير إلى جُرح فى منطقة ما فوق الحاجبين وتزودنا ببعض التفاصيل الفنية: "*إذا قمت بالكشف على رجل يعانى من جُرح فوق أحد حاجبيه وكان هذا الجرح غائرًا ويصل إلى العظم.. عليك أن تتحسس الجرح ثم تحاول أن تقرب بين طرفى الجرح عن طريق خياطته.. بعد ذلك تقوم بتضميد الجرح باستخدام قطعة لحم طازجة وذلك فى اليوم الأول. إذا وجدت أن خياطة الجرح قد ارتخت، عليك أن تعاود التقريب مرة أخرى بين طرفى الجرح باستخدام شريط لاصق، ثم تقوم بعد ذلك بعلاجه بالدهن والعسل يوميًا إلى أن يتماثل للشفاء*".

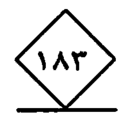
- الفقرة رقم ٢٨ تشير إلى الجروح الغائرة، مثل جرح مفتوح فى الجزء الأمامى من الرقبة.

- تنتهى بردية "سميث" تقريبًا عند منتصف الحالة رقم ٤٨ والتى تتعلق بجرح فى العمود الفقرى مع آلام شديدة تمتد حتى القدمين، ربما يكون بسبب ضغط العصب الناتج عن ضغط إحدى الفقرات القطنية بالعمود الفقرى.

- الفقرة الأخيرة من بردية "إيبرس" تعالج أنواعًا مختلفة من التورمات أو الأورام التى يمكن علاجها هى الأخرى عن طريق التدخل الجراحى. لقد أشرنا سابقًا إلى فتق سُرى عند الحديث عن الإسكستوز.

- حالة استسقاء بالبطن تم علاجها باستخدام السكين "همين" hemem (إيبرس ٨٦٥).

- باستخدام نفس السكين أيضًا تم علاج حالة تورم بالأوردة (رقم ٨٦٦).



- باستخدام نفس السكين (على أن تكون محتدمة)، تم علاج حالة ورم بالجلد (الفقرة رقم ٨٧٢).

- الفقرة رقم ٨٧٣ من بردية "إيبرس" ربما تتعلق بورم متشعب بالجلد (حيث تبدو عقد كثيرة على الجلد)، وهى حالة ليس لها علاج سوى تعويذة سحرية.

- استئصال جراحى تم استخدامه أيضًا فى حالة "ليبوما"، وهو نوع من الأورام الدهنية غير الخبيثة (الفقرة رقم ٨٦٧).

- ما بين جرحين حادين (٨٦٩ و ٨٧١) يبدو (٨٧٠) كيس جلدى فى فروة شعر الرأس.

- حالة ورم دموى تم علاجها باستخدام سكين محتدمة (حامية) (الفقرة رقم ٨٧٦).

- ما زلنا مع بردية إيبرس الفقرة رقم ٦٠٤، والتى تشير إلى حالة انحناء بالركبة تم علاجها باستخدام أربطة مع قش يتم غربلته ووضعه فى الماء وعمل معجون (خليط يبدو أنه تم تجميده ثم تجفيفه).

فى المعرض الذى أقيم احتفالاً بمئوية المتحف المصرى بالقاهرة، تم عرض قطعة أثرية على جانب كبير من الأهمية الطبية، تم العثور على هذه القطعة عام ٢٠٠٠م على يد بعثة آثار ألمانية برئاسة "أنطونيو لوبرينو Antonio Loprieno": فهى عبارة عن قدم مومياء تم العثور عليها بمقبرة "مرى" (إحدى مقابر طيبة رقم ٩٥)، وهو الكاهن الأكبر لأمون أثناء حكم الأسرة الثامنة عشرة. هذه القدم أُجريت لها جراحة ترقيعية بتثبيت إبهام من الخشب فى القدم المصابة عن طريق مفصل تم ربطه برباط. ومن المحتمل أن تكون هذه العملية أُجريت فى حياة المصاب،

كما تدل على ذلك أيضًا عملية الكَيّ الناجحة التى أجريت على الجُرح الناتج عن عملية البتر.

جراحات الجمجمة (التَّربنة)

لم تُشر البرديات إلى ما يفيد ممارسة مثل هذه الجراحات على الرغم من التوثيق لها بفلسطين (أريحا)، إلا أنه لا يوجد أى دليل على وجودها فى الحقبة الفرعونية. على أية حال، أشار "پول غليونجى" فى عام ١٩٦٥ إلى جمجمتين بمتحف التشريح بكلية الطب بالقاهرة، الجمجمة الأولى تخص الأميرة "ميريت أتن" (الأسرة الثانية عشرة) بينما الأخرى لطفل صغير؛ يبدو بالجمجمتين ثقوب قد تكون بسبب عملية تربنة أُجريت لهما؛ ولكن الالتئام التام لأطراف الثقوب يدل على أنهما ظلا فى قيد الحياة فترة من الوقت بعد إجراء العملية.

أمراض الأنف والأُذُن والحنجرة

أشارت البرديات إلى الإصابة بالتهاب الأُذُن، وها هو مثال على ذلك: "*علاج آخر لإصابات الصديد setet (آلام عضوية حادة؟) فى الأذن عبارة عن إكليل الملك "مليلوتو" (melliloto). قم بعمل دهون (مرهم)، يتكون من راتنج (شجر اللادن)، ثم قم بوضعه فى أذن المريض*" (برلين ٢٠١). بصفة عامة، يتم وضع العلاجات عن طريق قناة السمع الخارجية.

تشير بردية سميث (الحالة رقم ٢٣) إلى علاج جرح فى الأذن، ولكن الحالة رقم ١١، وهى التى سنتوقف عندها، تتعلق بجرح فى عمود الأنف: "*إذا فحصت شخصًا يعانى من جرح فى*



عمود الأنف، عندما يبدو على أنفه تشوه مع وجود انخساف(؟) مع وجود ورم ونتوء ونزف من طاقتى الأنف.. عليك إذًا أن تقول: إنها حالة لمريض يعانى من كسر فى عمود الأنف، وهى إصابة يمكننى علاجها.. قم بتنظيف الأنف باستخدام فتيلتين من الكَتَّان، ثم تضع فتيلتين أخريين مبتلتين بالزيت داخل فتحتى الأنف ويظل على هذه الحالة إلى أن يختفى الورم. بعد ذلك قم بتثبيت لفائف صلبة من الكتان على أنفه تساعد على الحفاظ عليه ثابتًا. وأخيرًا، قم بعلاجه بالدهن والعسل والكتان النباتى إلى أن يتماثل للشفاء".

أما فيما يتعلق بما أُطلق عليه فى وقت من الأوقات أذن التعبد العديدة أو اللوحات الجنازية التى تصور الأذن، فلم تكن تتعلق بعبادة أو صلاة سابقة تُقام للشفاء من التهابات عضو السمع؛ ولكنها كانت تمثل ما يشبه أذن الإله الذى يسمع صلاة المُتوفَّى ودعاءه. وهناك تفسير آخر وهو أن هذه الأُذُن كانت أذن المتوفى حتى يستطيع أن يستعيد قدرات حواسه (ليكا).

أما المعلومات المتعلقة بالبقايا التشريحية فهى قليلة جدًا: التهابات بالأذن الوسطى مع ثقب بالصدغ عثر عليها بينتى Bentiez فى إحدى المومياوات التى تعود للعصر البطلمى. كما تم اكتشاف حالات محدودة من التهاب بالخُشاء (العظم الناتئ خلف الأذن) عن طريق بعض الباحثين، منهم (سميث، وداوسون وهما من أشارا إلى تدمير خلوى وتشرب بالعظام).

أظهر Moodie عن طريق الأشعة (الراديولوچى) التهابًا بالخُشاء تم الشفاء منه فى إحدى المومياوات التى تعود إلى عصر ما قبل الأسرات، وتوجد حاليًا فى متحف شيكاغو. أما "رولنج"، فقد أثار الشكوك حول بعض القطع الأثرية، فهو يرى أن



هذه الجروح يمكن أن تكون قد نجمت بسبب وجود حشرات على المومياوات.

جراحات الحنجرة

افترض "ڤيكنتيف Vikentieff" أن ما تم تصويره على القطعتين الصغيرتين من العاج (القطعة الأولى تعود إلى الأسرة الأولى وتخص فترة حكم الملك "عحا Aha" وعُثر عليها بأبيدوس، والثانية للملك "چر Djer" وعُثر عليها فى مقبرة "حما ـ كا" [Hemaka] بسقارة)، افترض أنهما تمثلان عملية جراحية لإجراء شق بالحنجرة.

أما نحن، فنؤكد ما اتفق عليه مجموع العلماء (وإن كان رأيًا يشوبه قليل من الشك)، من أنهما تمثلان أحد طقوس التضحية لأحد السجناء (حيث إن يديه خلف ظهره كما لو كانتا مكبلتين)، وربما يكون أثناء الاحتفال بيوبيل الحاكم (العيد: "سِدْ").

أمراض النساء والتوليد

خُصص الجزء السادس من ميثاق الطب الذى تحدث عنه "كليمنت" لأمراض النساء. ولكن لم يذكر الطب المصرى القديم مصطلحًا يحدد اسم المتخصص فى هذا النوع من الطب، وكذلك التى تقوم بعملية الولادة (القابلة). على أية حال، كان يشهد عملية الولادة مجموعة من السيدات، ومن المفترض أن بعضهن كن خبيرات فى هذا المجال المتخصص. هناك العديد من المَشاهِد على المعابد تمثل عملية الميلاد مثل ولادة "كليوپاترا" بأرمنت (وهى مفقودة حاليًا)، كذلك منظر الولادة بحضور الإلهة "حتحور"



بدندرة. عند ظهور الرأس تُعد فى هذه الحالة ولادة طبيعية، كما تؤكد ذلك أيضًا الكتابات الهيروغليفية التصويرية، وهو ما يتضح أيضًا من شكل الفعل ميزى mesi، أى "يُولد". كما عُثر فى المقابر على العديد من التماثيل الصغيرة التى كانت تُستخدم كتعاويذ تساعد على الخصوبة وتسهل عملية الولادة أُطلق عليها "العشاق" أو "الأخلاَّء" (يونكر، ١٩٥٥م): وهى عبارة عن أشكال صغيرة أنثوية، وغالبًا ما تكون مصحوبة بصورة طفل. مثال على ذلك ما اكتشفه كلٌّ من "سانديسون"، و"ويل" بدير المدينة ويعود إلى الأسرة الثامنة عشرة.



مومياء تعود لعصر ما قبل الأسرات وهى لامرأة شابة تضع مولودها، مع وجود سقوط بالمهبل وبالرحم أثناء خروج الجنين (من جبلين، متحف الأنثروبيولوجى بتورينو).

قبل أن نغوص معًا فى أعماق الشواهد الكتابية، من الضرورى الإشارة إلى أنه عن طريق تحليل البقايا البشرية لوحظ وجود اختلافات طفيفة بين الإناث والذكور فى مصر الفرعونية حيث تميزت النساء بصِغَر أبعاد الحوض مع ارتفاع مستوى



البطن وضيق فى الحوض خاصة عند المدخل، وهذا بدوره كان يؤدى إلى عملية ولادة متعثرة وطويلة وشاقة للمرأة الحامل.

يوجد بمتحف معهد الأنثروبيولوچى بتورينو قطعة أثرية نادرة: لمومياء تم تحنيطها طبيعيًا تعود لعصر ما قبل الأسرات اكتُشفت فى منطقة "الجبلين"؛ هذه المومياء لسيدة شابة نُفساء وتوجد حاليًا بحالة ممتازة وبجانبها هيكل عظمى لوليدها، ويبدو عليها سقوط بالمهبل والرحم بسبب تدمير حاد لفتحة الفرج مع خروج الجنين. كما عثر كل من "سميث"، و"ديرى"، على قطعة أثرية مشابهة لامرأة نوبية ماتت أثناء الولادة، مع كِبَر حجم الجنين بشكل يعوق خروجه. كما أشار هذان العالمان أيضًا إلى حالة وفاة قاسية لفتاة حُبلى تبلغ من العمر ستة عشر عامًا، وقد افترضا أنها حالة حمل غير شرعى. أما الأميرة "حيحنحيت Hehenhit" (الأسرة الحادية عشرة)، فقد تُوفِّيت هى الأخرى بعد الولادة بلحظات قليلة بسبب ضيق الحوض ووجود ناسور مثانى مهبلى.

ما زلنا عزيزى القارئ مع البقايا البشرية فيما يتعلق بأمراض النساء والتوليد؛ حيث وجدت حالة ورم ليفى حميد بالرحم فى سيدة بإحدى مقابر "سيالة" بالنوبة، كما توجد حالة أخرى يحتمل إصابتها بسرطان المبيض، وهى لمومياء توجد حاليًا بالمتحف البريطانى.

وباستعراض الشواهد فى البرديات ها هو مثال ورد فى بردية (إيبرس ٨٠٠)، يُعد واحدًا من العلاجات المتعددة التى وُصفت لتسهيل عملية الولادة: "*علاج آخر لتحرير طفل يوجد داخل* جسد



امرأة: ملح بحرى (١)+ قمح (١)+ شراع أنثى female sedge [*] *(؟) (١). يُعالج البطن بهذا الخليط".*

ولعلاج التهابات الرحم، ذكرت بردية إيبرس رقم ٨٢٣ هذه الوصفة: "*علاج آخر لالتهابات الرحم عبارة عن: نبات حب الخِلَّة (١) + عسل (١) + عصير خروب (١) + لبن. يُصفى هذا الخليط ثم يوضع داخل الرحم*".

أما الوصفة رقم ٧٨٩ من البردية ذاتها، فقد ذكرت المرحلة الأخيرة من الولادة: "*علاج يساعد على نزول مشيمة السيدة: نشارة خشب الأرز توضع فى حثالة، ثم يُغطَّى بها قالب الطوب المكسو بالقماش وعليك أن تجعل السيدة تجلس عليه*".

هناك مجموعة شهيرة من الوصفات فى البرديات الطبية تتعلق باكتشاف حالة الحمل (بتوقع الحمل). إحدى هذه الوصفات على وجه الخصوص قد استرعت انتباه الدارسين: "*وسيلة أخرى لاكتشاف ما إذا كانت السيدة حاملاً أم لا، عليك أن تضع حبوب القمح والشعير على قطعتين من القماش على أن تقوم السيدة بالتبول عليهما يوميًا، كما يوضع كذلك البلح والرمل فى القطعتين. إذا أنبتت البذور فى كليهما كانت السيدة حاملاً، وإذا أنبت الشعير أولاً تكون السيدة حاملاً فى ذَكَر، وإذا أنبت القمح أولاً كانت السيدة حاملاً فى أنثى. وإذا لم ينبت أىٌّ منهما كانت السيدة غير حامل*" (برلين ١٩٩).

استخدم "پول غليونجى" و"كول" عام ١٩٦٣م هذه التقنية عن طريق البذور المُعالَجة ببول الذكور أو الإناث غير الحوامل فلم

(*) فى رأى پول غليونجى ص٢٠٤: نبات الحلفاء.



ينبت أىٌ من البذور، بينما أسفرت أربعون عيِّنة لسيدات حوامل عن نمو إحدى البذور أو كلتيهما معًا فى ثمانٍ وعشرين حالة. ولكن هذه التجربة يمكن أن تكون لها نتائج إيجابية فى تحديد جنس المولود، وقد أسفرت تحديدًا فى سبع حالات فقط. من الواضح أن الهرمونات التى يحتوى عليها بول السيدة الحُبلى، تتمتع بخاصية إنبات بعض البذور النباتية.

أما هذه الوصفة فقد عثر عليها فى صيدلية (heilsame dreck apatheke) (وهى صيدلية تحتوى على بعض المواد العلاجية)، لصاحبها فرانز پاولينى Franz Paullini عام ١٩٦٦م: "هكذا تكلم "پيتر بوير": اعمل حفرتين فى الأرض، ضع فى الأولى بذور الشعير، وفى الأخرى بذور القمح ثم اسكب عليهما بول سيدة حامل ثم اردم عليهما. إذا نما القمح قبل الشعير كان المولود ذكرًا، ولكن إذا نما الشعير أولاً تضع السيدة مولودًا أنثى" (يُلاحظ هنا أن توقع جنس المولود مغاير وعكس ما سبق).

كتابات أخرى مشابهة نجدها فى أعمال القرن السادس عشر لـ"يعقوب روف"، و"ألبرتو مانيو"، و"أنطونيو جوانيرو"، ولكن من هو "پيتر بوير"؟ قال عنه "إيڤرسون" إنه الطبيب الشهير لمدينة فلورنسا فى القرن السادس عشر، وهو مؤلف كُتَيِّب "ڤاديميكم vademecum" والذى يحتوى على وصفة "پاولينى" التى ورد ذكرها سالفًا. تمت دراسة مصادر طبيب فلورنسا فى مدرسة "ساليرنو"، ولكن "إيڤرسون" أكد أن المصادر تعود إلى الأدب الإغريقى حيث عثر فى أحد النصوص الطبية المجهولة على وصفة طبية مطابقة تمامًا من الناحية العملية. ومن المحتمل أن تكون هذه الوصفة قد وصلت إلى أوروبا عن طريق "بيزانسيو".

وأخيرًا، ظهرت أيضًا فى الكتب الصغيرة بإنجلترا "القابلة الخبيرة" "The experienced midwife" مع قليل من التعديل: "إنها لدى الراعى العجوز توماس ورفاقه حيث وجد فى حكمة القدماء المصريين ملاذه الأخير".

وصفة طبية أخرى ورد ذكرها فى بردية برلين رقم ١٩٦ وبردية كاهون رقم ٢٦، تعتمد على الكشف على الأوعية الدموية بثدى المرأة: حيث إن تمدد الأوردة يُعد أحد المؤشرات التى تنذر بحدوث الحمل (يرى أبوقراط أن ارتخاء الثدى علامة على إجهاض مبكر).

هناك طرق أخرى مختلفة نصحت بها إحدى الوصفات الطبية (برلين رقم ١٩٣): *"وسيلة أخرى للتفرقة بين امرأة حُبلى وأخرى ليست كذلك: بطِّيخ، يُطحن ثم يُخلط مع لبن سيدة أنجبت من قبل مولودًا ذكرًا ثم يُصنع منه عقار للبلع، تبتلعه السيدة، إذا تقيأت تكون حاملاً أما إذا أخرجت ريحًا فلن تحمل مطلقًا"*. هذه الوصفة تشبه إلى حد كبير وصفة أبوقراط المكونة من المشروب الكحولى المعالَج بالعسل (Aph الخامس، ص٤١): "هل تريدون معرفة إن كانت السيدة حاملاً أم لا؟ عندما تستلقى فى الفراش ودون أن تتناول وجبة العشاء، أعطوا لها شراب الكحول بالعسل، إذا أصابتها آلام بالبطن فهى إذًا حُبلى، وإن لم يصبها شىء فهى ليست حُبلى".

وسيلة أخرى اتبعها أبوقراط فى معرفة مدى خصوبة أو عدم خصوبة السيدات (الجزء الثالث، ص٢١٤)، وهى باستخدام فص من الثوم: "وسيلة للتفرقة بين سيدة سوف تنجب وأخرى ليست لديها القدرة على الإنجاب: عليك أن تضع فصًا من الثوم مبللاً

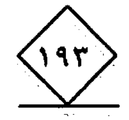


فـى مهبـل السـيدة طـوال الليـل وحتـى الفجـر، فـإذا شـعرت السـيدة بطعم أو رائحة الثوم فى فمها فهى إذًا تكون قادرة على الإنجاب، وإن لم تشعر بشىء فلن تنجب مطلقًا".

وأخيرًا نلاحظ طريقة أخرى لتشخيص الحمل: "*وسيلة أخرى للتفرقة بين سيدة لديها القدرة على الإنجاب وأخرى غير قادرة علـى الإطلاق؛ تُبخر السيدتان بفضلات فرس النهر، إذا تقيأت إحداهما مباشرة فلن تكون لديها القدرة على الإنجاب، أما إذا امتلأت البطن بالغازات وخرجت من المؤخرة فتكون قادرة على الإنجاب*". هذه الطريقة استخدمها أيضًا أبوقراط ولكن بالاستعانة بمواد عطرية.

أما إرضاع الوليد فقد امتد لثلاثة أعوام من عمره. كما اعتنى القدماء المصريون بنوعية اللبن الذى احتفظوا بـه غالبًا فـى أوانٍ على شكل إنسان وكذلك على شكل الإلهة "تاورت" التى صُوِّرت على هيئة فرس النهر وهـى حامية المرأة النُفساء. كان لبن الأم التى وضعت مولودًا ذكرًا يحظى باهتمام خاص. وإليك عزيزى القارئ مثالين يدلان علـى تقدير نوعيـة لبن الأم: "*وسيلة أخرى للتعرف على نوعية اللبن السيِّئ: فقد تلاحظ أن رائحته مثل رائحة السمك الفاسد*" (إيبرس ٧٨٨). "*طريقة للتعرف على نوعية اللبن الجيد: فإن رائحته تشبه رائحة طحين الخروب (أو بالأحرى مثل رائحة المن*" (إيبرس ٧٩٦).

والشىء الذى يثير الفضول هذا الحدس فى توقع مدى حيوية الوليد (إيبرس ٨٣٨): "*للتنبؤ بمصير الطفل يوم ولادته.. إذا قال "نـى Ny" فإنـه سيعيش، وإذا قال "مبى emby" فسيكون مصيره الموت*".



هناك أيضًا وصفات لمنع الحمل (إيبرس ٧٨٣): "*تجنب حمل المرأة فترة من الزمن تتراوح بين عامين أو ثلاثة أعوام: جزء من الصمغ، حنظل (أو خروب)، بلح. يُطحن الخليط جيدًا ثم يُمزج بالعسل ثم يوضع على ألياف ويتم إدخاله في المهبل*".

أما فيما يتعلق بأمراض النساء، فنجد وصفات توضح بعض الأمراض، على سبيل المثال:

- (إيبرس ٨١٢): "*علاج للقضاء على الصديد في الرحم يتكون من: أوراق القات، يتم تجفيفها ثم توضع في بيرة ذات نوعية ممتازة، ثم يُدهن به البطن ومنطقة العانة*".

- (إيبرس ٨٢٨): تشير إلى علاج آلام الحيض الشديدة: "*علاج لنزول دم الحيض لدى المرأة يتكون من بصل onion (١) + نبيذ (١)، يُمزج الخليط ثم يوضع في المهبل*".

- (إيبرس ٨٣٣): تشير إلى علاج لحالة انقطاع الطمث لدى سيدة منذ عدة سنوات يتكون من: "*حبات العرعر ١/٣٢ + كمون ١/٦٤ + راتنج البطم ١/٦٤ + جذمور ١/١٦، يُضاف إليها اللبن ٨٠ رو، ثم يوضع الخليط على النار مع نخاع عظمي لثور، ثم يوضع في اللبن وتتناوله السيدة كشراب لمدة أربعة أيام متتالية*".

- مرض التهاب الثدي أشارت إليه بردية إيبرس رقم ٨١٠: "*علاج آخر لآلام الثدي يتكون من: كلامينا (سليكات الزنك) (١) + مرارة ثور (١) + براز ذبابة (١) + مَغرّة (أكسيد الحديديك المائي) (١)، يُمزج الخليط ويُدهن به الثدي لمدى أربعة أيام*". هذه الوصفة أعقبتها وصفة أخرى (إيبرس ٨١١)، تعتمد على السحر وتشير إلى إفرازات دموية من الثدي، قد تكون حالة إصابة بسرطان الثدي.

- على ذكر السحر، نذكر حالة تدلِّى الرحم (إيبرس ٧٩٥): *"علاج آخر لإعادة الرحم إلى وضعه الطبيعى يتكون من: (ibis) إبيس الشمع يوضع على شفرتى المهبل بطريقة تسمح بدخول الدخان داخل المهبل".*

- سرطان الرحم، وهو التشخيص الأكثر توافقًا مع هذه الحالة (كاهون ٢): *"تعليمات يجب اتباعها عندما تشعر سيدة بآلام فى الرحم أثناء المشى .. عليك أن تقول فى هذه الحالة: ما الرائحة التى تنبعث منك؟ إذا أجابتك بأنها رائحة اللحم المشوى، فقل على الفور إنها حالة إصابة بمرض "نمسو" بالرحم. وها هى الوصفة التى يجب أن تقوم بعملها: بخِّر السيدة بجميع أنواع اللحم المشوى؛ وخاصة النوع الذى تنبعث رائحته منها".* إنه علاج يقوم على أبسط أنواع السحر.

- نلاحظ أيضًا وصفة أخرى لعلاج أمراض الفرج (إيبرس ٨١٧): *"علاج آخر لأحد الأمراض التى تصيب شفرة الفرج يتكون من ثوم(؟) + مغرة (١) + صمغ نشادرى (١) + راتنج البطم (عصير السنط) (١) + ورقة من شجر الطلح (١) + نخاع شوكى لثور (١) + قش الحصير (١) + ماء (١)، يُمزج الخليط معًا ثم يُحقن به فَرج المريضة".*

عند هذا الحد يجب أن نضع فى الاعتبار أمرين:

أولاً: بعض مكونات هذه الوصفات مثل قش الحصير لها أسماء غريبة ومستهجنة يصعب علينا مطابقتها على واقعنا اليوم.

ثانيًا: نجد هنا استخدام العلاج بالحقن المهبلى عن طريق بعض الأدوات المُصنعة على شكل قرن، وبعض هذه الأدوات تم استخدامها أيضًا كحقن شرجية (غليونجى، ١٩٦٥). ومع ذلك،



فإنه من الواضح أن عشوائية استخدام هذه الأدوات الطبية بهذا الأسلوب عرَّض السيدات لكثير من العدوى المستمرة؛ بسبب عدم وجود الظروف الملائمة لتعقيم هذه الأدوات.

نختتم هذا الاستعراض السريع بهذه الوصفة العلاجية المثيرة للدهشة، وهي باستخدام الطين (كاهون ٧): "*تعليمات يجب اتباعها عندما تعانى سيدة من آلام فى قدميها وفى ساقيها عقب المشى .. عليك أن تقول فى هذا الصدد: يوجد إفرازات فى الرحم، وعليك اتباع ما يلى: تغطية القدمين والساقين بالطين إلى أن تتماثلى للشفاء*".

أمراض العيون

عند تناول مرض السيلان ومرض التراكوما، تعرضنا لبعض أمراض العيون. جزء كبير فى بردية إيبرس (من الفقرة ٣٣٦ حتى ٤٣١) تم تخصيصه كليةً لأمراض العيون. كما تُظهر كثير من رسومات الفنون التشكيلية أعدادًا كبيرة من العميان، وخاصة عازفى الهارپ (اللوحة الشهيرة على مقبرة : نخنت") وكذلك المطربين (كورتو، ١٩٩٤م). كما نلاحظ نماذج أخرى لأمراض العيون فى البرديات، بدءًا من التهاب الملتحمة أو النزف الدموى تحت الملتحمة (إيبرس ٣٨٤): "*علاج آخر للقضاء على نزف العين يتكون من: صحنين كبيرين من الصَّلصال يوضع فى الأول دقيق القمح ولبن سيدة وضعت مولودًا ذكرًا، ويوضع فى الثانى لبن ويُتركان طوال الليل عُرضة للندى. فى الصباح تملأ عينيك بهذا الدقيق ثم تغسلهما باللبن الموجود بالصحن الثانى، وتقوم بهذه العملية أربع مرات متتالية*".

لعلاج الحَوَل يُنصح بالتالى (إيبرس ٣٤٥): "*علاج آخر لتثبيت حدقة العين يتكون من: قشر الآبنوس (١) + سلفور الزرنيخ من صعيد مصر (١)، يُذاب المسحوق فى الماء ويوضع فى العين باستمرار*".

أما حالات إسالة الدموع بكثرة من العين فقد نصحت بردية (إيبرس ٣٧٦) بالتالى: "*علاج آخر للقضاء على إسالة الدموع باستمرار من العين يتكون من: صلصال (١) + جزء hemu من شجر الخروع (١) + عسل (١)، يُطحن الخليط جيدًا ثم يوضع فى العين*".

كما نلاحظ أيضًا هذا المثال لجُرح بالعين (إيبرس ٣٨١): "*علاج آخر يداوى جُرحًا بالعين يتكون من: ثمار شاشا shash مطبوخ (١) + حنظل (١) + عسل (١)، يُسحق الخليط جيدًا ثم يحفظ فى قطعة قماش، ثم تُضمد بها العين فوق الجفون*".

علاج آخر مشابه فى بردية إيبرس (٣٣٧) يشير إلى ما يجب عمله عند حدوث نزف أو مِدَّة شديدة فى العين.

من الجدير بالذكر أنه لُوحظ فى مقبرة "إيبوچى" بدير المدينة أن هناك رسمًا يوضح أحد العمال الذى يحاول استخراج جسم غريب من عين زميل له، حيث كانت مثل هذه الحوادث متكررة باستمرار؛ وخاصة لمن يقومون بالاشتغال بالخشب والحجارة.

كما أوْلَى القدماء المصريون عناية خاصة بالأكياس الدهنية Pinguecola والتى أُطلق عليها تحديدًا (بقع دهنية، إيبرس ٣٥٤)، وكذلك النقط البيضاء فى القَرَنيَّة (بقع بيضاء، إيبرس ٣٤٧)، والتى تم علاجها بصفراء كبد سلحفاة وعسل.



حالة شتر خارجى (جرح قَطْعىّ ثلاثى فى الملتحمة، إيبرس٤٠٩): *"علاج آخر لحالة شتر خارجى بالعين يتكون من: كبريتيد الرصاص (١/٢) + بيضة صقر (٣/٤)، يُسحق الخليط جيدًا ثم يوضع على جفون العين".*

أما ما يجب عمله عند الإصابة بورم فى جفن العين، فتنصح بردية إيبرس ٣٣٥ بالتالى: *"علاج آخر للقضاء على تورُّم العين يتكون من: كبريتيد الصوديوم (١) + ملخيت (كحل أخضر) (١) + شجرة djaret (١) + خشب متعفن (١)، تُخلط المكونات بالماء وتوضع على الجفون".*

اهتمام كبير حظى به علاج حالات الغمش (العشى الليلى)، أى انعدام القدرة على الرؤية عند الغروب أو فى الضوء الخافت، وذلك بسبب نقص ڤيتامين A (إيبرس ٣٥١): *"علاج آخر لعلاج شوى العيون (أى حرقتها) يتكون من كبد ثور يتم شيه وتحلُّله ثم يوضع على العين؛ إنه علاج فعال!".* هذه الحالة يتم علاجها اليوم بتعاطى ڤيتامين A، ومن المعروف أن الكبد غنية بهذا الڤيتامين وقد أوصى Dioscoride والأطباء الإغريق باستخدامها. أما الأقباط، فقد استخدموا بول فأر لعلاج مرضٍ مشابه والمعروف بـ"العتمة". كما لوحظ أيضًا أن الصينيين قد استخدموا فضلات نفس الحيوان لعلاج مرض العشَى الليلى "غمش". على الفور لا بد أن يتبادر إلى الذهن أنه علاج يعتمد على السحر، حيث إن الفأر وهو من الثدييات يتحرك بمهارة فائقة فى الليل. على أية حال، فإن التحليل الكيميائى للفضلات أثبت احتواءها على كميات كبيرة من ڤيتامين A بنسبة أكبر من التى يحتوى عليها زيت كبد نوع معيَن من الأسماك. وعلى ذلك، فمن المحتمل أن يكون كلٌّ



من الدم والبول من العناصر الغنية بهذا الفيتامين. مع كل هذا، يجب النظر بحذر وعدم السخرية من وصفات معينة لجأ إليها القدماء المصريون دون دراستها وتحليلها بعمق ودقة.

نختتم هذا الاستعراض السريع لأمراض العيون بمرض "الكتاركت" أو "المياه البيضاء" الذى حظى - كما رأينا من قبل - باهتمام كبير فى مصر الفرعونية . أطلق عليه قدماء المصريين *akhet-net mu mirty*، أى صعود الماء فى العين (إيبرس ٣٨٠): *"علاج آخر يتكون من: حلتيت (كلخ) أبو كبير (١) + ملخيت (كحل أخضر) (١) + نفط خام، يسحق الخليط ويمزج جيدًا، ثم تكتحل به العين".*

المصطلح الذى قمنا بترجمته بشىء من الشك على أنه النفط الخام "نافتا" "nafta"، هو باللغة المصرية القديمة Perherkhasetef (أى ما يخرج من الصحراء) وهو باللاتينية Petroleum (أى زيت الصخور). كما استخدم Dioscoride "النفط الخام" فى علاج "المياه البيضاء" وعلاج "النزف بالعين". على جانب آخر، أشار "ليفيڤر" إلى أول تدخل جراحى لعلاج "المياه البيضاء" والذى لجأ إليه الجرّاح "أنتيلوس Antillo" السكندرى (القرن الثانى الميلادى) بأسلوب ما يُعتقد أنه من اختراع "كريسيبو Crisippo" فى اليونان. تعمد هذه الطريقة إلى إنزال بللورة العين باستخدام إبرة. وأخيرًا، نشير إلى أنه فى إحدى الوصفات الطبية (إيبرس ٧٦)، احتوت المكونات على زيت الصخور (merhet khaset) أى القار للقضاء على الديدان "پنيد" Pened.

أمراض الأسنان

لقد عرفت مصر الفرعونية أيضًا هذا التخصص من فروع الطب. تحتوى بردية إيبرس على وصفات مختلفة لعلاج الأسنان والتى أشارت إلى عمليات حشو الأسنان. إذًا، نحن بصدد تسوُّس الأسنان:

- أول هذه العلاجات لتقوية الأسنان يتكون من: "*طحين القمح (١) + أكسيد الحديديك المائى (١) + عسل (١)، يُمزج الخليط معًا ويتم حشو الأسنان به*" (إيبرس ٧٣٩).

- "*علاج آخر يتكون من مسحوق الزلط (١) + أكسيد الحديديك المائى (١) + عسل (١)، يُخلط معًا ويتم حشو الأسنان به*" (إيبرس ٧٤٠).

- "*علاج آخر لتقوية الأسنان يتكون من: عصير السنط (١) + أكسيد الحديديك المائى (١) + ملخيت (١)، يُصنع من الخليط عجينة ويتم حشو الأسنان بها*" (إيبرس ٧٤٣).

مما سبق يتضح أن الأمر لا يتعلق بعمليات حقيقية لحشو الأسنان، ولكن الأمر لا يعدو مجرد تطبيب ومداواة لآلام الأسنان. على جانب آخر، هناك إشارة لمرض benut الذى وصفه "ليفيڤر" بأنه "قرحة بالأسنان"، ولكننا نفضل ترجمته على أنه "آلام الأسنان" وهو ما يمكن إطلاقه على العموم على أمراض التسوس. ولنلاحظ هذين المثلين:

- "*علاج آخر للقضاء على الجروح والآلام التى تسببها قرحة الفم benut التى توجد بالأسنان يتكون من: نبات (كمون shepes) (١) + صمغ (١) + عسل (١) ويتم التداوى بها*" (إيبرس ٥٥٣).

- *"علاج آخر للقضاء على قرحة الفم الموجودة في الأسنان وعلاج تآكل اللثة يتكون من: نبات بسباسا besbes (١) + فاكهة الجميز (١) + نبات (ينسون) inset (١) + عسل (١) + عصير السنط (١) + ماء، يُترك الخليط لمدة ليلة معرضًا للندى ثم يتم مضغه" (إيبرس ٥٥٤).*

وهنا يبدو أيضًا أن الوصفة الثانية ما هى إلا علاج لوقاية الأسنان.

القطع الأثرية التى تعرضت لعمليات التشريح توضح حالات نادرة لتسوس الأسنان فى عصر ما قبل الأسرات، وقد يرجع ذلك إلى قلة وجود السكر فى الوجبات الغذائية وهى الملاحظة التى أكدها "ثورنتن" Thornton (٣% فى عصر ما قبل الأسرات و٢٠% فى أوائل العصر القبطى).

دعا "روس" إلى مكافحة التسوُّس عن طريق مضادات البكتريا باستخدام "التتراسيكلين" والبيرة التى تحتوى على "الستربتوميسين"، وهو ما يساعد على تقليل فترة الإصابة، فالأمر يتعلق إذًا بتغير عادات الغذاء وهو نتيجة طبيعية لتحسن مستوى المعيشة (حيث التغذية الصحيحة الغنية بالعناصر الغذائية السليمة). وقد ارتبط هذا التغير منذ العصر البطلمى بالوجود الأجنبى الذى أثر تأثيرًا كبيرًا فى عادات الغذاء.

يرى "برثويل" Brothwell أن نسبة الإصابة بالخراريج حول القمة التى عانى منها القدماء المصريون فى عصر ما قبل الأسرات كانت مرتفعة جدًا (٧%)، مقارنة بالإصابة بتسوس الأسنان (٣%) ولكن هذه النسب تساوت فيما بعد. وبإجراء اختبارات على القطع الأثرية الموجودة بمتحف الأنثروبيولوجى



بتورينو، وجد "جريليتو" Grilletto أن النسبة الإجمالية لتسوس الأسنان تعادل ٤,٦٥%. كما ظهر تآكل شديد فى أسنان قدماء المصريين، فهناك عامل أساسى أدى إلى هذا التآكل يرتبط بتناولهم الخبز المصنوع من دقيق يحتوى على كثير من بقايا المعادن (لقد أعد "ليكا"، أربع درجات لعوامل التآكل)، كما أنه فى بلاد ما بين النهرين، عانى سكان "إريدو" Eridu من تشوهات مشابهة.

هذه الظاهرة أدت إلى اكتشاف العديد من أمراض الأسنان، بدءًا من تآكل الأسنان كما ذكرنا من قبل وخاصة تآكل القواطع، ثم إصابة تجويف الفم مع احتمال الإصابة بتسوس الأسنان والإصابة بالخراريج. لقد تم العثور على العديد من بقايا الخراريج وأمراض الأسنان الأخرى. مثال على الإصابة بتسوس الأسنان مع وجود خراريج فى الضرسين العلويين: الثانى والثالث من جهة اليسار وكذلك إصابة الفك، عثر عليها "بطراوى" Batrawi بسقارة فى جمجمة تنتمى إلى الأسرة الخامسة. أما مومياء الملك "أمنحتب الثالث" شهيد آلام الأسنان: كما وصفه "سميث" عام ١٩١٤م، فهى تُظهر الإصابة بتسوس وخراج كبير فى الأسنان السفلية من الجهة اليسرى، وخراج آخر أصغر حجمًا فوق الناب العلوى من الجهة اليسرى وأخيرًا، خراج ثالث فى أول ضرس سفلى من الجهة اليسرى أيضًا.



فك تظهر به الإصابة بخُرَّاج فى القمة فى الضرس الأول السفلى من الجهة اليسرى ناجم عن ثقب جراحى (أبيدوس - الأسرة الأولى أو الثانية - المتحف البريطانى).



يوجد فى متحف "پيبودى Peabody بجامعة هارفارد فك ينتمى للأسرة الرابعة يُظهر الإصابة بتخلخل عظمى، مع وجود ثقبين جراحيين أسفل الضرس الأول السفلى من الجهة اليسرى.

فك آخر عثر عليه "پترى" بأبيدوس يعود إلى الأسرة الأولى أو الثانية ويوجد حاليًا بالمتحف البريطانى، يُظهر خُرَّاجًا حول القمة فى الضرس الأول من الجهة اليسرى مع وجود ثقب جراحى. ويرى بعض الدارسين أن هذه الثقوب قد تشير إلى استخدام أدوات جراحية مناسبة مثل "المثاقب"، وهى أدوات من المؤكد أن القدماء المصريين قد استخدموها بالفعل.

لم يتم العثور على أدوات بعينها تؤكد خلع الأسنان فى الحقبة الفرعونية ولم تتحدث عنها البرديات أيضًا، ذلك إذا افترضنا أنهم مارسوا هذه العملية.

من المحتمل أن يكون "كازوتّى" Casotti قد عثر على رافعة "كَمَّاشة" لخلع الأسنان فى "ليپسيا" Lipsia. على أية حال، فقد مارس الأقباط هذه العملية، ففى عام ١٩٨٧م أشارت Bresciani إلى محتوى لوحة "پادى خنسى" Padikhonsi بأخميم (وهو كاهن معبد "مين" فى نهاية العصر البطلمى)، حيث يتباهى المُتوفَّى بأنه عاش ٩٦ عامًا "دون أن يخلع سِنَّة واحدة أو ضرسًا، دون أن يبتلع دماء تنزف من فمه"، وعلى ذلك، تكون عملية خلع الأسنان قد عُرفت على أقل تقدير فى العصر البطلمى. من ناحية أخرى، فإن تعبير "ابتلاع الدم" قد ورد أيضًا فى بردية إيبرس (٧٤٩)، كما أن هناك إشارة أخرى إلى أداة من البرونز استُخدمت لخلع الأسنان وجدت فى بردية بالديموطيقية فى ڤيينا تعود للعصر الرومانى المتأخر.



حالة أخرى عُثر عليها بالجيزة تشير إلى احتمال اللجوء إلى تركيبات الأسنان عن طريق شريحة معدنية وخيط من الذهب ملفوف على الضرسين: الثانى والثالث فى الفك السفلى. هذه الحالة جديرة بالبحث والدراسة.

مؤخرًا، وعلى إحدى المومياوات (غير معلوم إلى أية حقبة تنتمى)، توجد فى متحف المصريات القومى بناپولى، عُثر على حالة قد تكون زراعة سِنَّتيْن فى حياة صاحب المومياء: الضرس الأول العلوى من الجهة اليسرى مكان الناب العلوى من الجهة اليسرى، والسِّنَّة السفلى مكان الضرس الأول السفلى من الجهة اليمنى، كلتاهما تمت استدارتهما بطريقة غريبة ١٨٠ . يرى صاحب هذا الاكتشاف أن العناصر تبدو ثابتة وأن"التصوير الإشعاعى يطرح فكرة زراعة الأسنان فى حياة الشخص" على الأقل بالنسبة للسِّنة السفلية، ولكن يبقى التحليل الهستولوچى (والذى قد يكون قاطعًا)، ولكن لم يتم اللجوء إليه حرصًا على سلامة المومياء.

الأمراض الجلدية وفن التجميل

لقد تناولنا من قبل أمراض هذا النوع من فروع الطب مثل الجُذام والجُدرى. نجد أيضًا فى البرديات إشارات إلى أمراض قد تنتمى بوجه عام إلى مرض الدُمل: " *إذا فحصت تورمًا فى حنجرة أحد المرضى مع وجود خراج(؟) (هو المسبب للمرض)، تجده رخوًا تحت أصابعك وبه تقيحات(؟)، عليك أن تقول إنه مريض يعانى من تورم متقيح فى حنجرته. إنه مرض يمكننى علاجه*". عليك أن تجهز له علاجًا فعالاً يتكون من: معدن sia + نبات

tjun + دماء ذبابة + صفراء كبد ثور + ملح بحرى + طحين الفول، يُسحق الخليط جيدًا ثم يوضع فى لفافة لمدة أربعة أيام" (إيبرس ٨٥٧).

- *"تعليمات تتعلق بوجود تورمات ذات رؤوس تظهر على الصدر. إذا فحصت مريضًا يعانى من تورمات ذات رؤوس تظهر على صدره وتجد أيضًا تورمات أخرى تفترش بقعًا حمراء على الصدر وتسبب آلامًا مبرحة عندما تتحسسها بيدك.. فقل للمريض إنه يعانى من تورمات ذات رؤوس على الصدر أدت إلى ظهور هذه البقع. إنه مرض سوف أعالجه عن طريق الكَىّ"* (سميث ٣٩).

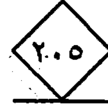
فيما يتعلق بالوصفة الطبية الثانية، افترض "ليكا" أنها تخص أيضًا مرض "حَبّ الشباب الدرنى".

هناك وصفات طبية أخرى لعلاج الحروق:

- *"علاج آخر للحروق يتكون من: خروب (١) + شعير (١) + سعر بستانى (١) + ملح بحرى (١) + تين (١) + بردى (١) + جلد مطهى (١) + دهن ثور (١) + زيت (١) + شمع (١)، يتم دهان الحرق بالخليط طازجًا كل يوم"* (إيبرس ٤٨٤).

- *"علاج آخر لحرق كَوَّن قشورًا سوداء يتكون من: بقايا نحاس (١) + ملخيت (١) + صبغة الحبر الأحمر (١) + راتنج البطم الطازج (١) + كمون (١) + خيار شمبر (١) + حلتيت (كلخ أبو كبير (١) + شمع (١)، يُسحق الخليط جيدًا ويُعالج به الحرق"* (إيبرس ٤٩١).

- علاج للقضاء على البقع البيضاء التى تسببها الحروق: *"علاج آخر يتكون من: خبز شعير بالزيت + ملح بحرى، يُخلط*



ويُسحق جيدًا ثم يداوى به الحرق باستمرار إلى أن يتماثل تمامًا للشفاء. إنه حقًا علاج فعال، شاهدته بنفسي وجربته مرارًا وتكرارًا" (إيبرس ٥٠٩).

- أما بردية إيبرس رقم ٧٢١، فتحتوى على علاج لبقع الجلد التي تشبه إلى حد كبير البقع الحمراء: "علاج آخر للقضاء على البقع الحمراء" في الوجه يتكون من: "*فاكهة شجرة قلب الكسوب kesebet تُخلط مع أكسيد الحديديك الأحمر ويُدهن بها الوجه باستمرار*". يُلاحظ هنا أن المرهم قد يكون أحمر أدكن، بحيث يغطي على البقع التي قد تختفي بصورة طبيعية مع الوقت.

هناك وصفات علاجية أخرى تدخل في نطاق مستحضرات التجميل مثل علاج التجاعيد (إيبرس ٧١٦): "*علاج آخر للقضاء على تجاعيد الوجه يتكون من: راتنج البطم (١) + شمع (١) + زيت حب البان الطازج (١) + نبات بردى صالح للأكل (١)، يُسحق الخليط جيدًا ويُضاف إلى لحاء النبات ثم يُدهن به الوجه يوميًا. اتبع الوصفة وسوف ترى النتائج المؤكدة*".

أما كريمات الجمال، فقد ورد ذكرها في أحد أبيات بردية "سميث": "*علاج آخر لجمال الوجه يتكون من: تراب الباستر (١) + تراب نطرون (١) + ملح بحرى (١) + عسل (١)، يُخلط معًا ثم يُدهن به الوجه*" (سميث ٢١، ٦-٨).

- "*علاج لتغير شكل الجلد يتكون من: عسل (١) + نطرون أحمر (١) + ملح بحرى (١)، يُحول الخليط إلى عجينة ويُدهن بها الجلد*" (سميث ٢١، ٣-٦).

- كما حظى الشعر أيضًا على جانب كبير من الاهتمام: "*.. يصبح شعر المرأة أكثر كثافة باستخدام بذور الخروع، تُسحق جيدًا وتُحول إلى زيت تدهن به السيدة رأسها*" (إيبرس ٢٥١).

- "*علاج آخر للقضاء نهائيًا على قشر الشعر ولعلاج الشعر نفسه يتكون من: دماء ثور أسود توضع في الزيت ويُدهن به الرأس*" (إيبرس ٤٥٩).

هذه الوصفة تشبه وصفة أخرى عرضنا لها عند تناول موضوع منظومة صناعة الأدوية (إيبرس ٤٦٥)، والتي تحتوى بشكل واضح على مُكوّن سحرى قوى. بعض المكونات التي احتوتها الوصفات الطبية المختلفة ـ والتي استعرضنا منها بعض النماذج فقط ـ ما زال يُستخدم حتى يومنا هذا في صناعة العطور ومستحضرات التجميل المختلفة.

استخدم قدماء المصريين البَخُور، ونذكر هنا وصفتين تتعلقان بالوقاية الصحية على وجه العموم وليس بالعلاج الطبي على وجه التحديد .. إنهما مجرد مُطهر أو وصفة لإزالة الروائح الكريهة:

- "*بخور يجب تحضيره لإضافة رائحة طيبة على المنزل والملابس، يتكون من: مُر جاف + بذور الصنوبر + راتنج البطم (التربنتين) + نبات بردى معطر أو خروب + قشرة(؟) قرفة + بذور بطيخ + قصب فينيقى + ينسون + سماق + حلب الميعة، يُسحق الخليط جيدًا ثم يوضع على النار*" (إيبرس ٨٥٢).

- استخدموا أيضًا أقراصًا مفيدة لتعطير الفم: "*وصفة أخرى تستخدمها النساء لهذا الغرض، تتكون من نفس الوصفة السابقة توضع في العسل وتُطهى على النار، ثم تُعجن وتُحول إلى أقراص استحلاب توضع في الفم لتطييب رائحته، كما يمكن استخدامها أيضًا كبخور*" (إيبرس ٨٥٣).



علاجات كثيرة أخرى قامت فى غالب الأمر على السحر وكانت تهدف إلى إخفاء معالم الشيخوخة، وهى أحد مصادر القلق والحزن الذى أصاب قدماء المصريين. يكفى أن نذكرْ فى هذا الصدد الحِكَم القديمة لـ"پتاح حتب": ("من كان جميلاً أصبح قبيحًا، لقد ذهب عنه رونقه")، أو بردية "إنسنجر" Insinger: (من قضى ستين عامًا من عمره فقد قضى أجمل فترات حياته: إذا كان يعشق النبيذ، فلن يستطيع بعد تجرعه حتى الثمالة.. إذا كان يعشق الطعام، فلم يعد بمقدوره تناوله كما اعتاد من قبل.. إذا كان يعشق امرأة، فلن يتمكن بعد من إشباع رغباته.. إنها تلك الأشياء التى تجعله دائمًا ملتزمًا: النبيذ.. المرأة.. الطعام).

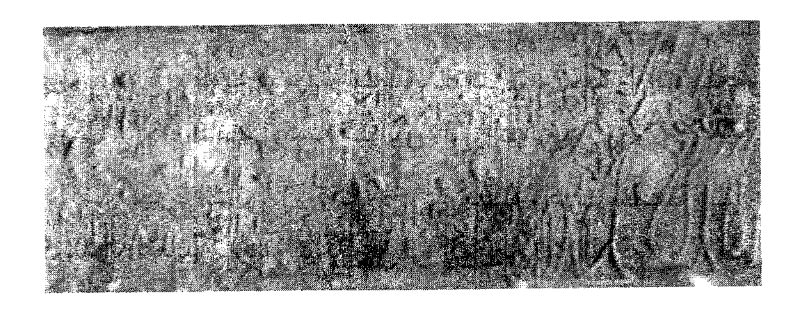
فيما يتعلق بالقطع الأثرية التى تعرضت لعمليات التشريح، نذكر فقط الورم الحميد صغير الحجم والذى وُجد مغطى بالقشور الجلدية على إحدى المومياوات. لقد أُجريت بعض الدراسات على الجلد من قِبَل معهد الأنثروبيولوچى بتورينو. فى عام ١٩٨٣م، أوضح "رابينو ماسا" كيف أن دراسة صبغات الجلد السوداء والبنية اللون يمكن أن تضفى أهمية خاصة على علوم الإنسان لتحديد الأصول العرقية للشعوب، فى حين أن دراسة الشعر عن طريق الميكروسكوب الإلكترونى أتاحت لنا الفرصة لتحديد أشكال هذه الشعوب.

السموم الحيوانية ـ اللدغات

شاع فى مصر الفرعونية انتشار عضات الثعابين ولدغات العقارب. ومؤخرًا، أتاح نشر بردية بروكلين (وهى تُعد تلخيصًا موجزًا وحقيقيًا لطب الأفاعى)، الفرصة لمعرفة كيف كان الاهتمام

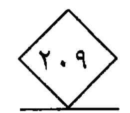


بعلاج عضات الثعابين الذى لم يكن بمنأى كلية عن تدخل السحر. لم تتحدث البردية عن "سونو" ولكن عن "خريب" كاهن الإلهة "سرقت". كان هذا العلاج ينقسم إلى جزءين. فى الجزء الأول (١٤ـ ٣٨: جزء مبتور من بدايته حيث يبدأ من الفقرة رقم ١٤)، تم فهرسة ووصف أنواع متعددة من الثعابين (هيفاو *hefau* والمصطلح *fy* يشير إلى عائلة الأفاعى): فيرى "نون" فى ضوء المعلومات التى حصل عليها Warrell أنه فى حالات معينة من ازدواج الجنس، فإن الأشكال ناقصة النمو والمتباينة من أنواع معينة يمكن أن تكون لها فى الأصل أسماء مختلفة، وهو ما يُطلق عليه أيضًا "تغيير غير ضار".



لوحة "نفر عبو" (الأسرة التاسعة عشرة ـ من مقبرته رقم ٥ بدير المدينة ـ المتحف المصرى بتورينو).

لقد تم وصف آثار العضة، ولم تتحدث عن آلام العضة التى تتفاقم وتنتشر سريعًا، ربما لأنها أحد الأعراض الواضحة جدًا (ومع ذلك لا يكون هناك ألم فى أحيان أخرى). ذُكر الاستسقاء أو التصلب الذى يحدث مكان العضة: ففى حالتين (رقم ٣١، ٣٦)، لم يُذكر أنه حدث نزف مكان العضة (وهو شائع فى الأفاعى). كما وصفت كذلك أعراض عامة مثل الحُمى، والضعف العام،



ورعشة فى الأطراف. تقلص الحواجب والتقيؤ فى بعض الحالات يُعد دلالة غير محمودة العواقب لتطور الحالة (٢٣)، على عكس حالات أخرى ذُكرت مع العلاج الخاص بها مثل عضة الكوبرا (٣٢، ٣٧). كما تمت الإشارة إلى أعراض أخرى مثل النزف (a٦٣): "*إذا كانت هذه العضة عميقة وتسبب نزف الدماء من أى جزء من الجسم..*"، كذلك العطس (٧١ a) والعرق الغزير: "*ابتل وجهه بالعرق..*" (٢٠) صعوبة التنفس (بسبب سم الكوبرا على سبيل المثال): "*.. هذا لكونه فعالاً فهو يقوى القلب ويستعيد النفس*" (٤٣ c) "*وهو علاج لفتح حنجرة من تعرض للعض..*" (٦٩). من بين الأعراض أيضًا الإصابة بالغيبوبة والعَمَى: "*.. عندما يفقد الوعى ويُصاب بالعمى..*" (٩٢)، "*فهو لم يعد يرى..*" (٢٤). كما ذكرت أيضًا احتمالات تحسن الحالة أو تدهورها. أحيانًا كانت تُنسب الثعابين إلى الديانة.

أما الجزء الثانى (٣٩ ـ ١٠٠)، حيث ذُكرت خمسة أنواع أخرى من الثعابين (ربما تم ذكرها فى الفقرات الثلاث عشرة الأولى التى فُقدت)، فقد تناول العلاج الذى يقوم على ثلاثة محاور: موضعى، وعام وعلاج قائم على السحر. قد يكون العلاج متخصصًا فيما يتعلق بنوع معين من الثعابين أو يصلح لجميع الأنواع. وقد توجه العلاج إلى المشكلة الموضوعية (دون أن يتجه إلى الأعراض العامة). فى هذا النص لا يوجد أى أثر لعلاج يؤخذ عن طريق الفم (كما يبدو فى بعض الحالات التى سنتناولها فيما بعد)، أو استخدام أربطة لوقف النزف الدموى، على أية حال، كثيرًا ما نُصِح باستخدام الضمادات. كما نُصح أيضًا باستخدام السكين (٣١، ٣٢، ٨١). وللقضاء على الاستسقاء نُصح باستخدام الملح أو النطرون (٧٢ a) لما له من تأثير يشبه تأثير

سلفات المنجنيز، كما ظهر أيضًا أهمية التدخل فى الوقت المناسب: "*منذ اليوم الأول*". وكان الثوم واحدًا من أكثر العناصر شيوعًا واستخدامًا فى الوصفات السحرية التى ذكرها "خريب" كاهن الإلهة "سرقت".

تحتوى بردية "إيبرس" على وصفات تمنع خروج الثعبان من جُحره: "*علاج آخر يمنع خروج الثعبان من جُحره يتكون من سمكة البلطى inet يتم تجفيفها ووضعها على مدخل الجُحر. سيكون بذلك عاجزًا عن الخروج*" (إيبرس ٨٤٢). وفى مواضع أخرى محاولات لتخدير الثعبان حتى يصبح غير ضار، كما ورد فى "حكاية أمير القدر".

وُصف على وجه الدقة تأثير سُم الثعبان فى إحدى البرديات ذات المحتوى السحرى والأسطورى، وهى محفوظة الآن فى المتحف المصرى بتورينو. تحكى عن الإله "رع" الذى صار شيخًا وعن الساحرة "إيزيس" Isi. عض ثعبان "رع" وها هى آثار السُم: "ارتعد فكّاه، وارتعشت جميع أعضائه بينما السُم قد توغل فى جسده مثل النيل الذى يسيطر على بقاعه". "كان قلبى كالمرجل وجسدى يرتعش وأعضائى تتلقى الآثار برعدة راجفة". "كنت باردًا مثل الماء وملتهبًا مثل النار.. جسدى يتصبب عرقًا.. أرتعش وعيناى زائغتان لدرجة لا أستطيع معها تحديد السماء، المياه المالحة على وجهى تشبه فصل الصيف". "السُم كان يغلى كالنار، كان أقوى من اللهيب وأفظع من الأتون".

استُخدمت الأسطورة هنا لأغراض السحر حيث كُتب فوق إحدى البرديات - يوضع فى محلول ثم يتم شربه - الحكاية لها القدرة على إبطال مفعول سُم الثعبان.



لعلاج العضات - التى غالبًا ما تكون قاتلة - نُصح باللجوء إلى الآلهة وخاصة الإلهة الأفعى والتى ظهرت على هيئة كوبرا "مريت سجر"، وهى سيدة الغرب حيث الجبل الذى يُشرف على مدينة طيبة. كما تحتوى أيضًا بردية أخرى بالهيراطيقية موجودة فى تورينو (رقم ٥٠٠٠٣) وتعود لعصر الدولة الوسطى، على بعض الوصفات ضد الثعابين.

كم كانت شائقة حقًا المقارنة التى أشرفنا عليها منذ عدة سنوات (١٩٨١م)، بين لوحتين لـ"نفر عبت" (الأسرة التاسعة عشرة) صاحب المقبرة رقم ٥ بدير المدينة!.. اللوحة الأولى مخصصة للإلهة "مريت سجر" وتوجد حاليًا فى المتحف المصرى بتورينو (رقم ٥٠٠٥٨)، واللوحة الثانية فى المتحف البريطانى (رقم ٥٠٠).

نتابع الآن الجزء الأكثر إثارة فى هذا النص: "كنت رجلاً جاهلاً ينقصنى الوعى، لا أستطيع التفرقة بين الخير والشر.. ارتكبت الخطيئة بمعصية الإلهة التى أوقعت علىّ العقاب.. كنت بين يديها صباحًا ومساءً.. كنت جالسًا على الطوبة كالسيدة النُفساء أتضرع إلى نسمة هواء لا تأتى إلىّ.. لقد توسلت إلى "سيدة الغرب" العظيمة فى قدرتها وتوسلت إلى كل إله وكل إلهة.. أتضرع إلى سيدتى وأجدها تحضر إلىّ كالريح الطيب.. كانت رحيمة بى بعدما أرتنى يدها.. عادت إلىّ حنونًا، جعلتنى أنسى الألم الذى يعتصر قلبى..".

من الطبيعى أن نعتقد أن "العقاب" الذى وقع عليه من الإلهة الأفعى هو عضة ثعبان سام. أما تلك العبارات: "كنت بين يديها صباحًا ومساءً، كنت جالسًا على الطوبة كالسيدة النُفساء، أتضرع



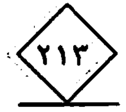
إلى نسمة هواء لا تأتينى"، فتبدو أنها إشارة إلى أعراض مرضية خطيرة مع ضيق فى التنفس بسبب الإصابة بشلل فى عضلات الجهاز التنفسى. بالتأكيد إنه ولحسن حظه كان "نفر عبت" قد تلقى جرعة من السُّم قليلة لم تكن كافية لقتله.

ننتقل الآن إلى لوحة المتحف البريطانى لندرس النص مع توضيح "نفر عبت": "كنت رجلاً أحلف كذبًا باسم پتاح "سيد الحق والعدل".. لقد جعلنى أرى الظلام فى وَضَح النهار".

تشير اللوحتان إذًا إلى حدث واحد، منذ لحظة الإصابة بعمى مؤقت إلى الإصابة بتسمم حاد مع الاهتمام بالعصب البصرى، وهو ما يحدث فى حالة عضة ثعبان سام. بسبب العناية الإلهية استطاع "نفر عبت" أن يعبِّر من خلال هاتين اللوحتين عن شكره؛ حيث إن التضرع إلى "پتاح" يدخل فى شعائر الصلاة "إلى كل إله وكل إلهة" وهو ما ورد فى لوحة تورينو.

احتمال آخر مخالف لرأينا هذا ولكنه جدير بالمناقشة، هو ما طرحه "سميث" (٢٠٠٤)، فهو يرى أن ما حدث ربما يكون ـ على العكس من ذلك ـ مؤشرًا على حالة كسوف للشمس، وذلك قياسًا على بعض الوثائق الأخرى المعاصرة.

خشى المصريون القدماء أيضًا من لدغات العقارب. ذيوع هذه الاحتمالية (كذلك أيضًا بالنسبة لمصر فى العصر اليونانى الرومانى)، قام بتأكيدها على نطاق واسع Tod الذى استطاع جمع العديد من الكتابات تتعلق بهذا الأمر وفى تلك الحقبة، وها هو مثال على ذلك: "أپوللونيوس" ابن "إيزيبيو" و"تاميس" مات بسبب لدغة عقرب فى جزيرة أپوليناريـاس Apolinarias". هذه الكتابة نُقشت على مومياء إغريقية توجد حاليًا فى برلين.



PROSPERI ALPINI

MAROSTICENSIS *Philosophi & Medici, in Gymnasio* PATAVINO *Medicamentorum simplicium Professoris ordinarii,*

MEDICINA ÆGYPTIORUM.

Accedunt huic editioni ejusdem Auctoris

LIBRI DE

BALSAMO & RHAPONTICO.

UT ET

JACOBI BONTII MEDICINA INDORUM.

Editio nova.



LUGDUNI BATAVORUM,

Ex Officina BOUTESTEINIANA, 1719.

(تم نشر (هذا العنوان) بإذن من مكتبة "Antiquaria Gilibert" بتورين)

بينما نجد على إحدى اللوحات التى عُثر عليها بمقبرة "تينه أكريس" Acris tehneh المسيحية هذه العبارة التى كُتبت بإيجاز شديد: "لقد رحل أورليوس أمونيوس بسبب لدغة عقرب". لوحة أخرى بأبيدوس تحمل معانى الأسى والحزن، وهي موجودة حاليًا فى برلين (رقم ٢١٣٤) نقرأ عليها: "مقبرة كليوباترا، ابنة مينون.. وداعًا.. وداعًا يا من ماتت ميتة قاسية لا تليق بمجدك ولا تليق بطيبتك، إنها لدغة عقرب فى قدس الأقداس بمدينة "تريپس" Thripis بالقرب من الهضبة.. رحلت فى اليوم العاشر لتوت (اليوم العاشر من الشهر الأول لفيضان النيل بالتقويم المصرى القديم)، فى العام الثامن والثلاثين فى الساعة الخامسة رحلت الملكة ..

كانت اللدغة تحدث آلامًا مثل آلام الحروق لا يمكن تحملها: "إنها أحرُ من النار وأشدُّ لهبًا من اللهب نفسه وأحَدُّ من الوخزة" (شستر بيتى، ٧، الوجه الثانى ٢، ٥ ـ٣، ١).

أما العلاجات فكانت تعتمد أساسًا على تركيبات سحرية وابتهالات إلى الإلهة العقرب "سرقت". على أية حال، بعض فقرات بردية برلين تناولت علاج اللدغات باستخدام البَخُور: "*علاج آخر للقضاء على آثار لدغة العقرب، يتكون من: شجرة khet-des + شمع + راتنج saur + نعناع فلفلى + معدن inersepdu + دهن حيوان صغير الحجم، يوضع الخليط على النار ويُبخر به المريض*" (برلين ٧٨).

أمثلة عديدة أخرى للتركيبات السحرية احتوت عليها اللوحة التى أطلق عليها "ميترنخ" Metterinich (الأسرة الثلاثون، حكم نختنبو الثانى)، والتى تحدثنا عنها من قبل؛ سُميت بهذا الاسم نظرًا لإهداء الوالى "محمد على" إيَّاها إلى "ميترنخ". إنها لوحة غاية فى الأهمية حيث تحتوى على نصين مأساويين؛ بالإضافة



إلى بعض الصلوات وطقوس السحر ضد عضات الثعابين والتماسيح ولدغات العقارب. استطاع "پيزى" Pezzi الذى قام بدراسة علمية وطبية دقيقة لهذا الأثر وبالاستعانة بجهد Scott "سكوت"، أن يوضح كيف أنه فى هذه الوصفات السحرية ضد عضات الثعابين قام الساحر (وهو فى هذه الحالة كاهن الإلهة سرقت)، "بتوسيع الجُرح ثم مص وبصق السُم". وفى وصفة سحرية أخرى، كانت تُبذل عدة محاولات للقضاء على آثار سُم العقرب. وهذه حالة أخرى يُشار فيها إلى مص السُم الموجود فى الجُرح: "هذا السُم الذى سبّب التهابات لا بد أن يخرج عن طريق الدم وحافة الجُرح.. لقد استخدمت شفتيها لمقاومة هذا السُم ولكنه ظل فى الأغوار". ما زلنا مع Pezzi الذى يختتم هذا الموضوع بعلاج العضات السامة: "عن طريق شق وفتح الجرح يمكن أن يتدفق السُم مع الدم على الأقل لو من جزء بسيط، ثم مص الجرح نفسه وبصق السُم، بعد ذلك يُغطى بمعجون تم صنعه من الخبز وبعض المواد الأخرى التى لم تُحدد على وجه اليقين. ثم يتم عمل تدليك (مساچ)، لجميع أجزاء الجسم وهز الضحية بطريقة تساعد على تنشيط الدورة الدموية".

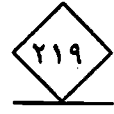
بالإضافة إلى الخبز، احتوت خاتمة النص الثانى المأسوى من اللوحة "إيزيس والعقارب السبع" على الملح المُتبّل بالثوم: "إنه خبز القمح الذى يوقف نشاط السُم حتى ينحسر، إنه الملح المتبل بالثوم الذى يطرد الحُمى من الجسد". أما النص الآخر "حورس فى مستنقعات خميس"، حيث: "إيزيس وجدته يعانى آثار السُم.. لقد احتضنته سريعًا.. سريعًا وقفزت معه مثل السمك فوق النار الموقدة"، وهذا يجعلنا نفكر فى حسن تقدير الموقف والتصرف سريعًا؛ للحيلولة دون الإصابة بفقد الوعى أو ضيق التنفس.

نختتم هذه الفقرة بذكر علاجات عديدة أخرى ضد عضات الحيوانات ورد ذكرها فى البرديات الطبية: عضات التماسيح (إيبرس٤٣٦، هيرست ٢٣٩ ـ ٢٤٠)، والخنازير (هيرست٢٤١ ـ ٢٤٢)، وفَرَس النهر (هيرست ٢٤٣)، والأُسُود (هيرست ٢٤٤)، حتى عضة الإنسان وُجد لها علاج أيضًا فى بردية (إيبرس ٤٣٢ ـ ٤٣٥).

غالبًا ما لجأت العلاجات المختلفة إلى استخدام اللحم الطازج وكذلك مواد نباتية مختلفة.

الخاتمـــة

من واقع المعالجة المختصرة التى قمنا بها، نعتقد أن العلاقة بين الطب المصرى القديم والطب الإغريقى قد تمت على عدة مراحل؛ وخاصة فى أعقاب تأسيس مستعمرة "نوقراطيس" الإغريقية فى مصر وما أعقبها من حكم أسرة البطالمة. فيما يتعلق بمصر؛ فإن التأثير قد انحصر بشكل كبير فى علم تركيب الأدوية - كما تؤكد ذلك البرديات المكتوبة بالديموطيقية - وذلك عن طريق دخول تركيبات علاجية جديدة فى منظومة علم تركيب الأدوية. أما فيما يتعلق بتأثير الطب المصرى على الإغريقى (من ثَمَّ على روما)، فلم يقتصر فقط على التركيبات الدوائية أو تكرار الوصفات العلاجية (كما يشير إلى ذلك "أبوقراط"، و"ديوسكوريد"، و"جالينوس"، و"بالينوس"، وآخرون غيرهم)، ولكنه حتى وإن كان تأثيرًا غير لافت للانتباه، إلا أنه شمل منهجية علم الطب كما يتضح فى قَسَم أبوقراط أو علم دراسة أسباب المرض وأعراضه، وكما يتضح أيضًا من المفردات الطبية لمدرسة "كنيدو" Cnido



التى أعقبت أبوقراط. فى واقع الأمر، أن "الأدب الطبى فى مصر لم يتوقف بشكل فجائى أو سريع".

يرى "دولزانى" Dolzani عام ١٩٩٣م، أن مكانة الطب الفرعونى ظهرت واضحة فى أعمال (التى أشرنا إليها فى المراجع)، طبيب Morastica القرن الخامس عشر ـ للمؤلف "بروسبير ألبينو"، أستاذ علم النباتات بجامعة "بادوڤا" الذى عاش فى مصر ثلاث سنوات، من عام ١٥٨١م إلى عام ١٥٨٤م خلفًا للقنصل "چورج إيمو" من ڤينيسيا. فى أحد هذه الأعمال يقول: "يوجد العديد من العقاقير والعلاجات الطبية السرية.. أحيانًا تجدها لدى الأطباء الفراعنة والتى ورثوها عن أشهر الأطباء، أو بالأحرى التى تركوها هم أنفسهم وتُعد نتاجًا لخبراتهم العلمية" (دولزانى، المرجع السابق).

"إن طريقة انتقال علم الطب فى مصر القديمة والتى استوعبها وتلقاها المؤلف، أثمرت مرة أخرى وصولاً إلى المراحل المنهجية والفكرية والمراحل الزمنية لعادات تأصلت فى مصر القديمة وما بعدها" (دولزانى، المرجع السابق).

لقد رأينا كيف أن بعض الوصفات الطبية المصرية القديمة وصلت إلينا وما زالت تُستخدم حتى يومنا هذا. فى هذا الصدد نشير هنا إلى بعض الوصفات الغريبة والشائقة فى الوقت نفسه والتى وردت فى بردية "إيبرس"، والتى تضمنتها رواية المغامرات للكاتب "إيميليو سالجارى" تحت عنوان: "بنات الفراعنة" عام ١٩٠٥م، حيث تدور أحداث هذه القصة خلال عصر الأسرة الخامسة. فى هذا العام كانت الترجمة الوحيدة المتاحة تحت أيدينا



باللغة الألمانية لـ"چواكيم". الكتاب يُعتبر أحد الأعمال المهمة فى مكتبة متحف تورينو، وهى المدينة التى عاش فيها المؤلف.

كما أن بعض الكلمات الحديثة قد تكون مشتقة من كلمات مصرية قديمة، مثل كلمة كيمياء "Kemet" وكلمة "آبنوس" "hebeny" وكلمة "صمغ" "qemit"؛ وبعض الأسماء مثل "Isidoro" والتى تعنى: "هبة إيزيس"؛ وكذلك "susanna" وهو اسم مشتق من "seshen" وهى زهرة اللوتس.

مصدر آخر للمعلومات عن الطب المصرى القديم حصلت عليه أوروبا من أحداث الخروج الجماعى لأتباع عالم اللاهوت الإغريقى "نستوريو" Nestorio بعد إدانة "كونسيليو" Concilio بمدينة "أفسوس" Efeso (عام ٤٣١)، هذه المعلومات كانت عبارة عن مخطوطات استطاعت التأثير على الطب العربى والذى أثَّر بدوره على الطب الغربى.

على أية حال، ليس من المهم إعادة البحث والتنقيب فى مجموعة الوصفات والأفكار الطبية أو التوقعات التشخيصية التى تدفقت على علوم الطب الإغريقى والرومانى، ولكن الأهم هو إبراز الروح الأساسية لفلسفة الذرائع التى سادت بردية "سميث" بأكملها، والتى تقوم على فلسفة الاتصال والتقارب المباشر مع المريض - وهو ما يحدث بشكل كبير حاليًا - لتحديد المرض (العنوان)، ثم التشخيص (معرفة الأعراض ودراستها)، ثم التوقعات، وأخيرًا العلاج. هذا المنهج هو الأساس وهو أصل الطب الحديث فى الغرب، وهو الحلقة المفقودة ما بين الطب البدائى القائم على السحر والطب القائم علميًا على النظرية فى



وقتنا الحالى مرورًا بإرهاصات الطب اليونانى الرومانى، وبمنظومة الطب العربى، وطب "ساليرنو"؛ وصولاً إلى القرون العظمى للطب والتى أعقبت عصر النهضة من عام ١٦٠٠م إلى عام ١٨٠٠م.

مراجع الكتاب

Aldred C. – *Akhenaton* – Tallandier 1973.

Aldred C., Sandison A. T. – *The Pharaoh Akhenaten: a problem in Egyptology and Pathology* – Bull. Hist. Med., 36,293, 1962.

Alexandersen V. – *The pathology of the jaws and the temporomandibular joint* – in Brothwell D., Sandison A. T. – op. cit..

Allen J. F. – *Bilharzia haematobia and circumcision* – The Lancet – May 1909.

Alpini P. – *Medicina Aegyptiorum* – Luguduni Bataviorum ex Officina Boutesteiniana 1719.

Alpini P. – *Rerum Aegyptiarum libri quattuor* – Opus postumum – Luguduni Bataviorum apud Gerardum Potuliet 1735.

Andrews C. A. R. – *Egyptian mummies* – British Museum Publications – London 1984.

Andrews C. – *Ancient egyptian jewellery* – British Museum Publications 1990.

Armelagos G. J., Mills J. O. – *Paleopathology as science: the contribution of Egyptology* – in Davies W. V., Walker R. – op. cit..

Balzaretti E., Cavalleris E., D'Amicone E. – *Fumetti d'Egitto. L'Egitto dei Faraoni nel mondo del fumetto* – Electa – Milano 1993.

Bardinet T. – *Dents et mâchoires dans les représentations religieuses et la pratique médicale de l'Egypte ancienne* – Ed. Pont. Ist. Bibl.- Roma 1990.

Bardinet T. – *Les papyrus médicaux de l'Egypte pharaonique* – Fayard – 1995.

Bardinet T. – *I testi medici dell'antico Egitto* – Le Scienze, 340, dic. 1996.

Barns J. W. B. – *Five Ramesseum Papyri* – Oxford Univ. Press – Oxford 1956.

Basset E., Keith M., Armelagos G. J., Martin D., Huss-Ashmore R. – *Tetracycline labeled bone from prehistoric Sudanese Nubia (A. D. 350)* – Science, 209, 1532, 1980.

Batrawi A. M. El – *Report on the human remains. Mission Archéologique de Nubie. 1929-34* – Government Press – Cairo 1935.

Batrawi A. M. El – *The pyramid studies. Anatomical report* - A. S. A. E., 47,97, 1947.

Bayrus P. – Vademecum – *De medendis humani corporis malis Enchyridion quod vulgo veni mecum vocant* – Basilea 1563.

Benassi E. – *I raggi X al servizio dell'archeologia* – Riv. Biellese, 10, 11, 1955.

Benitez J. T. – *Otopathology of Egyptian mummy PUM II: final report* – J. Laring. Otol., 102, 485, 1988.

Bergman A., Yanai J., Weiss J., Bell D., David M. P. – *Acceleration of wound healing by topical application of honey* – Am. J. Surg., 145, 374, 1983.

Berthier L. – *Storia di gente comune* – Archeo, 7 (161), luglio 1998.

Bisset N. G., Bruhn J. G., Curto S., Holmstedt B., Nyman U., Zenk M. H. - *Was opium known in 18th dynasty ancient Egypt? Un examination of materials from the tomb of the chief royal architect Kha* – J. Ethnopharmacology, 41, 99, 1994.

Blankoff B. – *Un peu d'histoire de la tuberculeuse ostéo-articulaire. Mal de Pott* – Le Scalpel, 3, 731, 1958.

Bonelli G., Letteri G. – *El Morisco (1969)* – Mondadori 1998.

Boyd L. G. – *Les groupes sanguins chez les anciens Egyptiens* – Chron. d'Eg., 23, 41, 1937.

Breasted J. H. – *The Edwin Smith Surgical Papyrus* – Univ. Of Chicago Press – Chicago 1930.

Bresciani E. – *Ai margini della storia della medicina egiziana antica. Il caso di Padikhonsi di Akhmim* – Egitto e Vicino Oriente, X, 1, 1987.

Bresciani E. – *Letteratura e poesia dell'antico Egitto* – Einaudi – Torino 1990.

Bresciani E. – *Medicina e terapeutica egiziana nei testi demotici* – Suppl. spec. Cuore, n.3-4, dic. 1994.

Brothwell D., Sandison A. T. – *Diseases in antiquity* – Charles C. Thomas – Springfield 1967.

Brothwell D. – *The bio-cultural background to disease* – in Brothwell D., Sandison A. T. - op.cit..

Brothwell D. – *Major congenital anomalies of the skeleton: evidence from earlier population* – in Brothwell D., Sandison A. T. - op. cit..

Brothwell D. R., Higgs E. – *Science in Archaeology* – Thames and Hudson – London 1963.



Brothwell D. R., Chiarelli B. A. – *Population Biology of the ancient Egyptians* – Academic Press – London 1973.

Burridge A. – *Did Akhenaten suffer from Marfan's Sindrome* – Biblical Archaeologist 59, 2, 127, 1996.

Bursian C. – *Fragmentum medicum graecum – in Index scholarum hibernarum in Universitate Litterarum Jenensi* – Jena 1873.

Campailla E. – *L'ortopedia nell'antico Egitto* – Il lanternino, 2, 1984.

Capart J. – recensione di Volten A. – *Demotische traumdeutung* – Copenaghen 1942 – in Chron. d'Eg., XVIII (36), 259, 1943.

Capasso L. – *Storia antica della malaria* – Fed. Med., XL, 9, 1987.

Cattaino G. – Vicario L. – *La malattia di Akhenaton* – in Magall sito Internet, De re medica - 2005.

Charpentier G. – *Recueil de matériaux épigraphiques relatifs à la botanique de l'Egypte antique* – Trismégiste – Paris 1981.

Chassinat E. – *Un papyrus médical copte* – Mém. Inst. Fr. Arch. Or., Cairo, 32, 1921.

Chiarelli B., Conti Fuhrman A., Rabino Massa E. – *Nota preliminare sulla ultrastruttura dei capelli di mummia egiziana al microscopio elettronico a scansione* – Riv. Antropol., LVII, 275, 1970-71.

Chiarelli B. – *Paleobiologia degli Egizi* – Le Scienze, 132, ag. 1979.

Chiricò F. – *Ricerche e testimonianze sulla interpretazione di un termine medico egiziano* – Acta Medicae Historiae Patavina, XXXI, 20, 1984-85.

Chiricò F. – *ib e haty: significati alterni e paralleli di due termini egiziani per il cuore* – Suppl. spec. Cuore, n. 3-4, dic. 1994.

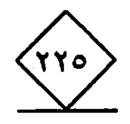
Cimmino F. – *Girolamo Segato* – in "Viaggiatori veneti alla scoperta del-l'Egitto" – Arsenale Editrice – Venezia 1985.

Cockburn A., Barraco R. A., Reyman T. A., Peck W. H. – *Autopsy of an Egyptian mummy* – Science, 187, 1155, 1975.

Cockburn A., Cockburn E. – *Mummies, disease and ancient cultures* – Cambridge Univ. Press – Cambridge 1980.

Cooper R. A., Molan P. C., Harding K. G. – *The sensitivity to honey of Gram-positive cocci of clinical significance isolated from Wounds* – J. Appl. Micr. 93, 857, 2002.

Correa P., Willis D., Allison M. J., Gerszten E. – *Helicobacter pylori in Pre-Columbian mummies* – comunicato da Meridian Diagnostics – Cincinnati 1998.



Curto S. – *Medicina e medici nell'antico Egitto* – Quaderno n. 5 del Museo Egizio – Torino 1970.
Curto S., De Lorenzi E., Spagnotto D. – *I risultati d'una rilevazione radiografica e grafica su mummie* – O. A., XIX, 147, 1980.
Curto S. – *L'antico Egitto* – UTET – Torino 1981.
Curto S. – *La medicina egizia* – Atti della Accademia delle Scienze di Torino, 128, 1994.
Czermak J. N. – *Beschreibung und mikroskopische untersuchung zweier Aegyptischen mumien* – Sonder-Berichte Akad. Wiss. – Wien, 9, 427, 1852.
Daglio C. – *La carie nell'antico Egitto* – Junior Dental, I, 4, 45, 1980.
Daglio C. – *Infezioni e parassitosi nell'Egitto antico. Aspetti di una paleopatologia* – Cop. Sc. Univ. – Torino 1981.
Daglio C. – *L'Egitto di Salgari* – in Salgari E. – *Le figlie dei Faraoni* – Viglongo 1991.
Daglio C. – *Tubercolosi e lebbra nell'antico Egitto* – Suppl. spec. Cuore, n. 3-4, dic. 1994.
Dasen V. – *Dwarfs in ancient Egypt and Greece* – Clarendon Press – Oxford 1993.
David A. R. – *The Manchester Museum Mummy Project* – Manch. Univ. Press – Manchester 1979.
David A. R. – *Science in Egyptology* – Manchester Univ. Press – Manchester 1979.
David A. R., Tapp E. – *The mummy's tale* – Michael O'Mara Books – London 1992.
Davide D. – *Survey of the skeletal and mummy remains of ancient Egyptians available in research collections* – J. Hum. Evol., 1, 155, 1972.
Davies W. V., Walker R. – *Biological Anthropology and the study of ancient Egypt* – Br. Mus. Press – London 1993.
Dawson W. R. – *The mouse in Egyptian and later medicine* – J. E. A., 10, 83, 1924.
Dawson W. R. – *Magician and leech* – Methuen – London 1929.
Dawson W. R. – *Studies in the Egyptian medical texts* – IV – J. E. A., 20, 185, 1934.
Dawson W. R. – *Pygmies and dwarfs in ancient Egypt* – J. E. A., 24, 185, 1938.
De Carneri I. – *Parassitologia generale e umana* – XI ed. – Casa Ed. Ambrosiana – Milano 1989.
Deelder A. M., Miller R. L., De Jonge N., Krijger F. W. – *Detection of schistosome antigen in mummies* – Lancet, 335, 724, 1990.



De Lorenzi E., Grilletto R. – *Le mummie del Museo Egizio di Torino, n. 13001-13026. Indagine antropo-radiologica* – Milano 1989.

Derry D. E. – *Anatomical report. Archaeological Survey of Nubia, 3, 29* – Nat. Print. Dept. – Cairo 1909.

Derry D. E. – *A case of hydrocephalus in an Egyptian of the Roman Period* – J. Anat. Physiol., London, 47, 436, 1912-13.

Derry D. E. – *Pott's disease in ancient Egypt* – Med. Press, 191, 1, 1938.

De Zulueta J. – *Malaria and Mediterranean history* – Parassitologia, 15, 1, 1973.

Diodoro Siculo – *Biblioteca storica* (l. I-V; trad. G. F. Gianotti) – Sellerio – Palermo 1988.

Dollfus M. A. – *L'ophtalmologie dans l'ancienne Egypte* – Arch. Ophtalm., 985, 1937.

Dols M. W. – *Plague in early Islamic History* – J. Or. Soc., 3, 371, 1974.

Dolzani C. – *I testi medici egiziani tra scomparsa e riscoperta. Possibili vie di un "iter" sotterraneo* – Atti VI Congr. Int. Egittol. (1991), vol. II, 107, 1993.

Dolzani C. – *Il geroglifico ib "cuore" e la sua analogia col cuore anatomico* – Suppl. spec. Cuore, n. 3-4, dic. 1994.

Dolzani C., Premuda L. – *Il geroglifico nfr: "buono" include l'immagine di un cuore sezionato?* – Suppl. spec. Cuore, n. 3-4, dic. 1994.

Dunand F., Lichtenberg R. – *Les momies. Un voyage dans l'éternité* – Gallimard 1991.

Ebbell B. – *The papyrus Ebers* – Oxford Univ. Press – London 1937.

Ebers G., Stern L. – *Papyros Ebers: das hermetische buch uber die arzneimittel der alten Aegypter* – 2 vol. –Englemann – Leipzig 1875.

Editorial – *Pharmaceuticals from plants: great potential, few finds* – Lancet, 343, 1513, 1994.

Edwards I. E. – *Hieratic papyri in the British Museum, 4th series* – Oracular amuletic decrees of late New Kingdom – London 1959.

El Mahdy C. – *Momies. Mythe et magie* – Casterman 1990

El Mallakh R. S. – *Cloning extinct genes* – Cryptozoology, 6, 49, 1987.

Engelbach R., Derry D. E. – *Mummification* – A. S. A. E., 41, 239, 1942.

Erichsen W. – *Aus einem demotischen papyrus uber frauenkrankheiten* – Mitt. Inst. Or., 2, 363, 1954.

Erman A. – *Zauberspruche fur Mutter und Kind. Aus dem papyrus 3027 der*



Berliner Museums – Abhandlungen der Konigliche Preussischen Akademie der Wissenschaften – Berlin 1901.

Erman A., Grapow H. – *Wörterbuch der Aegyptischen sprache* – Leipzig-Berlin 1926-1964.

Erman A., Ranke H. – *La civilisation égyptienne* – Payot – Paris 1982.

Erodoto – *Storie* – vol. II e III (trad. A. Izzo D'Accinni) – Rizzoli – Milano 1984.

Estes J. W. – *The medical skills of ancient Egypt* – Science History Publications – Canton 1989.

Faulkner R. O. – *A concise dictionary of Middle Egyptian* – Univ. Press – Oxford 1962.

Ferrari A. – *Tubercolosi e tisiologia nell' antico Egitto* – in "Scritti in onore del prof. A. Pazzini in occasione del XXX anno di laurea" – Ed. Minerva Medica – Torino 1954.

Firth C. M. – *The archaeological survey of Nubia. Report for 1909-1910* – Government Press – Cairo 1915.

Fleming S., Fishman B. – *The Egyptian mummy: secrets and science, 21. Univ. Mus. Handbook 1* – Univ. Mus. – Philadelphia 1980.

Gardiner A. H. – *Hieratic papyri in the British Museum* – British Museum – London 1935.

Gardiner A. H. – *The house of life* – J. E. A., 24, 157, 1938.

Gardiner A. H., Peet T. E., Cerny J. – *The inscriptions of Sinai* – Oxford Univ. Press – London 1952.

Gardiner A. H. – *The Ramesseum papyri* - Oxford Univ. Press – Oxford 1956.

Gardiner A. H. – *Egyptian grammar* – Oxford Univ. Press – London 1966.

Gelmetti P. – *Medicina e patologia nell' antico Egitto* – in Atti del XXVI Congresso nazionale di storia della medicina, Pescara-Spalato, 20-24 sett. 1973.

Germer R. – *Ancient Egyptian pharmaceutical plants and the eastern Mediterranean* – in "The healing past" – Brill – Leyden 1993.

Ghalioungui P. – *La medicina nell' Egitto faraonico* – Symposium CIBA, 9, 5, 1961.

Ghalioungui P. – *Realismo medico nell' arte dell' antico Egitto* – Rass. Med. e cult., XXIX, 6/7, 1962.

Ghalioungui P. – *Some body swellings in two tombs of the Ancient Empire and their possible relation to aaa* – Z. A. S., 87, 108, 1962.

Ghalioungui P., Khalil S., Amman A. R. – *On an ancient Egyptian method of diagnosing pregnancy and determining foetal sex* – Medical Historian, 7, 241, 1963.



Ghalioungui P. – *Sur l'exophtalmie de quelques statuettes de l'Ancien Empire* – Bull. Inst. Fr. Arch. Or., 62, 63, 1964.

Ghalioungui P., Dawakhby Z. El – *Health and healing in ancient Egypt. A pictorial essay* – Dar Al Maaref – 1965.

Ghalioungui P. – *The physicians of Pharaonic Egypt* – Al Ahram Center for scientific translations – Cairo 1983.

Ghalioungui P. – *The Ebers papyrus* – Academy of Scientific Research and Technology – Cairo 1987.

Giacometti L., Chiarelli B. – *The skin of Egyptian mummies. A study in survival* – Arch. Dermatol., 97, 712, 1968.

Goldstein M. S. – *The palaeopathology of human skeletal remains* – in Brothwell D. R., Higgs E. – op. cit..

Goyon J.-C., Josset P. – *Un corps pour l'éternité. Autopsie d'une momie* – Le Leopard d'or – Paris 1988.

Graf W. – *Preserved histological structures in Egyptian mummy tissues and ancient Swedish skeleton* – Acta Anat., 8, 236, 1949.

Grapow H., von Deines H., Westendorf W. – *Grundriss der medizin der alten Aegypter* – Akademie Verlag – Berlin 1954-1973.

Gray P. H. K. – *Radiological aspects of the mummies of ancient Egyptians in the Rijksmuseum van Oudheden, Leyden* – Oudheidkidge Meded., 47, 1, 1966.

Gray P. H. K. – *Radiography of ancient Egyptian mummies* – Med. rad. and phot., 43, 34, 1967.

Grilletto R. – *Gli Egiziani e la mummificazione* – Opusc. 3 A – Museo di Antropologia e di Etnografia di Torino – s. d..

Grilletto R. – *Caries and dental attrition in the early Egyptians as seen in the Turin collections* – in Brothwell D. R., Chiarelli B. A. – op. cit.

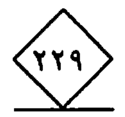
Grilletto R. – *Un cas de pied équin dans una momie Egyptienne* – Antropologia contemporanea, 3, 1, 131, 1980.

Hackett C. J. – *The human treponematoses* – in Brothwell D., Sandison A. T. - op. cit..

Haffejee I. E., Moosa A. – *Honey in the treatment of infantile gastroenteritis* – Br. Med. J., 290, 1866, 1985.

Harrison R. G. – *An anatomical examination of the Pharaonic remains purported to be Akhenaten* – J. E. A., 52, 95, 1966.

Hart G. D., Millet N. B., Rideout D. F., Scott J. W., Lynn G. E., Reyman T. A., De Boni U., Horne P. D., Barraco R. A., e altri – *Autopsy of an Egyptian mummy (Nakht – ROM I)* – Canad. Med. Assoc. J., 117, 461, 1977.



Harter S. – Le Bailly M. – Janot F. – Bouchet F. – *First paleoparasitological study of an embalming rejects jar found in Saqqara, Egypt* – Mem. Inst. O. Cruz 98, Suppl. 1, Jan. 2003.

Hedges R. E. M., Sykes B. A. – *The extraction and isolation of DNA from archaeological bone* – in Davies W. V., Walker R. – op. cit..

Hepper F. N. – *Pharaoh's flowers. The botanical treasures of Tutankhamun* – HMSO – London 1990.

Higuchi R., Bowman B., Freiberger M., Ryder O. A., Wilson A.C. – *DNA sequences from the quagga, an extinct member of the horse family* – Nature, 312, 282, 1984.

Hussein M. K. – *Quelques spécimens de pathologie osseuse chez les anciens Egyptiens* – Bull. Inst. Eg., 32, 11, 1949-50.

Isherwood I., Jarvis H., Fawcitt R. A. – *Radiology of the Manchester mummies* – in David A. R. – The Manchester Museum Mummy Project – op. cit..

Iversen E. – *Papyrus Carlsberg NO. VIII* – Copenaghen 1939.

Joachim H. – *Papyros Ebers* – G. Reimer – Berlin 1890.

Jonckkheere F. – *Une maladie Egyptienne. L'hématurie parasitaire* – Ed. Fondation Egyptologique Reine Elisabeth – Bruxelles 1944.

Jonckheere F. – *Le papyrus médical Chester Beatty* – Fondation Egyptologique Reine Elisabeth – Bruxelles 1947.

Jonckheere F. – *Le bossu des Musées Royaux d'Art et d'Histoire de Bruxelles* – Chron. d'Eg., 23, 24, 1948.

Jonckheere F. – *La circoncision des anciens Egyptiens* – Centaurus, 1, 212, 1951.

Jonckheere F. – *La durée de la gestation d'après les textes Egyptiens* – Chron. d'Eg., 30, 19, 1955.

Jonckheere F. – *Les médecins de l'Egypte Pharaonique* – Fondation Egyptologique Reine Elisabeth – Bruxelles 1958.

Jones F. W. – *Some lessons from ancient fractures* - Br. Med. J., 455, 1908.

Kamal H. – *Dictionary of Pharaonic medicine* – The National Publication House – Cairo 1967.

Kinnier Wilson J. V. – *Organic diseases of ancient Mesopotamia* – in Brothwell D., Sandison A. T. - op. cit..

Kitchen K. A. – *Il Faraone trionfante* – Laterza – Bari 1987.

Kloos H. – David R. – *The Paleoepidemiology of Schistosomiasis in Ancient Egypt* – Hum. Ecol. Review, 9, 1, 2002.

La momie de Ramsès II – ERC 1985.



Leca A. P. – *La medicina egizia al tempo dei Faraoni* – Ciba Geigy Ed. 1986.

Leek F. F. – *Reputed early Egyptian dental operations, an appraisal* – in Brothwell D., Sandison A. T. - op. cit..

Leek F. F. – *The practice of dentistry in ancient Egypt* – J. E. A., 53, 518, 1967.

Leek F. F. – *Bite, attrition and associated oral conditions as seen in ancient Egyptians skulls* – J. Hum. Evol., 1, 289, 1972.

Lefebvre G. – *Essai sur la médecine Egyptienne de l'époque Pharaonique* – P. U. F. – Paris 1956.

Lippi D. – *Ebers 831* – Quad. raggr. tosco-umbro-emil. di st. della med.. vol. 1, 1987.

Lippi D., Rotella C. M. – *Problemi di natura cardiovascolare nell'antico Egitto* – Suppl. spec. Cuore, n. 3-4, dic. 1994.

Loebl W. – *comunicazione personale* - cit. da Nunn.

Long A. R. – *Cardiovascular renal disease. Report of a case of three thousand years ago* – Arch. Path., 12, 92, 1931.

Loret V. – *Le ricin et ses emplois médicinaux dans l'ancienne Egypte* – Rev. de Médecine, XXII, 8, 1902.

Loret V. – *Pour transformer un vieillard en jeune homme* – Mél. Maspero, I, 860, 1934-38.

Lortet L., Gaillard M. C. – *La faune momifiée de l'ancienne Egypte* – Arch. Mus. Nat. Hist. Lyon, 9, 1, 1907.

Lucas A. – *Ancient Egyptian materials and industries* – Edward Arnold Publ. LTD – London 1962.

Luzzatto L., Usanga F. A., Reddy S. – *Glucose-6-phosphate dehydrogenase deficient red cells: resistance to infection by malarial parasites* – Science, 164, 839, 1969.

Macke A., Macke-Ribet C. – *Paléopathologie osseuse de la population Egyptienne d'époque romaine provenant de la Vallée des Reines* – Atti VI Congr. Int, Egittol. (1991), vol. II, 531, 1993.

Mackenzie-van der Noordan M. C. – *Un aspect médical de la parenté entre Akhenaton, Semenkhkare et Tutankhamon* – Organorama 1965.

Mallowan M. – in "*The Cambridge ancient history*", vol. I, part I, Prolegomena and Prehistory, c. VIII – Cambridge Univ. Press – London 1970.

Marro G. – *Contributo alla patologia del sistema osseo negli egiziani antichi* – Mem. R. Acc. Sc. Torino, s. II, t. 71, p. I, n. 5, 1946.



Marro G. – *Documentazioni morbose finora ignorate nell'antico Egitto* – Min. Med., XLIII, I, 39, 726, 1952.

Majno G. – *The healing hand* – Harvard Univ. Press – Cambridge, Mass. 1975.

Manniche L. – *An ancient Egyptian herbal* – Br. Mus. Publ. – London 1989.

Mantellini E., Tosi M. – *La calcolosi biliare in Egitto al tempo dei Faraoni* – Atti VI Congr. Int. Egittol. (1991), vol. II, 313, 1993.

Masali M., Davide D. – *Ricerche sulle collezioni antropologiche egiziane dell'Istituto di Antropologia di Torino* – III (b) Dati antropometrici: nota di pelvimetria – Riv. Antropol., LIII, 95, 1966.

Masali M., Chiarelli B. – *Demographic data on the remains of ancient Egyptians* – J. Hum. Evol., 1, 161, 1972.

Merrillees R. S. – *Opium trade in the Bronze Age Levant* – Antiquity, 36, 287, 1962.

Michalowski K. – *L'art de l'ancienne Egypte* – Mazenod – Paris 1968.

Michelin Lausarot P., Ambrosino C., Favro F., Conti A., Rabino Massa E. – *Preservation and aminoacid composition of Egyptian mummy structure proteins* – J. Hum. Evol., 1, 489, 1972.

Miller R. L. – *Dqr, spinning and treatment of Guinea worm in P. Ebers 875* – J. E. A., 75, 249, 1989.

Miller R. L., Armelagos G. J., Ikram S., De Jonge N., Krijger F. W., Deelder A. M. – *Palaeoepidemiology of schistosoma infection in mummies* – Br. Med. J., 304, 555, 1992.

Miller R. L., De Jonge N., Krijger F. W., Deelder A. M. – *Predynastic schistosomiasis* - in Davies W. V., Walker R. – op. cit..

Miller R. L., Ikram S., Armelagos G. J., Walker R., Shiff C. J., e altri – *Diagnosis of Plasmodium falciparum infections in mummies using the rapid manual Para Sight TM F Test* – Trans. Roy. Soc. Trop. Med. Hyg., 88,31, 1994.

Millet N. B., Hart D. G., Reyman T. A., Zimmermann M. R., Lewin P. K. – *ROM I: mummification for the common people* – in Cockburn A., Cockburn E. – op. cit..

Mitchell J. K. – *Study of a mummy affected with anterior poliomyelitis* - Trans. Ass. Am. Phys., 15, 134, 1900.

Møller Christensen V. - *Evidence of leprosy in earlier peoples* – in Brothwell D., Sandison A. T. - op. cit..

Moodie R. L. – *Roentgenological studies of Egyptian and Peruvian mummies* – 1 vol. – Laufer B. Ed. – Chicago 1931.



Morse D., Brothwell D., Ucko P. J. – *Tuberculosis in ancient Egypt* – Am. Rev. Resp. Dis., 90, 524, 1964.

Morse D. – *Tuberculosis* – in Brothwell D., Sandison A. T. - op. cit..

Muzio I. – *Su di un olio medicato della tomba di Cha* – Atti Soc. linguistica di scienze e lettere, 4, 249, 1925.

Nunn J. F. – *Ancient Egyptian medicine* – Br. Mus. Press – London 1996.

Otten C. M. – *Note on the cemetery of Eridu* – Sumer, IV, 125, 1948.

Pääbo S. – *Molecular cloning of ancient Egyptian mummy DNA* – Nature, 314, 644, 1985.

Pääbo S. – *Ancient DNA: extraction, characterization, molecular cloning and enzymatic amplification* – Proc. Nat. Acad. Sc. USA, 86, 1939, 1989.

Pääbo S. – *Antichi DNA* – Le Scienze, 305, genn. 1994.

Paullini F. – *Neu vermehrte heilsame dreckapotheke* – Frankfurt a. M. 1699 (XXVI, 243).

Pazzini A. – *Storia della medicina* – Soc. Ed. Libraria – Milano 1947.

Peck W. H., Ross J. G. – *Dessins Egyptiens* – Hermann – Paris 1980.

Peluso A. – *Patologia orale in una antica popolazione egiziana* – Antropologia contemporanea, 3, 1, 57, 1980.

Petrie F. – *Medum* – London 1892.

Petrie W. M. F. – *Prehistoric Egypt* – Bernard Quaritch – London 1920.

Pezzi G. – *La stele egizia di Metternich* – Atti Mem. Acc. St. Arte San., s. II, A. XXIII, n. 3, 134, luglio-sett. 1957.

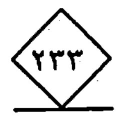
Piankoff A. – *Le coeur dans les textes Egyptiens depuis l'Ancien jusq'à la fin du Nouvel Empire* – Ed. Geuthner- Paris 1930.

Posener G. – *L'enseignement loyaliste: sagesse Egyptienne du Moyen Empire* – Centre de recherches d'histoire et de philologie de la IV° section de l'Ecole pratique des Hates Etudes – Hautes Etudes orientales 5 – Droz – Genève 1976.

Quirke S. G. J. – *Ancient Egyptian religion* – Br. Mus. Press – London 1992.

Rabino Massa E. – *Sezioni istologiche dei capelli di Egiziani antichi* – Riv. Antropol., LVI, 275, 1969.

Rabino Massa E., Chiarelli B. – *La istologia di tessuti naturalmente disseccati o mummificati di antichi Egizi* – Arch. It. Anat. Embr., XXXI, 4, 1976.



Rabino Massa E. – *Arteriosclerotic change in the carotid artery of a mummy of the New Kingdom date* – Paleopath. Newsletters n. 17, 12, 1977.

Rabino Massa E. – *Le malattie degli antichi Egizi: paleopatologia e istològia di tessuti mummificati* – Fed. Med., XXXVI, 5, 1983.

Rabino Massa E., Fulcheri E. – *Malattie congenite nell'antico Egitto* – Fed. Med., XLII, 1, 1989.

Rand Nielsen E – *Honey in medicine* – Atti VI Congr. Int. Eg. (1991), vol. II, 415, 1993.

Reisner G. A. – *The Hearst medical papyrus* – Hinrichs – Leipzig 1905.

Reymond E. A. E. – *A medical book from Crocodilopolis* – Verlag Bruder Hollinek – Wien 1976.

Reymond E. A. E. – *From an ancient Egyptian dentist's handbook*, P. Vindob 12287 – Mél. Gutbub – Motpellier 1984.

Roccati A. – *Papiro ieratico n. 54003. Estratti magici e rituali del Primo Medio Regno* – Pozzo – Torino 1970.

Rogers L. – *Meningiomas in Pharaoh's people. Hyperostosis in ancient Egyptian skulls* – Br. J. Surg., 36, 423, 1949.

Rose J. C., Armelagos G. J., Perry L. S. – *Dental anthropology of the Nile valley* – in Davies W. V., Walker R. – op. cit..

Ross P. E. – *Archeologia molecolare: una nuova disciplina* – Le Scienze, 287, luglio 1992.

Roth A. M. – *Egyptian phyles in the Old Kingdom* – Oriental Institute of the University of Chicago – Chicago 1991.

Rotoli M., Micoli P. – *La cosmesi dell'antico Egitto: trascrizione, traduzione e commento di brani dei papiri Ebers, Hearst e Smith (con glossario delle principali sostanze citate)* – Chron. Derm.,XVI, 1, 1985.

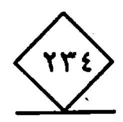
Rowling J. T. – *Pathological changes in mummies* – Proc. Roy. Soc. Med., 54, 409, 1961.

Ruffer M. A. – *Remarks on the histology and pathological anatomy of Egyptian mummies* – Cairo Scient. J., 40, 1, 1910.

Ruffer M. A. – *Histological studies of Egyptian mummies* – Mém. Inst. Eg., 6, 3, 1911.

Ruffer M. A., Ferguson A. R. – *An eruption resembling that of variola in the skin of a mummy of the twentieth dynasty* – J. Path. Bact., 15, 1, 1911.

Ruffer M. A. – *On pathological lesions found in Coptic bodies* – J. Path. Bact., 18, 149, 1913.



Ruffer M. A. – *Pathological notes on the royal mummies of the Cairo Museum* – Mitt. Gesch. Med. Naturw., 13, 239, 1914.

Ruffer M. A. – *Studies in the palaeopathology of Egypt* – Univ. Of Chicago Press – Chicago 1921.

Ruffer M. A. – *Note on the presence of Bilharzia haematobia in Egyptian mummies of the twentieth dynasty* – in Brothwell D., Sandison A. T. - op. cit..

Sandison A. T. – *The histological examination of mummified material* – Stain Techn., 30, 277, 1955.

Sandison A. T. – *The study of mummified and dried human tissues* – in Brothwell D. R., Higgs E. – op. cit..

Sandison A. T., Wells C. – *Diseases of the reproductive system* – in Brothwell D., Sandison A. T. - op. cit..

Sandison A. T. – *Evidence of infective disease* – J. Hum. Evol., 1(2), 213, 1972.

Sartre M. – *L'Orient romain* – Ed. Seuil – Paris 1991.

Satinoff M. I., Masali M., Avanza G. – *Le faccette da piegamento dell'articolazione tibio-astragalica negli antichi Egiziani* – Riv. Antropol., LIV, 187, 1967.

Satinoff M. I. – *Preliminary report on the palaeopathology of a collection of ancient Egyptian skeletons* – Riv. Antropol., LV, 41, 1968.

Sauneron S. – *Un traité Egyptien d'ophiologie* – Inst. Fr. Arch. Or. – Cairo 1989.

Scott N. E. – *The Metternich stela* – Bull. Metr. Mus. Of Art 9, 201, april 1951.

Schrumpf-Pierron B. – *Le mal de Pott en Egypte 4000 ans avant notre ère* – Aesculape, 23, 295, 1933.

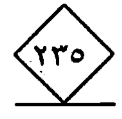
Sergi S. – *Capelli di Tasmaniano e di Boscimano: saggio tricometrografico di tecnica applicata alla misurazione dei capelli mediante il tricociclofor o* – Riv. Antropol., 44, 285, 1957.

Shattock S. G. – Trans. Path. Soc. Lond., 56, 275, 1905 – citato da Sandison A. T. – *The study of mummified and dried human tissues* - op. cit..

Shattock S. G. – *Microscopic sections of the aorta of king Merneptah* – Lancet, 1, 319, 1909.

Shaw A. F. P. – *Histological study of the mummy of Har-Mose, the singer of the XVIII dynasty* – J. Path. Bact., 47, 115, 1938.

Sigerist H. E. – *A history of medicine. Vol. I: primitive and arcaic medicine* – Oxford Univ. Press – New York 1951.



Simon G., Zorab P. A. – *The radiographic changes in alkaptonuric arthritis* - Br. J. Radiol., 34, 384, 1961.

Smith D. G. – *"Blindness" in Ancient Egypt – A New Interpretation of Some New Kingdom Texts* - 2004.

Smith G. E., Jones F. W. – *The anatomical report. Archaeological survey of Nubia. Report of 1907-1908* —National Printing Dept. – Cairo 1908.

Smith G. E. – *The most ancient splints* – Br. Med. J., 732, 1908.

Smith G. E., Derry D. E. – *Anatomical report. Arch. survey of Nubia, 5, 21* – National Printing Dept. – Cairo 1910.

Smith G. E., Ruffer M. A. – *Pottsche krankheit an einer Aegyptischen mumie aus der zeit der 21 dynastie (um 1000 v. Chr.)* – in Karl Sudhoff's zur historischen biologie der krankheitserreger, pag. 9-16 – Leipzig 1910.

Smith G. E. – *The royal mummies* – Imprimerie de l'Inst. Fr. d'Arch. Or. – Cairo 1912.

Smith G. E. – *A martyr of toothache* – J. E. A., 1, 189, 1914.

Smith G. E., Dawson W. R. – *Egyptian mummies* – Allen & Unwin ed. – London 1924.

Staden H. von – *Herophilus: the art of medicine in early Alexandria* – Cambridge Univ. Press – Cambridge 1989.

Steuer R. O. – *Whdw: aetiological principle of pyemia in ancient Egyptian medicine* – Bull. Hist. Med., Suppl. 10, 1948.

Steuer R. O., Saunders J. B. de C. M. – *Ancient Egyptian and Cnidian medicine* – Univ. Of California Press – Berkeley 1959.

Strouhal E. – *Vivere al tempo dei Faraoni* – De Agostini – Torino 1993.

Tapp E. – *Disease in the Manchester mummies* – in David A. R. – Science in egyptology – op. cit..

Tapp E., Wildsmith K. – *The autopsy and endoscopy of the Leeds mummy* – in David A. R., Tapp E. – The mummy's tale – op. cit..

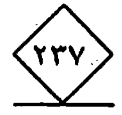
Thornton F. – *Oral pathological comparison of discrete ancient Nile valley and concurrent populations* – M. Phil. Dissertation – Univ. of Bradford 1990.

تعريف المؤلف

كريستيانو داليو Cristiano Daglio

طبيب وُلد في تورينو، يشغل منصب المدير المسئول عن قسم الطب الإكلينيكى بمستشفى "سان لويجى" بتورينو. إخصائى علم الجراثيم والأمراض العامة. أستاذ لدى المعاهد المتخصصة فى علم الجراثيم والأمراض الإكلينيكية بجامعة تورينو.

اهتم منذ سنوات عديدة بعلم المصريات، ويشغل حاليًا منصب أمين المتحف المصرى بتورينو. له العديد من المؤلَّفات والمؤتمرات العلمية التى تتعلق على وجه الخصوص بالطب المصرى القديم.



المترجمة فى سطور

ابتسام محمد عبد المجيد

- حاصلة على ليسانس كلية الألسن ـ قسم اللغة الإيطالية ـ جامعة عين شمس ١٩٨١.
- حاصلة على دبلوم الدراسات العليا ـ كلية الألسن ـ قسم اللغة الإيطالية ـ جامعة عين شمس ١٩٨٧.
- حصلت على درجة الماچستير فى الترجمة الفورية والتحريرية. قسم اللغة الإيطالية ـ كلية الألسن ـ جامعة عين شمس ١٩٩٧.
- عملت مترجمة بهيئة الآثار المصرية.
- تشغل حاليًا منصب مدير البرنامج الإيطالى بشبكة الإذاعات الموجهة بالإذاعة المصرية.
- عملت مترجمة بقطاع التليفزيون للمواد والأفلام الثقافية، وأيضًا بقطاع قنوات النيل المتخصصة (الأخبار الثقافية).
- تعمل مذيعة ومقدمة ومعدة برامج ثقافية وسياسية باللغة الإيطالية بالإذاعة المصرية.
- ترجمت كتاب "عندما تظلم السماء: عن العصور الوسطى بإيطاليا" من الإيطالية إلى العربية.
- قامت بترجمة عدة أفلام تسجيلية من الإيطالية إلى العربية، من أهمها فيلم "حياة الرئيس حسنى مبارك" من إنتاج قناة النيل للأخبار. ومن العربية إلى الإيطالية، أهمها "محافظة البحر الأحمر" من إنتاج قناة الأندلس الفضائية.



صدر من هذه السلسلة

١ ــ كليوباترا
تأليف: مانفريد كلاوس
ترجمة: أشرف نادى أحمد
مراجعة: دكتورة ناهد الديب
٢ ــ حكايات شعبية فرعونية
تأليف: جاستون ماسبيرو
ترجمة: فاطمة عبدالله محمود
مراجعة وتقديم: د. محمود ماهر طه
٣ ــ معجم آلهة مصر القديمة
تأليف: ماريو توسى، كارلو ريو ردا
ترجمة: ابتسام محمد عبد المجيد
مراجعة وتقديم: د. محمود ماهر طه
٤ ــ التاريخ المصور لمصر القديمة
تأليف: كارلو ريو ردا
ترجمة: ابتسام محمد عبد المجيد
مراجعة وتقديم: د. محمود ماهر طه
٥ ــ الرحلة الكبرى للمسلة
تأليف: روبرت سوليه
ترجمة: د. زينب الكردى
٦ ــ ماعت (فلسفة العدالة فى مصر القديمة)
تأليف: أنا مانسينى
ترجمة: محمد رفعت عواد
مراجعة: د. جيهان زكى
تقديم: د. على رضوان
٧ ــ الإسكندرية (أعظم عواصم العالم القديم)،
تأليف: مانفريد كلاوس
ترجمة: أشرف نادى أحمد
مراجعة: د. صلاح الخولى
٨ ــ علماء بونابرت فى مصر
تأليف: روبير سوليه
ترجمة: فاطمة عبدالله محمود
مراجعة وتقديم: د. محمود ماهر طه
٩ ــ أخناتون وديانة النور
تأليف: إيريك هورنونج
ترجمة وتقديم: د. محمود ماهر طه
١٠ ــ الديانة فى مصر القديمة
تأليف: مجموعة من علماء المصريات
المحرر: بيرون شيفر
ترجمة وتقديم: د. محمود ماهر طه
١١ ــ الطب عند الفراعنة
تأليف: كريستيانو داليو
ترجمة: ابتسام محمد عبد المجيد
مراجعة علمية: د. نبيل عبيد
مراجعة أثرية: أ.د. على رضوان

مصريات مصورة

١- أربعون هرمًا من مصر وما يجاورهم
الكاتب: بيتر سنودون
ترجمة: بهاء جاهين

٢- هليوبوليس (مدينة الشمس تُولد من جديد)
تأليف: أجنيسكا دوبروفولسكا ـ ياروسلاف دوبروفولسكى
ترجمة: د. محمد عنانى

٣ـ الفن القبطى فى مصر ٢٠٠٠ عام من المسيحية
تأليف: مجموعة من المؤلفين
ترجمة: مجموعة من المترجمين

٤ـ الفن المصرى
تأليف: جان لوك بوفو ـ كريستيان زيجلر
ترجمة: عادل أسعد الميرى

• كتب تحت الطبع

١ـ ميراث مصر الأسطورى
تأليف: كريستيان ديروش نوبلكور
ترجمة: فاطمة عبد الله محمود
مراجعة وتقديم: د. محمود ماهر طه